

فيض الخبير وخلاصة التقرير

على نهج التيسير: شرح منظومة التفسير

لراجي ربه وأسير ذنبه

السيد علوي بن السيد عباس المالكي

خادم الطلبة بمدرسة الفلاح والمسجد الحرام

تنبيه : وضعنا منظومة الشيخ الزمزمي بأعلى الصفحة ويليها شرح السيد المساوي ثم حاشية فيض الخبير فتعليقات الأستاذ محمد ياسين الفاداني ، مفصولا بين كل بجدول

مطبعة النجاح الجديدة

شارع القويسني خلف مدرسة التجارة بالظاهر

الطبعة الثانية بزياداتها المفيدة

١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

تقديم

بذكر تراجم : صاحب المنظومة ، وشارحها ، وصاحبي الحاشيتين على الشرح

١ — ترجمة الناظم الزمزمي

قال العلامة الشيخ عبد الستار الهندي في كتابه المسمى « بأزهار البستان ، في طبقات الأعيان » : هو عبد العزيز الرئيس الزمزمي عز الدين بن علي بن عبد العزيز بن عبد السلام بن موسى بن أبي بكر بن أكبر بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن داود البيضاوي الشيرازي الأصل ، ثم المكي الزمزمي الشافعي ، وجده الأعلى علي بن محمد ، قدم إلى مكة في سنة ٧٣٠ عام قدمها الفيل من العراق ، في قصة ذكرها المؤرخون ، ساعد الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن ، في خدمة بئر زمزم ، فلما ظهر له خيره ، نزل له عنها ، وزوجه بابنته ، فولد له منها ولده أحمد المذكور ، وغيره من إخوته ، وصار لهم أمر البئر ، وكان معه سقاية العباس ، ومازالوا يتوالدون إلى أن ولد عبد العزيز صاحب الترجمة ، كما أفاده غير واحد من المؤرخين ، وهو أعقب ابنه العلامة محمداً ، والمذكور توفي عن ابنه شيخ الإسلام عبد العزيز ، سبط العلامة ابن حجر المكي المولود سنة ٩٧٧ .

والمترجم ولد بمكة ، ونشأ بها ، وأخذ العلم عن أكابر المحققين ، وجد حتى صار أحد المدرسين ، وله في الأدب اليد الطولى ، وألف التآليف الحسنة منها : منظومة في التفسير ، وشرح مقامات الحريري ، وكتاب في الفتاوى ، وله شعر حسن ، ذكر الإمام محمد الطبري في تاريخه من شعره كثيراً وفيه من جياد المدائح النبوية ، وهو بيت مشهور بمكة ، معروف الآن ببيت الرئيس ، وتوفي المترجم سنة ٩٧٦ بمكة. وفي كشف الظنون أنه توفي سنة ٩٦٣ ، كما أفاده القطبي في تاريخه المرتب على السنين ، وكان في سادس عشر محرم من سنة ٩٧٦ أسند إلى مولانا الشيخ عبد العزيز الزمزمي ، تدريس المدرسة السليمانية بخمسين عثمانياً ، وكان رئيس علماء مكة يومئذ . وترجم له ولحفيده في تنزيل الرحمات ، وترجم لحفيده صاحب السُّلافة و « خوج » في زهر الخمائل .

٢ – ترجمة الشارح السيد محسن المساوى

هو العلامة التقى الورع الصالح . السيد محسن بن علىّ بن عبد الرحمن المساوىّ الحضرمى .

هاجر والده إلى أندونيسيا ، بمدينة فلمبان (إحدى مدن سومطرا الجنوبية) فرزق الشارحَ ليلة الجمعة ١٨ من المحرم ١٣٢٣ هـ الموافق ٢٢ من مارس ١٩٠٥ م. فنشأ فى أحضان والده ، فرباه أحسن تربية ، وأدخله المدرسة ، فتلقى علومه الأولية الدينية بمدرسة نور الإسلام ، ثم مدرسة سعادة الدارين ، وكلتاهما فى جمبى .

ولما توفى والده سنة ١٩١٩ م ، عاد إلى فلمبان ، والتحق بمدرسة حكومية ، فتلقى العلوم الدينية عن العالم الحاج عيدروس .

وفى موسم ١٣٤٠ هـ الموافق سنة ١٩٢٢ م قدم إلى مكة المكرمة ، وبعد أن أدى النُّسك واستهل عام ١٣٤١ ، التحق بالمدرسة الصولتية بمحلة الباب ، فأخذ العلم عن علمائها الأعلام ، ومهر فى كثير من أنواعه ، ونبغ فى التفسير والأصول والفلك والفرائض ، وتخرج منها فى أواخر عام ١٣٤٧ هـ .

فمن أساتذته : العلامة فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط وهو عمدته ، والشيخ داود الدهان المكىّ ، والشيخ عبد الله بن الحسن الكوهجى ، والشيخ حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ محمود بن عبد الرحمن زهدى البنكوكى المكى .

وفى سنة ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م ، قام برحلة إلى وطنه الأصلى حضرموت ، لزيارة ذويه من العلويين ، وحضر فى سيوون وترْيم مجالس العلماء الأعلام ، واستمع إلى الدروس التى كانوا يلقونها فى مختلف الفنون ، واستغرقت هذه الرحلة ثلاثة أشهر ، فكانت رحلة مباركة رجع منها مملوء الوطاب بالعلم والفوائد الثمينة .

ثم تصدى للإفادة والتدريس بالمدرسة الصولتية ، فأقبل عليه الطلبة من مختلف الأجناس والفصول والسنوات الدراسية . وكان إلى هذا يلقى دروساً مختلفة بمنزله بمحلة

الشامية ، ولم يشغله ذلك عن مواصلة دراسته ، والأخذ عن مشايخه الذين كانوا بالمدرسة ، وزاد بالأخذ عن أفاضل علماء العصر ، ممن يدرسون بالمسجد الحرام أو بمنازلهم .

فمن هؤلاء العلماء : العارف بالله الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد المكى ، والفقيه المتمكن الشيخ سعيد بن محمد اليمانى الخليدى ، وهما عمدته فى اتصال الأسانيد ، والشيخ محمد على بن حسين المالكى المكى ، والشيخ خليفة بن حمد النبهانى ، وعليه تخرج فى الفلك والميقات ، ومحدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر حمدان المحرسى ، والشيخ عبد الله بن محمد الغازى المكى ، تلقى عنه كثيراً من المسلسلات الحديثية . وجميع هؤلاء أجازوه عامة ما لهم . كما أجازه فى المدينة المنورة العارف بالله ، الشيخ عبد القادر بن توفيق الشلبى ، والمحدث الصوفى الشيخ محمد عبد الباقى اللُّكْنوى ، والقاضى السيد زكى بن أحمد البرزنجى وغيرهم ، وأجازه من الوافدين حافظ العصر الشريف عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى الفاسى ، والمعمر الشيخ على عواد المغربى السلَوى فى موسم سنة ١٣٥٢ هـ .

وكان رحمه الله ذا همة عالية ، لا تعرف الملل ، معتنياً بالتقييد والجمع والمطالعة ، مع النباهة وسلامة الإدراك ؛ فعلَّقَ على جملة من الكتب المتداولة حواشى قيمة ، هى ثمرة اطلاعه الواسع .

وألف عدة كتب ، منها : « النفحة الحسينية ، شرح التحفة السنية » فى الفرائض ، و « مدخل الوصول ، إلى علم الأصول » ، و « نهج التيسير ، شرح منظومة الزمزمى فى أصول التفسير » ، و « جمع الثمر ، تعليق على منظومة منازل القمر » . وجميع هـذه مطبوعة .

ومنها مالم تطبع بعد ، وهى : « الجدد ، شرح منظومة الزبد » : لم يتم . و « زبدة الصلوات ، على خير البريات » و « النصوص الجوهرية ، فى التعاريف المنطقية » ، و « أدلة أهل السنة والجماعة ، فى دفع شُبُهات الفرق الضالة والمبتدعة » ، و « الرحلة العلية ، إلى الديار الحضرمية لزيارة أسلافنا العلوية » .

وكان له وَلَع عجيب بجمع نفائس الكتب من شتى العلوم ، وتمت له مكتبة نفيسة ،

إذ كان لا يسمع بكتاب قيم ، إلا بذل ما يستطيع من جهد في طلبه بالشراء والنسخ ، ومما استنسخه شرح حلولو على جمع الجوامع فى أصول الفقه ، وشرح خالد الأزهرى عليه أيضاً .
ومن المخطوطات النفيسة عنده « فتح الفتاح ، شرح الإيضاح » فى المناسك ؟ تأليف ابن عَلّان ، و « حاشية الشنوانى على شرح المنهج » فى مجلدين . وقام مع جماعة من أعيان الجالية الأندونيسية والملايوية ، بتأسيس مدرسة دينية باسم مدرسة « دار العلوم الدينية » .
وقد أقام لافتتاحها حفلة رائعة في ليلة الأحد ١٦ من شوال سنة ١٣٥٣ ﻫ ألقى فيها رحمه الله خطبة رنانة رائعة ، لها عظيم الوقع في النفوس ، وهرَع الناس من غده والتحقوا بها ، بغية اجتناء ثمارها ، ولم يمض عام على هذه المؤسسة الإسلامية إلا وكانت موضع تقدير المؤسس ، وثبت للعموم أنها أسست على تقوى من الله ورضوان .

وقد تلقى عليه خلق كثيرون ، ومنهم كاتب هذه الترجمة ، فقد حرر له إجازة عامة ممتعة .

وكان رحمه الله معتدل القامة ، عظيم الهيبة ، أسمر اللون ، قليل شعر اللحية والشارب ، متكفئاً فى مشيته ، كثير الإطراق برأسه إلى الأرض خشية من الله ، وكان حريصاً على فهم المسائل العويصة ، وقد حظى بالقبول التام عند المشائخ وأصحابهم ، بحيث لا يبخلون عليه بشيء ، ولا يضجرون عند إرادة السماع ، وكان شديداً فى الحق ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، ليناً مع الضعفاء ، رحيما للمساكين الغرباء ، شديد الانعطاف على طلبة العلم ، عظيم الغَيرة على مصالحهم ، رءوفاً بهم . وقد بلغ من رأفته بهم ، مواصلتهم بالعطاء ، إعانة لهم على طلب العلم .

توفى قبل الغروب يوم الأحد الموافق ١٠ من جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ ﻫ الموافق ٢٨ من سبتمبر ١٩٣٥ ، وصلّى عليه بالمسجد الحرام صباح الاثنين جمع كثير من العلماء وطلبة العلم والوجهاء وعامة الناس ، وشيعوا جنازته حتى المعلى عند حوطة السادة ، فأنزل فى قبره ، ثم هيل عليه التراب وكأنه عدد حسناته ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه أعلى فراديس الجنان اﻫ .

انتهى ملخصاً من بغية المريد فى علوم الأسانيد لصاحب التعليق

٣ — المحشى الأول : السيد علوى

فضيلة السيد علوى ابن العلامة السيد عباس بن عبد العزيز بن محمد المالكى المكى الحسنى

ولد فضيلته بمكة عام ١٣٢٧ هـ ، ونشأ بين أحضان والده ، فرباه وأحسن تربيته ، ثم ألحقه بكتّاب عمه : السيد حسن مالكى ، فى دار السيدة خديجة الكبرى ، بزقاق الحجر (مدرسة الحفاظ الآن) فأحفظه القرآن الكريم ، وصلى به التراويح ، وهو فى العاشرة من عمره .

ثم ألحقه والده بمدرسة الفلاح ، وكان أساتذتها إذ ذاك من أجل علماء المسجد الحرام ديناً وورعاً وتقوى ، منهم : الشيخ عبد الله حمدوه ، والشيخ محمد العربى ، والشيخ الطيب المُراكشى ، والشيخ عمر حمدان ، والشيخ عيسى رواص ، والشيخ أحمد ناظرين ، والشيخ يحيى أمان وغيرهم ، من فحول العلماء ، فانتهل منهم أعذب العلوم وأنفعها لدينه ودنياه ، كما اتخذهم قدوة فى حسن السلوك وطيب العشرة وسلامة القلب .

وكان والده السيد عباس مدير المعارف طيلة دراسته ، يذاكر ابنه البار فى جميع المواد المقررة ، ويستمع إليه ما كلف بحفظه من متون العلم ، التى لا يستغنى عنها كل طالب ، حتى نبغ ونال شهادة الفلاح العليا عام ١٣٤٦ هـ ، وكان موضع تقدير مشايخه طيلة دراسته ، وعملوا على تحقيق أمنية والده الذى كان يسأل الله أن يقر عينه بحلقة درس ابنه فى المسجد الحرام . وقد كان لدعوات والده ودعوات حبيبه السيد أحمد بن حسن العطاس ، أثرها فى الاستزادة من العلم والمعرفة ، ومواصلة دراسته بالمسجد الحرام .

وكان والده رحمه الله يشجعه على رغبته ، ويحثه على دراسته ، ويقول له « شهادة الرجل علمه ، ونفعه للناس » فدخل السيد علوى فى صفوف الطلاب للعلم بالمسجد الحرام ، فأخذ علومه عن الشيخ عمر حمدان ، والشيخ محمد العربى ، والشيخ أمين السويدى ، وقرأ الكثير على الشيخ على بن حسين مالكى ، وتلقى الشاطبية عن الشيخ أحمد التيجى ، فأثنوا على نشاطه وجدّه ومثابرته ، وقد أقر الله عين والده : إذ شاهد ابنه عام ١٣٤٧ هـ

مدرساً بمدرسة الفلاح ، وأجيز له التدريس بالمسجد الحرام ، فعقد حلقة فى حصوة باب السلام ، وهو فى العقد الثانى من حياته ، فا كتظت حلقته بطلاب العلم ، فحمد الله والده وشكره ، وحضر درسه وحث ابنه على فتح درس للعامة ، لوعظهم و إرشادهم ونصحهم ، فاستجاب الابن البار لرغبة والده ، فعقد حلقة للعامة ، وأحيى تاريخ الشيخ إبراهيم عرب رحمه الله ، فى طريقة وعظه وتعليمه ، بما تستفيده العامة ، حتى بلغ من يحضر لديه فوق الألف ، ونفع الله بعلومه ، ثلاثة وثلاثين عاماً ، قضاها السيد علوى — أطال الله عمره فى طاعته — فى تثقيف النشء بمدرسة الفلاح .

ونشر العلم بالمسجد الحرام ، وفى منزله ، وفى خلوته ، وقد تخرج على يده الكثير من طلاب العلم ، لا سيا من الأندونيسيين ، الذين رجعوا إلى بلادهم ، فكان منهم القضاة والعلماء والمدرسون ، فى تلك الجهات التى كانت تئن تحت كابوس الاستعمار ، فكان طلابه من دعاة الاستقلال والخلاص من كابوس الاستعمار الغاشم ، إلى أن حقق الله لهم آمالهم ، وأصبحوا أمة حرة فى صفوف الدول الإسلامية المناضلة .

لم يقف نشاط السيد علوى عند تثقيف النشء ونشر العلم ، بل كان ولا يزال يذيع فى صباح كل جمعة فى الإذاعة السعودية منذ ١٢ سنة محاضرة دينية يختارها لعلاج أمراض المجتمع ، وقد عين عضواً فى عدة هيئات علمية وثقافية ، فكان موفقاً فى آرائه ، كما عين عضواً فى الهيئة العليا لتوسعة المسجد الحرام ، وكان مسموع الكلمة فى كل مايراه ، وهو إلى ذلك مأذون شرعى ، كوالده رحمه الله — وقد بلغت عقود النكاح التى أجراها ثمانية عشر ألفاً منذ ثلاثين عاماً ، وله فى ذلك قصص تتحدث بها المجالس ، لوجمعت لكانت سفراً ممتعاً .

منها : أنه حضر إليه بعض البدو وطلبوا منه إجراء عقد ، فتبعهم إلى أن وصل المسفلة فسألهم عن المنزل ، فقالوا له : رمية حجر ، فتبعهم إلى أن وصلوا بركة ماجن ، فإذا بذلل قد أعدت هناك ، فسألهم : أين المنزل ؟ ؟ فقالوا : تفضل اركب ، رمية حجر ، ولم يسبق للسيد علوى ركوب الذلول ، ولكنه رأى من واجبه جبر خاطرهم ، فتحصن وبسمل وركب الذلول ، وسلم الأمر لله ، فسارت الذلل بين مستنقعات ، ووهاد ، ووديان ، وهو يسأل من حوله

الفينة بعد الفينة ، فيجيبونه (رمية حجر) وبعد أن ضاق ذرعاً وصل ركب العروس إلى (دُقُم الوبر) ، فلم يشعر السيد إلا وطلقات نارية تدوي فى الفضاء ، وجلبة وضوضاء ، نخيل إليه أنها غارة ، فالتفت إلى من حوله ما الخبر ؟ ؟ من أطلق علينا الرصاص ، فقيل له : هؤلاء جماعتنا استقبلونا بطلقاتهم ، وأهازيجهم فرحاً بالزواج ، فهدأ روعه ، فحمد الله على السلامة ، ثم نزل المحل المعد للعقد ، وبعد تناول القهوة سأل عن العروس : أهى بكر أم ثيب ؟ فقيل له : ثيب ، فطلب ورقة طلاقها ، فقيل له ضاعت ، فطلب الشهود ، فقيل له ماتوا ، فحار فى أمره ، وفى عقد لا يجيزه الشرع ! فصاح بعضهم : الزوج المطلق موجود . فقال لهم : أحضروه — ليقرِّر الطلاق بنفسه ، فقالوا له : سنرسل له رجلا (رمية حجر) ويحضر ، فتذكر السيد « رمية الحجر » ومسافتها ، فحوقل وحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه . وفى منتصف الليل أقبل الرسول ومعه زوج المرأة المطلقة ، وبعد أن أخذ السيد إقراره أجرى العقد ، ثم قدم الطعام ، فتقدم السيد علوى إلى الطعام والكل يصيحون به : كل يا سيد ، تراك ضيفنا . وما إن قام القوم إلا وأسرع إلى غسل يده ، ليلوذ بالفرار ، فأقسموا أغلظ الأيمان : أن ينام عندهم ، ولكن أنّى له ذلك ؟ والطلقات تدوى فى الفضاء ، والطبول تدق ، والأهازيج البدوية تقلق راحته ، وما هى إلا ساعة حتى طلع الفجر ، فتنفس الصُّعَداء وصلى بهم الصبح ، فمدت سفرة الفطور ، وهى عبارة عن لحوح . وأوان ملئت سمناً وعسلا ، فتناول ما أمكنه ، ثم قام إلى ذلولة وركبها ، وتبعه القوم إلى أن عاد إلى منزله ، وفى ذلك يقول من قصيدة له :

فيـــــا ليـلةً ما كان أقسى عنائها ... تحملتُ فيها الـكرب من رمية الحجر
لقيت بها قوماً كراماً أعزة ... أنست بهم بعـد التبرم والضجر
رعى الله سكان البوادى بفضـــــله ... ولا ســـــيا الأشراف فى دقم الوبر

هذا : ولو تسنى لك زيارة السيد علوى فى منزله ، لشاهدت مكتبة زاخرة بشتى العلوم والفنون ، يرجع إليها فى الرد على الفتاوى التى ترد إليه من كافة الأقطار الإسلامية ، فيجيب عليها بما يقنع السائل ، ويشهد له بغزارة العلم ، وسعة الاطلاع . ومنزله فى أكثر

أوقات فراغه عامر بطلاب العلم والسائلين ، وفى زمن الموسم يكتظ بالعلماء الوافدين للحج من كافة الأجناس ، ويستجيزه بعضهم فيما يرويه ، ويجيزه البعض الآخر فى مروياته ، وعلاوة على ذلك فهو ملجأ للصلح بين الناس ، وحل مشاكلهم ، والتوفيق بينهم ، يقصدونه فى المعضلات ،فيرضى كلاً منهم .

وطريقة السيد علوى فى التدريس من أعجب ما رأيت وسمعت ، فهو فى الساعة الحادية عشرة ونصف يدرس لطلاب العلم بأحدث الطرق التربوية ، وقد شاهدت فى حلقته سبورة لحل المسائل ، لا سيما فى الفرائض ، وعمل الشباك ، وتدريب الطلاب عليه ، وسمعته مرة : يدرس فى القواعد العربية ، وكان موضوع الدرس « المستثنى » فكان أطال الله عمره يأتى بمثال المستثنى التام ، ووجوب نصبه بعد إلاَّ ، ثم بالناقص إذا سبقه نفى وإلغاء إلاَّ ، ورفعه إن كان فاعلا ، أو نصبه إذا كان مفعولا ، وكان يكلف كل طالب بمثال و إعرابه . أما فى الدروس العامة التى يقصدها جميع الطبقات فكان كالسراج ، يهدى الضال و ينير الدلج ، وهو إلى ذلك يهدئ الأعصاب الثائرة و يلين القلوب القاسية ، فلا تسمع إلا بكاء وتهليلا ، وتحميداً ، وتعوذاً من سخط الله وعذابه .

لهذا كله نجد السيد علوى مدرس الحرم ملء السمع وملء البصر ، مقدراً من الشعب ومن جلالة الملك ورجال حكومته . وعلمت من أوثق المصادر أنه ذهب هذا العام إلى منى فوجد مكاتب مدرستها تنقل ، فسأل عن السبب ، فقيل له : صاحب الدار طلب إخلاءها ، فأسرع إلى المحكمة وأوقف منزله بمنى ، لنشر العلم ، وسلمه لوزارة المعارف ، فشكرته على غيرته الدينية ، ونقلت إليه طلاب مدرسة منى فعلا ، وسيخلد له التاريخ هذه المكرمة بجانب نشره للعلم .

مؤلفـــــــاته :

١ — حاشية فيض الخبير على شرح منظومة أصول التفسير — هذه —

٢ — فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب .

٣ — المواعظ الدينية ، وهى محاضرات أذاع بعضها من محطة الإذاعة السعودية .

٤ — العقد المنظم فى أقسام الوحى المعظم .

٥ — رسالة المنهل اللطيف ، فى أحكام الحديث الضعيف .

٦ — نيل المرام تعليق على عمدة الأحكام .

٧ — شرح بلوغ المرام .

٨ — ديوان شعر خطى معد للطبع . أطال الله فى حياته ونفع به آمين .

٤ ـ المحشى الثانى ـ الشيخ الفادانى

مولده ودراسته :

هو : علم الدين — أو علاء الدين — محمد ياسين بن عيسى الفادانى المكى ، الشيخ الفاضل الذى وصل إلى المجد والشهرة عن جدارة وحسن استعداد .

ولد بمكة المكرمة يوم الثلاثاء ٢٧ من شعبان ١٣٣٧ هـ . ونشأ بها ، وتعهّده والده بتعليم القرآن ، ومبادىء الدين ، واللغة العربية . وأشرف عمه الشيخ محمود على تربيته تربية صادقة أهّلته لمعرفة الواجب الذى فيه يسعى وإليه يجاهد .

التحق بالمدرسة الصولتية ، ودرس بها ما يربو على سبع سنوات ، وقد نال الثقة والإعجاب من مدرسيه ، بما حباه الله من نبوغ فى علمه ودماثة فى أخلاقه .

ومن بين مدرسيه بها الشيخ مختار عثمان مخدوم ، والشيخ عبد الله محمد نياز ، والشيخ حسن المشاط ، والسيد محسن المساوى .

هذا . وكان أثناء دراسته بها يرى من الضرورى هو وبعض إخوانه إنشاء مدرسة دينية فى بلد الله الأمين ، بجانب المدارس الموجودة إذ ذاك ، وكان أشدّ إخوانه رغبة فى هذا المشروع الجليل . وفى سنة ١٣٥٣ هـ تحققت هذه الفكرة ، وتأسست دار العلوم الدينية فى شِعب علىّ فى ١٦ من شوال من تلك السنة ، فأتم دراسته العالية بها ، حتى نال شهادتها النهائية فى ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ . ومن بين مدرسيه بها الشيخ إبراهيم داود الفطانى . وإلى جانب نبوغه وحسن استعداده وحرصه الشديد لاكتساب المعارف ، كان يتلقى دراسات فى مختلف الفنون زيادة على دراساته المدرسية ، على أساتذة اشتهر كل منهم فى فن خاص ، فتخرج في علم الحديث والإسناد على الشيخ عمر حمدان المحرسى ، وفى علم الأصول والقواعد الفقهية واللغة العربية على الشيخ محمد على المالكى وفضيلة السيد علوى المالكى ، وفي علم الفلك والميقات على الشيخ خليفة النبهانى . وكان يتوسع فى الأخذ والرواية عن الأعلام الوافدين ، ويكاتب علماء الأقطار الإسلامية ، ويستجيزهم حتى بلغ عدد شيوخه نحو ثلاثمائة .

نشاطه فى المجتمع :

وبعد أخذه حظاً وافراً من العلم تفرغ لنشره بين أبناء مكة وغيرهم ، من الجاليات الأخرى ، فباشر التدريس بدار العلوم الدينية في أوائل سنة ١٣٥٦ ﻫ ، وزاول أعماله بها كوكيل مدير فى أواسط سنة ١٣٥٩ ﻫ ، وبجانب هـذا كان يلقى دروساً مختلفة بالمسجد الحرام ، عند حصوة بين باب إبراهيم وباب الوداع ، وكذا فى منزله ومكتبه الخاص ، وتحصل على مأذونية التدريس بالمسجد الحرام من مقام رئاسة القضاء والمدرسين برقم ٨٣ فى ١٠ـ ٦ـ ٦٩ ، وتخرج على يديه الكثير ، وهم منتشرون فى أقطار الشرق الأقصى ، وجميعهم لسان صدق واعتراف بفضله وحسن تربيته .

آثاره العلميـة :

لا شك أن ما قام به من الدرس والتحصيل وسعيه المتواصل صباح مساء ، أهّله لأن يكون أحد النوابغ الذين يشار إليهم بالبنان . وقد كان مشاركا فى العلوم العصرية الحديثة ، كثير التأليف والإنتاج . وكان من دأبه أن لا يؤلف أو يكتب إلا فيما لا يشاركه فيـه أقرانه . ومع هذا فقد أربَتْ مؤلفاته على الستين ، وبعض هـذه المؤلفات مطبوع يتداوله الطلبة فى المعاهد الدينية بمكة ، وفى أقطار الشرق الأقصى ، لسلامة تعبيرها وحسن ترتيبها وغزارة مادتها .

ومماطبع منها : (١) الخميلة شرح ثمرات الوسيلة (٢) المختصر المهذب فى التواريخ الثلاثة ، والأوقات والقبلة بالربع المجيب . (٣) جنى الثمر شرح منظومة منـازل القمر .

(٤) الفوائد الجنية حاشية على القواعد الفقهية ، جزآن . (٥) تتميم الدخول على مدخل الوصول إلى علم الأصول . (٦) تشنيف السمع فى علم الوضع .

(٧) بلغة المشتاق إلى علـم الاشتقاق . (٨) منهل الإفادة ، حواش على رسالة المناظرة لطاش كبرى زاده . (٩) حسن الصياغة شرح كتاب دروس البلاغة .

(١٠) إتحاف الخلان بتوضيح تحفة الإخوان فى علم البيان .

(١١) الأسئلة البيانية ، فى علم البيان . (١٢) رسالة فى علم المنطق .

(١٣) إتحاف الإخوان ، باختصار مطمح الوجدان ، فى أسانيد عمر حمدان .

(١٤) نهاية الطلب ، على مد الأرب ، فى علوم الإسناد والأدب .

(١٥) الدر النثير ، فى الاتصال بثبت الأمير . (١٦) الروض النضير ، فى مجموع الإجازات بثبت الأمير . (١٧) العجالة المكية فى أسانيد كتب الأوائل السنبلية .

(١٨) النفحة المسكية فى الأسانيد المتصلة بالأوائل السنبلية .

(١٩) تعليقات على لمع الشيخ أبى إسحاق الشيرازى .

اهتمامه بتعليم الفتيات :

من نشاطه فى المجتمع وحرصه فى نشر الثقافة وتعميمها قيامه بتعليم الفتيات السعوديات ببلد الله الأمين ، فكان يرى أن تعليم الفتاة واجب محتم ، كما قال ص (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ، فلا بد أن تأخذ كل فتاة من العلم قسطاً تعرف به أمور دينها ، وكيف تربى أبناءها تربية صحيحة سليمة ، لذا اهتم منذ سنوات عدة بأمر مدرسة البنات الابتدائية ، بمحلة الشامية ، وبذل كل رخيص وغال فى النهوض بها إلى مستواها اللائق ، حتى جلب لها مدرِّسات ذوات كفاءات وخبرات . وتخرَّج منها عدة أفواج من الفتيات المثقفات ، — وإن هذه المدرسة على ما أعلم هى الوحيدة ، ولها الأقدمية فى تعليم البنت بمكة ، بل وفى المملكة السعودية — وكان يرى أيضاً أن هذه المدرسة الابتدائية ، سيما وقد تعددت فروعها تتطلب مدرسات وطنيات ، يقمن بالتدريس على الأساليب التربوية الحديثة ، وأن هؤلاء لا يمكن إعدادهن إلا بإيجاد مرحلة أعلى . ويرى أنه تكفى مرحلة كفاءة معهد المعلمات ، حيث يأخذن فيها علم النفس التعليمى ، والتربية ، وطرق التدريس ، فأنشأ فى ربيع الثانى ١٣٧٧ هـ معهداً للمعلمات . وهو الآن فى عامه الثالث ، يساير نشاطه ويؤدى رسالته على أكمل وجه ، من القائمين به ، والمشرفين عليه .

هذا . ولا يفوتنى أن أسجّل هنا صدور أمر جلالة الملك المعظم أخيراً بفتح مدارس للبنات فى أنحاء المملكة ، تحت إشراف سماحة المفتى الأكبر ، مما جعل الشيخ يتشجّع

فى مواصلة أعماله ، والنهوض بتعليم الفتيات فى نطاق حدود الشرع الحنيف .

وبعد : فهذه نبذة قصيرة عن حياة وجهاد الشيخ الفادانى الكبير ، الذى جاهد وجالد وخلق من الضعف قوة ولن يكف عن المسير (والتبعات تزيد وتكبر إذا جلَّ شأن صاحبها فى الحياة) . أطال الله عمره ونفع به .

فإلى صاحب التاريخ المجيد ، فى خدمة العروبة والدين ، الذى حاول مخلصاً أن ينير سبيل المجد أمام الفتيان والفتيات من المسلمين حتى جعلهم حماة العقائد وجنود الإيمان ، أتقدم بوافر تقديرى بما قام به طالباً وبما يقوم به عالماً ورائداً . ولا يسعنى إلا أن أقول :

رأيتُ فيك شِمالاً لست أحْصِرها ... وشِمتُ فيك خلالاً لَسْتُ أحصيها

قَبَسْتُها منك فانثالَتْ مُوَاتِيَةً ... الفضل يُلْهِمُها والنُّبْلُ يوحيهــا

فطِرْتُ فى ساحة الآفاق أبْعَثُها ... وطِرْتُ فى باحة الدنيـا أُغَنِّيها

معالم المجــد فى مرآك بَيِّنَةٌ ... بيضٌ بواطنها بيضٌ بواديهــا

تحدَّثَ الناسُ عن فضلٍ علوْتَ به ... عَنْ بعضِهِ تعجز الدنيا ومَنْ فيهـا

سيد أحمد سيد أحمد يوسف
العالمية مع إجازة التدريس من الأزهر الشريف
والمدرس بالعزيزية الثانوية بمكة المكرمة



الحمد لله الرحمن ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على الرسول المؤيد ببرهان القرآن ، سيدنا وحبيبنا محمد ، وعلى[1] آله وأصحابه هداة العرفان .

(أما بعد) فهذه تعليقات ظريفة ، وتقريرات طريفة ، على نظم التفسير ، للعلامة الشيخ عبد العزيز الزمزمى ، تكون كالشرح له فى حلّ ألفاظه ، وكالموضّح لطلابه فى فك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والنجاة .

وبعد : فيقول خادم الطلبة الكرام بمدرسة الفلاح والمسجد الحرام علوى ابن المرحوم السيد عباس المالكى عامله الله بلطفه الخفى . هذه تعليقات موجزة ، وتقييدات مستحسنة ، يسر الله تعالى جمعها حين قراءتى لكتاب نهج التيسير ، على نظم أصول التفسير ، لجامعه المرحوم السيد محسن ابن السيد على المساوى فى المسجد الحرام . وقد طلب منى بعض طلبة العلم الكرام أن أجمع لهم هذه التعليقات ليتم الانتفاع بها ، فلم أر بدا من إجابتهم لذلك ، وإن لم أكن من رجال تلك المسالك ، فجمعتها مستعيناً بالمولى المعبود فى إصابة السداد وتيسير المقصود ، فما كان فيها من صواب فهو من توفيق المولى الجليل ، وما كان من عثار وخطأ فذلك من بضاعة ذهنى الكليل . وسميتها : « فيض الخبير ، وخلاصة التقرير على نهج التيسير » سائلا من الله تعالى النفع بها كما نفع بأصلها ، وأن يجعلها ذخراً إلى يوم الحساب إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير .

(قوله ببرهان القرآن) هو مفرد مضاف فيعم ، أى براهينه وهى أدلته (قوله ظريفة) أى حسنة يستظرفها ذوو اللب (قوله طريفة) أى جديدة مبتكرة ، من قولهم شىء طريف (قوله الشيخ عبد العزيز) قال العلامة الشيخ عبد الستار الهندى فى كتابه المسمى « بأزهار البستان ، فى طبقات الأعيان » هو عبد العزيز الرئيس الزمزمى عز الدين بن على بن عبد العزيز

---

(١) كرر لفظ على إشارة إلى أن آله معطوف على الرسول فلا يتوهم أنه معطوف على محمد .

ألغازه ، وضعتها للقاصرين أمثالى تبصرة ، ولعلها تكون للمنتهين من الأفاضل تذكرة ، فرحم الله امرأ اطلع على عيب أو خطأ فيه ، فتأمّل بعين[١] الإنصاف ، ثم أصلحه بعد التحقق بيد العفاف ، وعذرنى فى ذلك ، إذ هى بضاعة الفقير الضعيف المعاف[٢] . ولقد

ابن عبد السلام بن موسى بن أبى بكر بن أكبر بن على بن أحمد بن على بن محمد بن داود البيضاوى الشيرازى الأصل ، ثم المكى الزمزمى الشافعى ، وجده الأعلى على بن محمد قدم إلى مكة فى سنة ٧٣٠ ه عام قدمها الفيل من العراق فى قصة ذكرها المؤرخون ، فباشر عن الشيخ سالم ابن ياقوت المؤذن فى خدمة بئر زمزم ، فلما ظهر له خيره نزل له عنها ، وزوجه بابنته ، فولد له منها ولده أحمد المذكور وغيره من إخوته ، وصار لهم أمر البئر ، وكان معه سقاية العباس ، ومازالوا يتوالدون إلى أن ولد عبد العزيز صاحب الترجمة كما أفاده غير واحد من المؤرخين ، وهو أعقب ابنه العلامة محمداً . والمذكور توفى عن ابنه شيخ الإسلام عبد العزيز سبط العلامة ابن حجر المكى المولود سنة ٩٧٧ ه . والمترجم ولد بمكة فنشأ بها وأخذ العلم عن أكابر المحققين وجدّ حتى صار أحد المدرسين ، وله فى الأدب يد طولى ، وألف التآليف ، منها منظومة فى التفسير وشرح مقامات الحريرى وغيرهما ، وله شعر حسن . وذكر له الإمام محمد الطبرى فى تاريخه من شعره كثيراً ، وهو بيت مشهور بمكة معروف الآن ببيت الرئيس . وتوفى المترجم سنة ٩٧٦ بمكة ، كما أفاده القطبى فى تاريخه المرتب على السنين . وفى سادس عشر محرم سنه ٩٧٦ توجه إلى مولانا الشيخ عبد العزيز الزمزمى تدريس المدرسة السليمانية بخمسين عثمانياً ، وكان رئيس علماء مكة يومئذ ، وترجم له ولحفيده فى تنزيل الرحمات ، وذكرها صاحب السلافة فى زهر الخمائل . رحمه الله تعالى آمين .

(قوله كالشرح) لم يجعله شرحاً حقيقياً ولا موضحاً نظراً لما فيه من الإيجاز والاختصار المناسب للمبتدئين ، وتواضعاً منه رحمه الله تعالى (قوله فى فك ألغازه) أى حل مشكلاته (قوله تبصرة) أى نوراً (قوله فرحم الله امرأ) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى ، أى اللهم ارحمه (قوله فتأمل بعين الإنصاف) أى فلاحظ ذلك بعين الإنصاف ، شبه الإنصاف بإنسان وحذف المستعار منه على طريقة الاستعارة بالكناية (قوله بعد التحقق) أى التثبت (قوله بيد العفاف) لا يخفى ما فيه من الاستعارة ، والمعنى بيد شأنها الإصلاح . قال الشاعر :

فكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

(قوله المعاف) أى المكروه المبذول ، وهذا على سبيل التواضع . وقد كان المؤلف رحمه

(١) أى بعين ذى الإنصاف ، أى صاحبه ، فهو مجاز بالحذف .

(٢) بضم الميم اسم مفعول من أعاف أى المكروه المرذول ، وهذا من شيخنا الشارح تواضع .

كنت سميتها « نهج التيسير ، على نظم التفسير » راجياً من المولى القبول ، والنفع بها وذلك عند الله يسير ، وهو بالإجابة قدير وجدير . قال : (بسم الله الرحمن الرحيم) أى أنظم . بدأ الناظم كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز ، ترتيباً لا نزولا وائتماراً[1] ، لحث الحديث المشهور ، ووفاقاً للسلف والخلف ، وطمعاً فى الثواب والبركة ، ولم يبتدىء فى النظم بالحمدلة ، اكتفاء بالبسملة ، وعملا بما فى رواية « كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه بذكر الله .. » . ثم الكلام على البسملة وما يتعلق بها شهير ، قد تكفل به الأئمة الأعلام ، فلنكتف بذلك .

الله تعالى محبوباً صالحاً شاباً تقياً ورعاً زاهداً ، رحل إلى الحجاز فتلقى العلم فى المدرسة الصولتية ، فأشرق فى سمائها بدراً ، ورفعت رأسها به تيهاً وفخراً ، ولم يزل فى إفادة واستفادة وارتفاع قدر وزيادة ، حتى نبغ فى التفسير والأصول والفلك والفرائض ، وأخذ عن جملة من الأفاضل ، فكان فى الجد والاجتهاد المثل الكامل ، ولم تقف همته عند هذا الحد المعلوم حتى قام بتأسيس مدرسة مع جملة من الأفاضل سماها دار العلوم ، فهرع إليها الطلاب ودخلوا إلى اجتناء ثمارها من كل باب ، وكانت مدرسة أسست على تقوى من الله ورضوان ، فعظم بها النفع بهمة هذا المحسن الجليل . ولقد صحبته فى سفره فرأيت من جده واجتهاده فى العلم والعبادة ، ونقل الفوائد وسهر الليالى وإدراك المعالى ، ما أطاق لسانى بالشكر له والثناء عليه ، فرحمه الله رحمة واسعة . وقد توفى فى العام الرابع والخمسين بعد الثلاثمائة والألف ودفن بالمعلى . تغمده الله برضوانه .

(قوله ترتيباً لا نزولا) لأن أول ما أنزل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » وهذا هو القول المشهور . وقد نقل الجلال فى الإتقان قولا عن الواحدى بإسناده عن عكرمة والحسن ، أن أول مانزل بسم الله الرحمن الرحيم « اقرأ باسم ربك الذى خلق » فعلى هذا القول يكون الاقتداء بالكتاب العزيز ترتيباً ونزولا ، والمصنف جرى على الأول لأنه الصحيح المشهور (قوله اكتفاء بالبسملة) أى وتنزيلا لكتابه منزلة الرسائل التى تبدأ بالبسملة فقط دون الحمدلة ، تواضعاً ، كما أجيب بذلك عن صنيع الإمام مالك رحمه الله تعالى فى موطئه . ولا يبعد أن يقال إنه حمد لفظاً ، أو ترك الحمد لضرورة النظم ، أو حمد بقوله تبارك المنزل للفرقان بناء على عدم اعتبار خصوص صيغة الحمد المشهورة ، لرواية بحمد الله فى حديث الحمد بالجر المفيدة لعموم الثناء (قوله ذى بال) أى حال وشأن يهتم به شرعاً ، فخرج بذلك سفاسف

---

(١) أى امتثالا ، من ائتمر الأمر أى امتثله .

تَبَارَكَ الْمُنْزِلُ لِلْفُرْقَانِ   عَلَى النَّبِيِّ عَطِرِ الْأَرْدَانِ

قال الناظم (تبارك[١]) وتعالى الله (المنزل) من الإنزال فاعل تبارك (للفرقان) أى القرآن[٢] ؛ وسمى فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل ، أى ميزها . (على النبىّ) وهو إنسان حر أوحى إليه بشرع ، سواء أمر بتبليغه للأمة أم لا ، والمراد به هنا سيدنا محمد ﷺ (عطرِ الأردان) أى طيب الأصول ، قال ﷺ : إن الله خلق الخلق[٣] ، فجعلنى من خيرهم[٤] ، من خير قرنهم[٥] ، ثم تخيَّرَ القبائل ، فجعلنى[٦] من خير قبيلة[٧] ، ثم تخير البيوت ، فجعلنى من خير بيوتهم[٨] ، فأنا خيرهم نَفْساً[٩] ، وخيرهم بيتاً[١٠] . والعَطِرِ بفتح

الأمور ، فلا يبدأ فيها بالبسملة ، وخرج ما كان بنفسه ذكراً كالأذان وما جعل الشارع فى الابتداء به صيغة معينة كالصلاة . ولا يقال إن رواية بذكر الله المطلقة تحمل على رواية الحمد حملا للمطلق على المقيد كما فى قواعد الأصول ، لأن ذلك محله إذا كان المقيد واحداً كآيتى القتل والظهار ، وأما لو كان المقيد متعدداً كحديثى البسملة والحمدلة المقيدين مع هذه الرواية العامة فإنه يسقط العمل بالمقيدين حينئذ ، لأن العمل بأحدهما ترجيح ومفوت للعمل بالآخر ، فيرجع العمل إلى المطلق ، وهذا الترجيح بحسب القواعد بقطع النظر عن الإسناد (قوله أى القرآن) فسر الفرقان هنا بالقرآن لقوله بعد ذلك على النبى عطر الأردان محمد صلى الله عليه وسلم ، ويطلق الفرقان أيضاً على التوراة لقوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان » الآية ، وذلك لأن معناه الوضعى الفارق بين الحق والباطل ، وفى هذا المعنى تشترك سائر الكتب المنزلة . والفرد الكامل فيها فى ذلك المعنى هو كتابنا العزيز ، كما يطلق القرآن على الزبور ، فقد روى القاضى عياض فى شفائه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج » يعنى الزبور . قال الشيخ المحقق محمد أبو عليان الشافعى : وهذا يفيد أن القرآن فى الأصل كل ما يقرأ ، فاختصاصه بالكتاب المحمدى إنما هو بطريق الغلبة اهـ (قوله إن الله خلق)

(١) أى اتصف بكل كمال ، أو تعالى وتنزه عما لا يليق به .
(٢) فالقرآن والفرقان : اسمان لمسمى واحد : وهو النظم الكريم ، وهما أشهر أسمائه ، ويليهما فى الشهرة : الكتاب ، والذكر ، والتنزيل .   (٣) أى المخلوقات من الإنس والجن .
(٤) أى من الإنس ، فهو أفضل أنواع المخلوقات .   (٥) أى من العرب .
(٦) أى قدر إيجادى .   (٧) أى من قريش ، فهى أفضل القبائل العربية .
(٨) أى من بنى هاشم .   (٩) أى روحاً وذاتاً .   (١٠) أى أصلا ونسباً .

مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ   مَعَ سَــلَامٍ دَائِمًا يَغْشَاهُ

فـكسر ، فى الأصل : اسم فاعل من عطِر كفرح ، يقال عطرت المرأة إذا تطيبت ، وهو بالجر صفة للنبيّ : والأردان : مضاف إليه وهو جمع رُدْن ، بضم فسكون : أصل الـكم ، والمراد هنا ، أصل النسب مجازاً بمرتبتين[1] ، بأن نقل منه إلى مطلق الأصل ، ثم إلى أصل النسب . وقوله تبارك الخ : مقتبس من قوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » الآية ، وهو نوع من محسِّنات البديع ، ويسوغ إن لم يكن فيـه تغيير كما هنا ، وفى قوله الفرقان : براعة استهلال ، كما لا يخفى . واعلم أن وصف التبارك جامع لـكل كمال ، مستلزم لنفى كل نقص ، وحينئذ فيحسن تفسيره فى كل مقام بما يناسبه[2] ، كما أفاده الصاوى (محمد) بالجر[3] : بدل من النبيّ ، وهو فى الأصل : اسم مفعول من حمد بالتشديد ، ثم جعل علماً على الحبيب الأعظم ﷺ وهو أشرف أسمائه (عليه صلى الله) أى رحمه ؛ لأن

الحديث رواه الترمذي (قوله مقتبس الخ) الاقتباس هو أن يضمن الكلام قرآناً أو حديثاً لا على أنه منه بل من غير تصريح بذلك ، وهو نوعان محول وثابت المعانى ، وحكمه المنع عند الإمام مالك رحمه الله تعالى سداً للذريعة ، قال فى عقود الجمان :

قلت وأما حـكمه فى الشرع   فمالك مشدد فى المنـع

وأما عند الجمهور فحكمه الجواز بشرط عدم التغيير الـكثير ، وبشرط استعماله فيما يليق من المعانى (قوله ويسوغ) أى يجوز إن لم يكن فيه تغيير واغتفر اليسير كقوله :

قد كان ما خفت أن يكونا   إنا إلى الله راجعـونا

وحجة من قال بجوازه حديث : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ورسالة سيدنا الحسن لسيدنا معاوية رضى الله عنهما حيث قال فيها : « وإن أدرى لعله فتنة » الآية ، وغير ذلك (قوله براعة استهلال) هى أن يذكر المتكلم فى فاتحة كلامه مايدل على مقصوده ، وتقابلها براعة المقطع وهى ماتؤذن بالختام (قوله بالجر الخ) هذا وجه جائز صحيح ، والأولى رفعه ليـكون أمس برفعة مقامه صلى الله عليه

(١) العلاقة فى المرتبة الأولى : الإطلاق ، وفى الثانية : التقييد .

(٢) فإذا كان المقام مقام تنزيه ، فسر بتعالى ، أو مقام إعطاء ، فسر بتكاثر وتزايد خيره ، أو مقام عظمة وكبرياء ، فسر بتعاظم . (٣) ويجوز الرفع ، وهو أحسن ، ليكون النبى ص مرفوعاً لفظاً ورتبة ، قال بعض النحاة : الأولى : أن يقرأ بالرفع خبراً لمبتدأ محذوف ، لما فيه من الكمال المناسب لمقام خيرالبرية .

وَآلِهِ وَصَحْبِـــهِ وَبَعْـدُ فَهٰذِهِ مِثْلُ الْجُمَانِ عِقْـدُ

الصلاة من الله رحمة (مع سلام) أى[1] تسليم ، متعلق بصلى (دائماً) متعلق بقوله (يغشاه) أى يعمه و يستره[2] ، صفة لسلام (وآله) بالجر عطفاً على محمد ، والأليق بالمراد هنا ، أعنى[3] فى مقام الدعاء : كل مؤمن[4] تقىّ لحديث فيه[5] (وصحبه) بالجر أيضاً عطف على ما عطف عليه آله ، وهو اسم جمع[6] لصاحب ، بمعنى الصحابىّ عند سيبويه ، وجمعٌ له عند الأخفش . (و بعدُ) الواو نائبة عن أمّا ، بدليل لزوم الفاء فى جوابه ، أى و بعد البسملة والتبارك والصلاة والسلام . (فهذه) المسائل المصورة فى الذهن ، أو الخارجة (مثلُ الْجُمان) بالرفع ، خبر المبتدأ ، والجمان بضم الجيم جمع جمانة بضمها أيضاً ، كما فى المختار ، حبة تعمل من الفضة كالدرة . (عِقْدٌ) بالرفع : بدل أو خبر بعد خبر ، أى كالعقد فى حسنها ،

وسلم ، وأبلغ فى الدلالة على المدح (قوله وهو أشرف الخ) أى لكثرة ذكره فى الأذان والإقامة والخطب والشهادتين والقرآن ولشهرته به (قوله صفة لسلام) أى لأن الجمل بعد النكرات صفات (قوله لحديث فيه) وهو : «آل محمد كل تقى» وهذا ظاهر إن أريد بتقى فيه من اتقى الشرك ، فيشمل العصاة فيليق حينئذ لمقام الدعاء . أما إن أريد بتقى من يمتثل الأوامر ويجتنب النواهى فهو أليق بمقام المدح (قوله اسم جمع لصاحب) أى لا جمع ، إذ ليس فى الجموع ما هو على وزن فعل ، بل هو من أوزان المفردات . قوله فى الذهن : أى وذلك إن وضعت الخطبة قبل التأليف (قوله أو الخارجة) أى إن كانت وضعت بعده . وفى مرجع

(١) أشار الشارح بهذا التفسير إلى أن سلام اسم مصدر لسلم ، أريد منه المصدر ولم يعبر به مناسبة للصلاة .

(٢) الأولى : حذف قوله يستره ، لأن نور النبي ص لا يستره شيء ما .

(٣) أى أريد بهنا .

(٤) ولا يقال إن الصلاة لا تجوز على غير الأنبياء ، لأن ذلك إذا كان استقلالا ، وأما تبعاً له ص كما هنا ، فتجوز بدون كراهة .

(٥) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط ، عن أنس بن مالك ، قال : سئل رسول الله ص : من آل محمد؟ فقال : آل محمد كل تقى .

(٦) الفرق بين اسم الجمع وبين الجمع : أن الثانى يدل على آحاده ، دلالة تكرار الواحد بالعطف ، وأن الأول يدل على آحاده دلالة الكل على أجزائه ، والغالب أن لا واحد له من لفظه ، كقوم ، وقد يكون كركب .

ضَمَّنْتُهَا عِلْماً هُوَ التَّفْسِيرُ بِدَايَةً لِمَنْ بِهِ يَحِيرُ
أَفْرَدْتُهَا نَظْماً مِنَ النُّقَايَهْ مُهَذِّباً نِظَامَهَا فِي غَايَهْ

ففيه تشبيه بليغ[1] ، والعقد : هى القلادة . والمعنى : فهذه المسائل مثل الحبوب المعمولة من الفضة ، مثلا فى حسنها ، وهى قد صارت عقداً ، ففيه مدح لتأليفه ، ترغيباً لطلابه ، ليكْثُرَ الانتفاع به ، فيكْثُرَ له الأجر . ثم قال (ضمنتها) أى المسائل (علماً) بالنصب ، مفعول ثان : أى جعلت تلك المسائل محتوية على علم (هو التفسيرُ) : مأخوذ من قولهم ضمنت الشىء كذا : أى جعلته محتوياً عليه (بدايةً) بالنصب : مفعول له ، أى ابتداء (لمن به) أى بعلم التفسير ، متعلق بقوله (يحير) بفتح حرف المضارعة : أى يتحير و يجهل ، والجملة صلة مَنْ ، والمعنى : جعلت ذلك لأجل البداية والابتداء لشخص يتحير بعلم التفسير و يجهله ؛ لكونه مبتدئاً فى تعلمه .

« تنبيه » ليس فى القاموس ولا في المختار ولا فى المصباح : يحير ، و إنما هو يحار ، بل صرح فى المصباح أنه من باب تعب ، فليحرر . ثم شرع الناظم فى بيان مأخذ هذا النظم ، فقال : (أفردتها) أى جعلت تلك المسائل مفردة مستقلة . (نظماً[2]) أى منظوماً ، نصب على الحال ، وقوله (من النُّقاية) : متعلق بأفردتها ، حال كونى (مهذباً) أى منقحاً (نظامها) أى ترتيبها (فى غاية) أى إلى غاية من التهذيب . ففى بمعنى إلى ، والنُّقاية بضم النون كخلاصة وزناً ومعنى ، ثم جعلت عَلَماً على كتاب للسُّيوطىّ مشتمل على أربعة عشر[3] علماً ، فهذا النظم أفرده الناظم منها . (والله) بالنصب مفعول مقدم ،

اسم الإشارة المذكور فى صدر الكتب احتمالات سبعة مشهورة ذكرها السيد ، والمراد بالذهن قوة مهيأة لأخذ صورَ الأشياء (قوله ترغيباً الخ) دفع لما يقال إن مدح الأعمال من الإعجاب

(١) أى تشبيه حذفت منه الأداة ووجه الشبه .
(٢) النظم فى اللغة : جمع اللؤلؤ فى السلك . والمراد به هنا : ضد النثر فى الكلام .
(٣) وهى أصول الدين والتفسير والحديث وأصول الفقه والفرائض والنحو والتصريف والخط والمعانى والبيان والبديع والتشريح والطب والتصوف .

وَاللهَ أَسْـتَهْدِى وَأَسْـتَعِينُ ... لِأَنَّهُ الْهَادِى وَمَنْ يُعِـينُ

حدُّ علم التفسير

عِلْمٌ بِهِ يُبْحَثُ عَنْ أَحْوَالِ ... كِتَابِنَا مِنْ جِهَةِ الْإِنْزَالِ

على التنازع[١] (أستهدى) أى أطلب الهداية (وأستعين) أى أطلب[٢] الإعانة . والمعنى : لا أطلبهما من غيره (لأنه) سبحانه وتعالى (الهادى) أى الدال على الحقّ (ومَنْ) : اسم موصول بمعنى الذى (يعين) غيره فى قضاء الحوائج ، أى لا غيره سبحانه وتعالى ، فالحصر فى الأول أفاده تقديم ما حقه التأخير ، وهو المفعول ، وفى الثانى تعريف الجزءين .

« واعلم » أن تقديم المتنازع فيه المنصوب : أجازه جماعة منهم الرضىّ ، بخلاف المتنازع فيه المرفوع ، فيبعد فيه الجواز ، كما فى الخضرىّ ، والله أعلم .

حد علم التفسير

أى علم أصول[٣] التفسير ، هو مأخوذ من قولهم : فسرتُ الشىء : إذا بَيَّنْتَه . وسمى

المحبط للأجر . وحاصل الجواب أن المدح وقع لغرض شرعى فأبيح ، فهو كقول سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام : إنى حفيظ عليم (**قوله مشتمل على أربعة عشر إلخ**) وقد نظمها الفاضل محمود بن عبد الحق السنباطى الشافعى ، وزاد عليها الحساب والعروض والمنطق ، وسمى ذلك النظم : ﴿ بروضة الفهوم فى نظم نقاية العلوم ﴾ وقد شرحها بعض أفاضل عصرنا ولما يطبع بعد .

﴿واعلم﴾ أنه لابد من معرفة مصطلح التفسير قبل قراءة التفسير ، ليكون الإنسان على بصيرة تامة فيه ، فيعرف المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ، ويترتب على ذلك فهم معانى الآيات ، ومن خاض التفسير قبل معرفة مصطلحه ، كان فى حيرة ، وقل

---

(١) الأحسن إبدال قوله التنازع بلفظ التعظيم ، لأن تقديم المتنازع فيه المنصوب غير مرضي عند فحول النحاة وأكثرهم ، منهم ابن مالك .

(٢) الأولى : زيادة منه بعد قوله أطلب حتى تخلص من باب التنازع .

(٣) سمى بذلك لأنه كمفتاح للمفسرين ، فمثله من هذه الناحية كمثل علم أصول الحديث ، المسمى بعلم المصطلح ، بالنسبة لمن أراد أن يدرس علم الحديث .

العلم المذكور تفسيراً ؛ لأنه يبين القرآن ويوضحه ، قال فى(١) النُّقاية ، وهو علم نفيس ، لم أقف على تأليف فيه لأحد المتقدمين ، حتى جاء شيخ الإسلام جلال الدين البُلْقِينِيّ(٢) . فدونه ونقحه ، وهذبه ورتبه فى كتاب سماه «مواقع العلوم من مواقع النجوم» فأتى بالعَجَب(٣) العُجَابِ ، وجعله خمسين نوعاً ، على نمط(٤) أنواع علوم الحديث . وقد استدركت عليه من الأنواع ضعف ما ذكره ، وتتبعت أشياء متعلقة بالأنواع التى ذكرها ، مما أهمله ، وأودعتها كتاباً سميته(٥) «التحبير ، فى علم التفسير» ، وصَدَّرْته(٦) بمقدمة فيها حدود مهمة ، ونقلت فيها جدوداً كثيرة للتفسير ليس هذا موضع بسطها ، فكان ابتداء(٧) استنباط هذا العلم من البلقينىّ ، وتمامه على يدى . وهكذا كل مستنبط يكونَ قليلا ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبُر (علم به) أى فيه وهو يتعلق بقوله (يبحث) بالبناء للمفعول : أى تعريف علم التفسير ، علم يبحث فيه أى فى ذلك العلم (عن أحوال كتابنا) معاشر المسلمين ، أى الكتاب المنزل إلى نبينا ، وهو القرآن ، فالإضافة للتشريف(٨) (من جهة الإنزال) أى(٩) نزوله كمكية أو مدنية أوسفرية أو نحوها ، والجار والمجرور : حال أو بيان للأحوال .

نشاطه والتبست عليه المقاصد (قوله وصغيراً ثم يكبر) أى وهذه حالة كل مبتدىء فى شىء لم يسبق إليه ومبتدع أمر لم يتقدم فيه عليه . وهذه العبارة التى ذكرها المصنف أصلها لابن الأثير فى مقدمة النهاية (قوله واعلم أن هذا الحد الخ) ذكر المصنف حده واسمه واقتصر على ذلك ، لأن ذلك يكفى فى تصور العلم بوجه الإجمال . وأما تصوره على وجه التفصيل ببصيرة تامة ، فيتوقف على ذكر جميع المبادىء ، وأما موضوعه فهو : كلام الله تعالى عز وجل من

---

(١) أى فى شرحها المسمى : إتمام الدراية لقراءة النقاية ، لا فى نفس المتن .

(٢) نسبة إلى بلقينة بضم الموحدة وكسر القاف : قرية بمصر .

(٣) العجب بفتحتين الأمر الذى يتعجب منه ، وكذا العجاب بضم العين وتشديد الجيم أكثر .

(٤) أى طريق .

(٥) قد فرغ السيوطى من تأليف تحبيره هذا سنة ٨٧٢ هـ . غير أنه لم يقنع بمجهوده هذا ، بل وضع كتابه الثانى « الإتقان فى علوم القرآن » وهو عمدة الباحثين والكاتبين فى هذا الفن .

(٦) أى جعلت له صدراً ، أى أولا .

(٧) أى ابتداء جمع وتدوين أنواع كثيرة من هذا العلم من الجلال البلقيى ، وإلا فالمعروف لدى الكاتبين فى تاريخ هذا العلم ، أن أول عهد ظهر فيه هذا العلم هو القرن السابع حيث ألف ابن الجوزى وعلم الدين السخاوى وغيرهما .

(٨) أى تشريف المضاف إليه . (٩) من إطلاق السبب على المسبب .

وَنَحْوِهِ بِالْخَمْسِ وَالْخَمْسِينَا ۞ قَدْ حُصِرَتْ أَنْوَاعُهُ يَقِينَا

(ونحوه) بالجر : عطفاً على الإنزال ، وذلك كسنده[١] وأدائه[٢] وألفاظه[٣] ومعانيه[٤] المتعلقة بألفاظه ، والمتعلقة[٥] بالأحكام ، وغير ذلك . واعلم أن هذا الحد لعلم التفسير ، بمعنى أصوله الذى هو كمصطلح الحديث ، لا بمعنى التبيين والتوضيح لألفاظ القرآن ، فإنه كما فى الصاوى : علم بأصول يعرف بها معانى كلام الله ، على حسب[٦] الطاقة البشرية (بالخمس والخمسينا) متعلق بحُصِرَت والألف للإطلاق (قد حُصِرت) أى جمعت (أنواعه)

الحيثية المذكورة . وفائدته : التوصل إلى فهم معانى القرآن والعمل بما فيه بعد الفهم . وثمرته : التمسك بالعروة الوثقى والفوز بالسعادة فى الدارين . وواضعه : الله تعالى ونبيه عليه الصلاة والسلام ، فهو علم إلهى نبوى . واستمداده من القرآن نفسه ، والسنة وأساليب العرب ، ومسائله : مايستفاد منه من أحكام وعقائد وأمثال ومواعظ . ونسبته : أنه من العلوم الدينية بل رئيسها لكونها مأخوذة من الكتاب ومتوقفة فى الاعتداد بعد الثبوت عليه . وفضله : أنه من أشرف العلوم وأجلها ، لأن العلوم إنما تشرف بشرف موضوعاتها . وموضوعه أجل وأشرف . وأما بيان الحاجة إليه فقد قال المحقق الألوسى : وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن المشتمل على الأحكام الشرعية ، التى هى مدار السعادة الأبدية ، وهى العروة الوثقى ، لا يهتدى إليها إلا بتوفيق من اللطيف الخبير ، حتى إن الصحابة رضى الله عنهم على علو كعبهم فى الفصاحة ، واستنارة بواطنهم بما أشرق عليهم من مشكاة النبوة — كانوا كثيراً مايرجعون إليه صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ، ولم تصل أفهامهم إليها ، بل ربما التبس عليهم الحال ، ففهموا غير ما أراده الملك المتعال ، كما وقع لعدى بن حاتم فى الخيط الأبيض والأسود . ولاشك أنا محتاجون إلى ماكانوا محتاجين إليه وزيادة اهـ (قوله قد حصرت الخ) الحصر قصر الشىء على بعض أفراده ، وإن شئت قلت : الحكم

(١) المراد به : ما يشمل كونه متواتراً أو آحاداً أو شاذاً .

(٢) بالهمز بعد الألف — لا بالياء — كما وقع فى المطبوعتين : المراد به ما يشمل كل طرق الأداء ، كالمد والإدغام .

(٣) المراد به مايتعلق باللفظ من ناحية كونه حقيقة أو مجازاً أو مشتركا أو مرادفاً أو صحيحاً أو معتلا أو معرباً أو مبنياً .

(٤) المراد به : ما يشمل الفصل والوصل .

(٥) المراد به : ماهو من قبيل العموم والخصوص والإحكام والنسخ .

(٦) هذا القيد لبيان أنه لا يقدح فى العلم بالتفسير عدم العلم بمراد الله فى نفس الأمر ولا عدم العلم بمعانى المتشابهات .

وَقَدْ حَوَتْهَا سِتَّةٌ عُقُودُ ... وَبَعْدَهَا خَاتِمَةٌ تَعُودُ
وَقَبْلَهَا لَابُدَّ مِنْ مُقَدِّمَهْ ... بِبَعْضِ مَا خُصِّصَ فِيهِ مُعْلِمَهْ

حصرا (يقينا ، وقد حوتها) أى شملت تلك الأنواع الخمس والخمسين (ستة) بالرفع على الفاعلية (عقود) بالرفع أيضاً على البدلية من ستة ، والعقود : جمع عقد ، وهى القلادة ، شبه الناظم كل جملة من المسائل بالعقد فى حسنها[1] . (وبعدها) أى الستة العقود (خاتمة تعود) وترجع مقاصدها إلى تلك الأنواع (وقبلها) أى الستة العقود (لا بد) أى لا محالة (من مقدمه) مبينة بعض الأحكام والمسائل التى اختص بها علم التفسير وذلك : كتعريف القرآن ، والآية ، والسورة ، وغيرها كما قال الناظم (ببعض ما خصص فيه) أى فى علم التفسير (معلمه) من الإعلام : أى مشعرة ، وهو صفة لمقدمة ، والله أعلم .

بعدم خروج الأقسام عن المقسم ، وهو عقلى : إن جزم العقل بالانحصار من غير توقف على النظر فى الخارج . واستقرائى : إن وقع الحصر بالتتبع والاستقراء ، وجعلى : وهو ما يكون بجعل الجاعل كحصر البيت فى باب واحد ، فإن ذلك بجعل البانى . والحصر هنا جعلى بجعل المصنف ، ولا يصح جعله استقرائياً ، لأن فى التحبير مائة ونوعين ذكرها الجلال رحمه الله تعالى ، أما جعله استقرائياً بالنسبة للسامع باستقراء أجزاء الكتاب فبعيد ، لأن العبرة بالاستقراء المطلق عن التقييد بمؤلف خاص .

(قوله القرآن الخ) هو كلام الله العظيم ، وصراطه المستقيم ، وحجته الدامغة ونوره الساطع وسيفه القاطع لأعناق الكفرة ، ومنهله العذب الراوى من ظمأ الجهالة ، وعلمه الهادى من الضلالة ، وهو ينبوع الحكمة وميزان العدل ، وملاك كل الأمور ، معجزة المعجزات وآية الآيات ، يبقى بقاء الدهور محفوظاً من أيدى المحرفين ، يتلى ويروى ولا يمل ، لذيذ الأسلوب فصيح التركيب ، فيه آيات بينات ، ودلائل واضحات وأخبار صادقة ، ومواعظ رائقة ، وشرائع راقية وآداب عالية ، بعبارات تأخذ بالألباب ، وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتى بمثلها ، ويفكر فى محاكاتها ، فهو آية الله

---

(١) أى فى نفاستها . هذا ، والأولى إجراء الكلام بالكناية ، بأن يقال : شبهت المسائل النفيسة بالجواهر الثمينة . وإثبات العقود ترشيح كما لا يخفى .

الدائمة ، وحجته الخالدة ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغه قومه ، وهم فحول البلاغة وأمراء الكلام ، وأباة الضيم وأرباب الأنفة والحمية ، فبهرهم بيانه ، وأذهلهم افتناناته ، فاهتدى به من صح نظره ، واستحكم عقله ولطف ذوقه ، وصد عنه أهل العناد ، والمكابرة واللجاج ، فتحداهم أن يأتوا بمثله فنكصوا ثم بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فانقطعوا ، فأفحم البلغاء ، وأسكت الخطباء ، وأدلى بالبرهان فانتصر لحق الإعجاز : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

فإذا تدبرت آياته وسوره ، تجدها بلغت نهاية الإعجاز . أما من حيث الأغراض والمقاصد فتجده يتكلم فى كل موضوع بغاية الإبانة والجلاء ، ونهاية الإصابة والسداد ، فمن تشريع خالد وتهذيب بارع ، وتعليم جامع وأدب بالغ ، وإرشاد شامل وقصص واعظ ، ومثل سائر ، إلى حكمة بالغة ، ووعد ووعيد ، وإخبار بمغيب ، وغير ذلك من الأغراض والمقاصد ، وقواعد التشريع فى العبادات والمعاملات ، تلك القواعد التى لو اجتمع علماء التشريع من يوم أن خلق الله السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة ، وتآزروا وتعاونوا ، لما أمكنهم أن يضعوا من أصول وقواعد العبادات مثل ماجاء فى القرآن الشريف ، ولما أمكنهم أن يضعوا من أصول التشريع فى المعاملات ، مثل ماجاء فى القرآن الكريم من القواعد . تلك القواعد الكافلة لانتظام شمل العالم من جميع الوجوه فى تقرير الحدود والعقوبات ، وفى إقامة العدل فى الحقوق المدنية ، وغير ذلك مما تعبت فيه فطاحل الفلاسفة وأهل الشرائع الوضعية الذين تراهم الآن يحورون ويبدلون فى مواد قوانينهم ، وكل أمة تضع قانوناً مخالفاً لقانون غيرها مع نسخ فى المواد وإصلاح فى مواضعها ، ولم يهتدوا إلى الآن إلى وضع قانون جامع لشتاتها كافل لراحة البشر .

ولقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم إلا فى فن واحد من أنواع القول ، فمن يبرع فى الخطابة لا ينبغ فى الشعر ، ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ، ومن يستعذب منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ، ولأمر ما ضربوا المثل : بامرىء القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب ، والنابغة إذا رهب .

وأما من جهة ألفاظه وأساليبه فلا تجد منه إلا عذوبة فى اللفظ وتفوقاً فى الأساليب وتجاذباً فى التراكيب ، ومناسبة فى الكلمات والآيات ، ليس فيها وحشى متنافر ولا سوقى مبتذل ، ولا تعبير عويص من باب الألغاز ، ولا فواصل متعملة ، مع شيوع ذلك فى كلام البلغاء وأهل الفصاحة المترونين ، حتى إنك لترى الجملة المقتبسة منه فى كلام أفصح الفصحاء

منهم ، ترفعه جمالا وتشمله نوراً وتكسوه روعة وجلالا ، إلى إجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية للعربي وتصريح للأعجمي وغير هذا مما يقصر عن إحصائه الإلمام « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام » .

وأما من جهة معانيه فإنك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون ، لاطراد صدقها وقرب تناولها واطمئنان النفوس إليها ، وابتكارها البديع على غير مثال معهود ، من حجج باهرة وبراهين قاطعة ، وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة ، على تمازج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابر . فهو في جملته نزهة النفوس وشفاء الصدور ، فهو الكتاب الخالد الذي لا تبديل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقض ، لا تنال معانيه جميعاً عقول البشر ولا تحيط بفهمها القوى والقدر ، صالح لجميع الأمم ، كافل للسعادة في كل زمان ومكان ، نظمه رائق وطرازه فائق ، وآياته منسجمة وفواصله غريبة ، واستهلاله جميل ووصفه سام ، لا يمكن المسير إلى قراره ، واستكناه أسراره ، على مختلف العصور وتعاقب الدهور ، قوله جزل وحكمه فصل ، تبلى الأمم وهو على جدته ، وتختلف الدهور وهو على حالته « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . تولى الله سبحانه وتعالى حفظه صيانة له ليبقى آية ناطقة بالحق ، وحجة قائمة على العالمين أبد الدهر ، ومعجزة دائمة لخاتم أنبيائه صلوات الله عليهم إلى يوم الدين . فلم يزل ولا يزال محفوظاً بحفظه مرعياً بكلاءته ، مصوناً بحمايته باقياً ظاهراً حتى يأتي أمر الله .

كما تكفل بحفظه وبيان معناه من لا ينطق عن الهوى ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » أي من الأحكام والشرائع والأمثال والمواعظ ، وسير القرون الخالية ، وقصص الأمم الماضية ، والعلوم الكونية والنواميس العمرانية وغير ذلك مما حواه الذكر الحكيم من الأسرار التي لا تحصى ، والعجائب التي لا تستقصى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » حكم شامل قاطع دائم ، لا يمكن أن يصدر من أحد ، لا علم له بما يتجدد به على طول الزمان ، وإنما هو حكم الله الواهب القوى ، المطلع على ما كان وما سيكون العالم بأن القرآن الكريم خارج عن طاقة البشر ، معجز كل من رام معارضته أو أراد مناهضته . وإذاً لا يكون القرآن من كلام إنسان بل هو « تنزيل من حكيم حميد » جاء القرآن الشريف نخاطب القلوب بالموعظة والعقول بالدليل ولفت النظر إلى ما في الكون من آيات وعبر ، فانطلقت به الأفكار من قيودها وتحركت بعد خمودها وجمودها ، فاستبان الحق ووضح النهج وقامت الحجة وانزاحت الشبهة .

ولقد كان للعرب أن يجمعوا من البلغاء والفصحاء من شاءوا كما كانوا يجتمعون للمباهاة

والمباراة بالقول ، فيأتون بشيء من مثل ما أتى به ليبطلوا حجته وليربأوا بأنفسهم من عار الغلب ويصونوا دماءهم التى سفكها عنادهم واستكبارهم ، ولكنهم لم يجترئوا على شيء من ذلك ولم يقدموا عليه مع طول زمن التحدى وإمعانهم فى التكذيب والتعدى ، وإذا عجز العرب عن المعارضة كان غيرهم أشد عجزاً .

جاء القرآن العظيم مشيراً إلى أمور كونية وأسرار إلهية كشفها العلم وأثبتها البحث كقوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » وقوله : «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» .

نزل القرآن بهذا اللسان العربى الفصيح فى عصر كانت البلاغة عند العرب فى ريعان شبابها ورونقها ، والقوم كانوا يتفاخرون بأشعارهم حتى بلغت بهم الحالة إلى أنهم يسجدون للبيت البالغ من الشعر ، وعلقوا أشعارهم فى الكعبة المشرفة اعتزازاً بها وشهادة لهم بالنبوغ فى البيان. ولما عجزوا عن معارضته جحدوا فضله تعصباً لمعبوداتهم وتمسكا بمعتقداتهم ، فقالوا إنه قول شاعر ، قال تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ، فقالوا إنه قول كاهن ، فقال تعالى : « وما هو بقول كاهن قليلا ما تذكرون » فقالوا إنه أساطير الأولين ، فقال تعالى : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون » ، فقالوا إنه يتقوله على ربه ، فقال تعالى : «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» .

فتبين لك بهذا أن العرب وهم أفصح الناس بياناً قد عجزوا عن تحدى القرآن الشريف لما فيه من المعانى البالغة والمواعظ الحسنة وضروب الأمثال وجوامع الكلم التى تشفى العلة وتبرد الغلة ، فما بالك بغير الناطقين بالضاد من جميع أصناف البشر ؟ لاشك أنهم أقصر باعاً وأعجز همة وأحقر من أن يتحدى أحد هذا القرآن الكريم . والرسول صلى الله عليه وسلم الذى بلغهم هذا القرآن كان أمياً لم يعلمه معلم ولم يلقنه ملقن ولم يكن فى نشأته من الشعراء ولا من الخطباء حتى تكون مندوحة لاتهامه صلى الله عليه وسلم .

وقد أثر نزول القرآن مالم يؤثره أى كتاب — سماوياً كان أو غير سماوى — فى اللغة العربية التى نزل بها ، إذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلا وصانها من كل مايشوه خلقها ويذبل غضارتها ، فأصبحت هى اللغة الخالدة بين اللغات القديمة التى انطمست آثارها ، فقد أحدث فيها علوماً جمة وفنوناً شتى لم تخطر على قلب ولم يخطها قلم : منها اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والأدب والرسم والقراآت والتفسير والأصول والتوحيد والفقه ، فأصبح أولئك العرب ينابيع الحكمة ومصادر العلوم بعد أن كانوا فى رعى الشاء والإبل بين الشيح والقيصوم ، واشتغلوا بالقرآن عن عكاظهم ومجازهم ، حيث لم يجر على مألوفهم فى النثر المرسل والسجع الملتزم ، بل هو آيات وفواصل يشهد الذوق السليم بانتهاء الكلام عندها :

مُقَــــدِّمة

فَذَاكَ مَا عَلَى مُحَمَّـدٍ نَزَلْ   وَمِنْهُ الأُعْجَازُ بِسُورَةٍ حَصَلْ

مقـــدمة

أى هذه مقدمة فى بعض الحدود والأحكام التى اختص بها علم التفسير ، وهى مقدمة كتاب ؛ إذ هى مسائل تذكر أمام المقصود ، لارتباط بينها و بين المقصود ، لا مقدمة علم ، فإنها تصور العلم المشروع فيه : إما بوجه ما ، أو على بصيرة ، فيحصل الأول منهما بمجرد تصور حده . والثانى بتصوره بمباديه العشرة . و إذا عرفتِ ذلك (ف) أقول لك (ذاك)[1]

فتارة تكون سجعاً ، وطوراً تكون مواضعة وازدواجاً ، وأحياناً لا تكون هذا ولا ذاك . فنعمة الله علينا بإنزال القرآن — معشر المسلمين — نعمة جزيلة ومنة جليلة .

وحينما كان المسلمون فى الصدر الأول على النهج الذى رسم القرآن الشريف كانوا فى أعلى مراتب العز وأقصى درجات الشرف وهناء العيش ، ولما أهملنا أمر القرآن وتركنا تلاوته والعمل بما فيه تحولت الأحوال إلى نكد وساب ، فلا حول ولا قوة إلا بك ، يامقلب القلوب وفق قلوبنا وألسنتنا لتلاوة كتابك الكريم لنسير على منهاجه القويم على السير الذى ترضى به عنا . وقد قلت فى هذا المعنى حقق الله أملى وتجاوز عن سوء عملى :

ياقادة العلم هبوا وانشروا همماً   نطوى بها جهلنا حقاً ونزدجر
هيا إلى العلم والقرآن ننصره   أليس بالعلم والقرآن ننتصر ؟
هذا الكتاب الذى فيه سعادتنا   بشرى لنا فبه نسمو ونأتمر
الله أنزله ، بالحسن جمله ،   بالنور فضله ، ياقوم فاعتبروا
طابت عبارته ، فاقت بشارته ،   رقت إشارته ، فالنور يزدهر
العلم آيته ، والعدل شرعته ،   والسيف حجته ، تزهو به الفكر
فيه المواعظ والأمثال فائقة   ومنه تنتخب الأمثال والعبر
يارب وفق جميع المسلمين لما   فيه الصلاح وفيه النجح والظفر

(١) الإشارة للتعظيم ، حيث نزل المعقول منزلة المحسوس .

أى حد(١) القرآن عرفا(٢) (ما) أى : كلام(٣) نزل(٤) (على) سيدنا (محمد) ﷺ فالجار والمجرور متعلق بقوله (نزل و) الحال (منه) أى من ذلك الكلام (الاعجاز) للخلق (بسورة حصل) فالمعنى ، حد القرآن : كلام نزل على سيدنا محمد ﷺ ، والإعجاز(٥) منه حصل بسورة . فقوله كلام : جنس شامل لجميع(٦) الكلام ، وقوله نزل على سيدنا محمد : فصل مخرج للكلام النازل على غيره من الأنبياء ، كالتوراة والإنجيل وسائر الكتب والصحف . وقوله ومنه الإعجاز الخ : فصل ثان ، مخرج للأحاديث الربانية(٧) ، كحديث

(قوله حد القرآن) اعلم أن القرآن علم شخص كباقى أسماء الكتب والتراجم ، ومدلوله هو مجموع مركب من الألفاظ التى اتفق عليها القراء ومن الألفاظ غير المعينة التى اختلفوا فيها نحو « أأنذرتهم » بتسهيل وتحقيق ووصل الميم وعدمه . وتعدد القراآت لا يقدح فى التشخص القرآنى ، لما تقرر من أن تعدد الصفات لا يقدح فى تشخص الذات . وقيل إنه علم جنس وضع لنوع من الألفاظ حاضرة فى الذهن . وقيل إنه اسم جنس لقبوله أل . والأصح أنه علم شخص سواء قلنا بخصوصية المحل أو قلنا إنه اسم للمؤلف المخصوص الذى لا يتغير بتعدد محله . فإن قلت : إن مابين الدفتين يشتمل على أسماء السور وأعدادها فهل ذلك من القرآن ؟ قلت : المقصود بالقرآن مانقل عن النبى صلى الله عليه وسلم على وجه أنه قرآن كما لا يخفى . ثم إن الألفاظ المقدرة فى القرآن التى تتوقف دلالة بعض الألفاظ عليها ليست من القرآن وإن

(١) حدد الناظم القرآن ، لبيان أن هذا الاسم موضوع لهذا المسمى دون غيره ، وإلا فمسماه متشخص يغنى عن حده ، إذ لايقع معه فيه اشتباه ، نعم يقع اشتباه فى اسمه عند من لم يعرف أنه اسمه .

(٢) أى فى عرف الأصوليين والفقهاء وأهل العربية ، وشاركهم المتكلمون أيضاً .

(٣) لو عبر بدل كلام بلفظ لكان أولى ؛ لأن الكلام يشمل الكلام النفسى وإن خرج بقوله نزل .

(٤) النزول مطاوع الإنزال . وحيث إن المراد بالقرآن هنا : الكلام المعجز ، فمعنى إنزاله : الإعلام به مجازاً مرسلا بواسطة إثباته هو ، بالنسبة لإنزاله على قلب نبينا محمد ص ، أو بواسطة إثبات مايدل عليه من النقوش ، بالنسبة لإنزاله فى اللوح المحفوظ ، وفى بيت العزة من السماء الدنيا ، والعلاقة : اللزوم .

(٥) إعجاز القرآن فى الأصل : إثباته عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به ، ولكن هذا ليس مقصوداً لذاته ، بل المقصود لازمه ، وهو إظهار أن هذا القرآن حق وأن الرسول رسول صدق .

(٦) المفرد والمركب .

(٧) هذا بناء على أنها أنزل لفظها . وقيل : النازل المعنى ، والمعبر هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه : فهى خارجة بقوله نزل الخ .

الصحيحين : أنا عند ظن عبدى بى . ثم الاقتصار فى الحد على الإعجاز[١] ، وإن نزل القرآن لغيره[٢] أيضاً ، لأنه المحتاج إليه فى التمييز[٣] ، فهو الأهم . وأما القرآن لغة : فمأخوذ من القَرْء[٤] ، وهو الجمع .

« تنبيه » اختار ابن الهُمَام أن الإعجاز غير مقصود بالذات من الإنزال ، وإنما الإنزال للتدبر[٥] والتفكر ، وأما الإعجاز فتابع غير مقصود ، ولا شك أن حصوله بغير قصد أبلغ فى التعجيز ، وقد توقف فيه تلميذه ابن أبى شريف . قاله فى[٦] نشر البنود . وقوله بسورة الخ : بيان لأقل مايحصل به الإعجاز ، وهو بقدر أقصر سورة كالكوثر ، وإنما كان أقل الإعجاز بأقصر سورة لأنه لم يكن فى القرآن آية مفردة ، بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها ، فتكون ثلاث آيات . وزاد بعضهم فى الحد فقال : « المتعبد[٧] بتلاوته »

كانت مرادة له تعالى كما صرح به الشرقاوى على التحرير (قوله وإن أنزل القرآن لغيره الخ) وذلك كالتدبر لآياته والتذكر بمواعظه وبيان الأحكام والقصص والأمثال وغير ذلك (قوله اختار ابن الهمام) أى واستدل على مختاره بقوله تعالى : « ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » (قوله وإنما كان أقل الإعجاز الخ) وقيل إن الآية الواحدة معجزة أيضاً ، بل قيل إن الجملة الواحدة معجزة أيضاً ، ذكرهما القاضى عياض فى الشفاء . وقيل : المعجز إما سورة من الطوال وإما عشر سور من الأوساط ، واختاره السكاكى كما فى خاتمة المفتاح . لكن الأرجح ماذكر المصنف (قوله وزاد بعضهم) هو صاحب اللب (قوله ليخرج منسوخ التلاوة) إن قلت : إذا خرج منسوخ التلاوة بقسميه والشاذ من القرآن ومن السنة أيضاً لأن ماذكر ليس من

---

(١) أى بالإضافة إلى الإنزال ، فما عدا هذين الوصفين ليس من الصفات اللازمة للقرآن ، بدليل أن القرآن قد تحقق فعلا بهما دون سواهما على عهد النبوة .

(٢) أى كالمواعظ والأحكام والتدبر للآيات .

(٣) أى لأنه هو المميز عن غيره . وأما المواعظ والأحكام والتدبر ، فقد شاركه فيها الأحاديث وغيرها .

(٤) بفتح القاف ، هذا القول ضعيف والمختار أنه فى الأصل مصدر مرادف القراءة ، ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » .

(٥) أى التدبر لآياته ، والتفكر فى مواعظه .

(٦) اسم كتاب فى أصول الفقه ، شرح نظم مراقى الصعود ، كلاهما للعلامة سيدى عبد الله بن إبراهيم ابن الإمام العلوى توفى فى حدود الألف والمئتين والثلاثين .

(٧) أى يتعبد الله خلقه بتلاوته ، ويقربهم إليه ، ويأجرهم على مجرد ترديد لفظه ، ولو من غير فهمه ، فإذا ضموا إلى التلاوة فهما صادوا أجراً على أجر .

ليخرج منسوخُ التلاوة ، وفيه[١] أنه حكم من أحكام القرآن ، وهى لاتدخل فى الحدود ، وأجيب كما فى نشر البنود ، بأن الشىء قد يميز بذكر حكمه لمن تصوره ، بأمر شاركه فيه غيره ، كما إذا عرفتَ أنَّ من[٢] اللفظ المُنزل على محمد ﷺ ما نسخت تلاوته وما تعبد بتلاوته أبدا ، ولم تعلم عين القرآن منهما ، فيقال لك : هو اللفظ المنزل على سيدنا محمد ﷺ للإعجاز المتعبد بتلاوته .

أقواله عليه الصلاة والسلام ولم يبحث عنه بخصوصه ، فهل هو ساقط عن درجة الاعتبار أم مبحوث عنه فى غير الحديث والتفسير فالجواب : أن منسوخ التلاوة والحكم ، الظاهر سقوطه عن درجة الاعتبار من زمن الصحابة رضى الله عنهم ، بل من زمنه صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر فى تفسير قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله » . وأما منسوخ التلاوة دون الحكم والشاذ فقد يبحث عنهما المفسرون لإيضاح معنى لفظ قرآنى كما فى قوله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس » فإن المراد بالأخ والأخت يتضح باللفظ الذى قرأ به بعضهم وهو «من أم» وكما فى قوله تعالى : « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم » فإن مقدار الرضاعة المحرمة علم بما نسخ من قوله تعالى فى مواضع أخر « خمس رضعات معلومات يحرمن » وهلم جرا . وقد يبحث عنه الفقهاء عند استنباط الأحكام من القرآن والحديث ، فهو من لواحق الكتاب والحديث لا داخل فيهما ولامستقل بفن عنهما ، وإن ذكرت مباحث الشاذ فى فن القراآت . فعلم بهذا أن ذكر القراآت فى التفسير من حيث بيان معنى كل قراءة ورجوع بعضها إلى بعض لا من حيث روايتها وثبوتها ، فذلك فن خاص مستقل يسمى علم القراآت . وأما منسوخ الحكم دون التلاوه فقرآن معجز وإن كان الحكم منسوخاً . وفائدة إبقائه التعبد بتلاوته وشكر المولى فى نسخ الشديد بالسهل ، والتسليم لأمره وكمال تصرفه فى نسخ السهل بالشديد (قوله وهى لا تدخل فى الحدود) أى لما يلزم على ذلك من الدور ، لكن قال فى « نشر البنود » : والذى ظهر لى أن محل كون التعريف بالحكم دورا حيث حكم على المحدود به ثم عرفه به ، كأن يقول النحوى باب منصوبات الأسماء ثم ذكر منها الحال وعرفه بأنه وصف فضلة منتصب الخ ، أما إن عرف به ابتداء فلا دور فيه

---

(١) أى فيما زاده بعضهم نظر ، لأنه الخ .

(٢) لفظ من قد سقط فى طبعة فيض الخبير .

وَالسُّورَةُ الطَّائِفَةُ الْمُتَرْجَمَهْ   ثَلَاثُ آيٍ لِأَقَلِّهَا سِمَهْ

ثم قال (والسورة) أى حدها[١] (الطائفة) بالرفع : خبر أى جملة من القرآن (المترجمه) أى المسماة باسم خاص لها بتوقيف[٢] من النبي ﷺ ، بأن[٣] تذكر بذلك الاسم وتشتهر به . وهذا التعريف للكافيجى ، وهو الراجح . وقيل هى قطعة لها أول وآخر ، وفيه نظر ، فإنه صادق على الآية والقصة . قاله فى شرح النُّقاية « فائدة » : ما أثبت فى المصحف[٤] الآن من أسماء السور والأعشار[٥] : شيء ابتدعه[٦] الحجاج فى زمنه . ثم[٧] قال مبيناً لأقل السورة (ثلاث آى لأقلها) أى : السورة ، متعلق بقوله (سمه) أى علامة ،

لأنه من جملة خواص المحدود اهـ (قوله شيء ابتدعه الخ) كان القرآن الذى كتب بأمر سيدنا عثمان رضى الله عنه يسمى مصحف الإمام غير مشكول ولا منقوط ، وذلك لتيسير قراءته على الأوجه التى صح سماعها عن النبى صلى الله عليه وسلم من القراآت المتواترة الموافقة لرسم الإمام التى لا يتعارض معنى القرآن عليها . كقوله تعالى : وما ربك بغافل عما تعملون » قرىء بالتاء وبالياء . لكن لما دخل الأعاجم فى الإسلام وفشا اللحن فى الألسنة قام أبو الأسود الدؤلى بمهمة ضبطه فوضع للناس علامات ، فجعل الفتحة نقطة علوية والكسرة نقطة سفلية والضمة نقطة إلى الجانب والتنوين ، لكن هذه الطريقة لم تكن كافة للألسنة عن الخطأ . فدعا ذلك إلى نقط الحروف وشكلها وتقسيم القرآن ليسهل حفظه ، فقام بذلك نصر بن عاصم والحجاج والخليل بن أحمد الفراهيدى . ولم يزل الحفاظ والقراء يعتنون بالقرآن بالفصل بين

(١) أى فى الاصطلاح . وأما فى اللغة فتطلق بمعنى المنزلة .

(٢) أى بتعليم .

(٣) بيان المراد من التوقيف ، فدخل فيه الأسماء التى سماها بعض الصحابة أو التابعين ، كما سمى حذيفة سورة التوبة الفاضحة ، وسمى ابن عيينة الفاتحة بالواقية .

(٤) بزنة اسم المفعول وهو عبارة عن الأوراق التى جمع فيها القرآن مع ترتيب آياته وسوره على الوجه الذى أجمعت عليه الأمة أيام عثمان رضى الله عنه .

(٥) عطف على أسماء ، أى تقسيمها إلى أعشار ، وكذا إلى أرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب .

(٦) أى أحدثه بأخذ عن الصحابة ، فى وضع أسماء السور وباجتهاد منه فى تقسيمه إلى ماذكر ، ومن ثم تجد ابتداء الربع وسط القصة .

(٧) أتى الشارح بثم إشارة إلى أن كون أقلها ثلاث آيات ليس من تمام الحد ، بل هو بيان للواقع ، فلو فرض أن أقصر سورة آيتان لعجزوا أيضاً .

وذلك كالكوثر[1] ، وليس فى السور أقصر من ذلك . وهذا بناء على القول بعدم عد البسملة من القرآن فى كل سورة ، كما هو مذهب غير الشافعية . أو على القول بأنها منه لكنها ليست آية من السورة بل آية مستقلة للفصل ، كما هو وجه عند الشافعية ، وأما على الأصح عندهم من أنها آية من كل سورة ، فلا يكون أقل السور ثلاث آيات ، بل أقلها أربع .

« تتمة » : حاصل الكلام على البسملة : أن التى فى سورة النمل لا خلاف فى كونها من القرآن ، كما أنه لا خلاف فى التى فى أول براءة أنها ليست منه ، وإنما الخلاف فى التى فى أوائل السور ، فعند إمامنا الشافعى أنها آية من القرآن ومن كل سورة[2] ، وعند الإمام مالك أنها ليست آية من القرآن ، ولا من كل سورة[3] ، وعند أبى حنيفة أنها آية من القرآن لا من كل سورة ، وعند أحمد وأبى ثور أنها آية من الفاتحة فقط ، لا من كل سورة .

آياته وبيان علامات الوقف والابتداء وغير ذلك مما يعين على إحكام تلاوته ؛ وبهذا تعلم أن العناية بالقرآن لم يشهد التاريخ بمثلها لأى كتاب فى سائر العصور ، فلو اعتنينا بفهمه حق الفهم وتلاوته حق التلاوة ، إنا إذا قمنا بذلك أصلح الله أحوالنا وجعل لنا من أمرنا يسراً . وفق الله المسلمين لذلك بمنه آمين (قوله حاصل الكلام الخ) وأما حكم قراءتها فى الصلاة فعن الشافعى رحمه الله تعالى ومن تبعه تجب ، وعن الإمام مالك تكره فى الفرض ، وعن الإمامين أبى حنيفة وأحمد على المشهور عنهما تستحب . ثم عند الشافعية يسن الجهر بها وعند الحنفية لا يسن وعند

---

(١) الكاف استقصائية يدل عليه قوله وليس فى السور أقصر الخ . وأما أطول سورة فيه فسورة البقرة ، وهى خمس أو ست وثمانون ومئتا آية ، وأكثر آياتها من الآيات الطوال .

(٢) لكنها فى أول كل سورة آية برأسها أو هى مع أول آية من السورة آية . هذا مما نقل عن الشافعى فيه تردد ، وهذا أصح من قول من حمل تردد قول الشافعى على أنها هل هى من القرآن فى أول كل سورة وعمدة الشافعى فى ذلك هو أنه من أهل مكة وهم يثبتونها بين السورتين ، ويعدونها من أول الفاتحة آية ، وهو قرأ قراءة ابن كثير على اسماعيل القسط عن ابن كثير ، فاعتمد على قراءة ابن كثير ، لأنها متواترة بالنسبة إليه وإلى أهل مكة اهـ .

(٣) لأنها لم تتواتر فى أوائل السور ، وما لم يتواتر فليس بقرآن . قلنا نمنع كونها لم تتواتر فرب متواتر عند قوم دون آخرين ويكفى فى تواترها إثباتها فى مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف ، مع منعهم أن يكتب فى المصحف ما ليس منه كأسماء السور وآمين والأعشار .

وَالْآيَةُ الطَّائِفَةُ الْمَفْصُولَهْ   مِنْ كَلِمَاتٍ مِنْهُ وَالْمَفْضُولَهْ
مِنْهُ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ كَتَبَّتِ   وَالْفَاضِلُ الَّذْ مِنْهُ فِيهِ أَتَتِ

ثم شرع فى تعريف الآية ، فقال (والآية) أى حدها[١] (الطائفة) أى الجملة (المفصولة) أى المميزة بفصل[٢]، وهو آخر الآية حال كون تلك الطائفة (من كلمات منه) أى من القرآن (والمفضولة) وهو كلامه تعالى فى حق غيره (منه) أى من القرآن (على القول بـ) وجود (ه كـ) سورة (تبت) يدا أبى لهب (والفاضل) وهو كلام الله فى الله ، كما قال الناظم (الَّذْ) لغة فى الذى (منه) أى من الله (فيه) أى فى الله (أتت) أى تلك الآية . والظرفان متعلقان بأتت ، والجملة صلة اللذ ، وذلك كآية الـكرسى وسورة الفاتحة .

ثم القول بوجود الفاضل والمفضول فى آيات القرآن ، كما فى شرح النُّقاية هو الصواب

أبى إسحاق بخير اه (قوله وهو آخر الآية) ويسمى بالفاصلة ، وذلك توقيفى لامجال للقياس فيه كما لا يخفى ، وقيل بل منه ماهو قياس ولا محذور فيه لعدم الزيادة والنقصان .

﴿ واعلم ﴾ أن عدد آيات القرآن كما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية ، لـكن الستة الآلاف مجمع عليها ومازاد عليها مختلف فيه . أفاده الدانى رحمه الله تعالى . قال بعض العلماء سبب اختلاف السلف فى عدد الآى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآى للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة اه . وعدد سوره مائة وأربع عشرة سورة ، وعدد حروفه ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وأحد وسبعون حرفاً . ويترتب على معرفة الآى وعدها وفواصلها أحكام فقهية . منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات . ومنها اعتبارها فى الخطبة فإنه يجب عليه قراءة آية كاملة ولا يكفى شطرها . ومنها اعتبارها فى السورة التى تقرأ فى الصلاة وما يقوم مقامها . ومنها اعتبارها فى قراءة الليل ، ومنها اعتبارها فى الوقف عليها اه .

﴿ فائدة ﴾ قال فى الإتقان والحكمة فى تسوير القرآن سوراً تحقيق كون السورة معجزة

(١) أى فى الاصطلاح . وأما فى لسان اللغة فتطلق على المعجزة ، والعلامة، والعبرة ، والأمر العجيب، والجماعة ، والبرهان .   (٢) أى بالفاصلة وهى الـكلمة التى تـكون آخر الآية ، نظيرها « قرينة السجع » فى النثر ، وقافية البيت فى الشعر .

الذى ذكره ابن عبد السلام والأكثرون[١] ، لورود النصوص بالتفضيل ، كحديث البخارى : أعظم سورة[٢] فى القرآن الفاتحة ، وحديث مسلم : أعظم آية[٣] فى القرآن آية الكرسى ، وحديث الترمذى : سيدة آى القرآن آية الكرسى ، وسنام[٤] القرآن : البقرة ، وغير ذلك . ومن ذهب إلى المنع قال : لئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه . ثم قال : وقد ظهر لى أن القرآن ينقسم إلى أفضل وفاضل ومفضول ، لأن كلام الله بعضه أفضل من بعض

بمجردها وآية من آيات الله ، والإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل ؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك والسور سوراً طوالا وقصاراً وأوساطا التنبيه على أن الطوال ليست من شروط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز سورة البقرة . ثم ظهرت لذلك حكمة فى التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه اه . ومن فوائد ذلك أيضاً أن القارىء كلما ختم سورة نشط لما بعدها واستمر على حفظه واعتقد أنه أخذ من الكتاب العزيز طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده المحفوظ . ومنها ضم المتناسبات بعضها لبعض وبذلك تتوضح المعانى وتتجلى البلاغة فى أبهى حللها اه ملخصاً من الكشاف (قوله ومن ذهب إلى المنع) منهم الإمام مالك رضى الله عنه ، ولذا ذهب إلى كراهية أن تردد سورة وتعاد دون غيرها .

ثم اعلم أن المراد بتفضيل بعض القرآن على بعض عند القائلين بالجواز أمور (الأول) أن العمل بآية مثلا أولى من العمل بأخرى وأعود على الناس بالفائدة ، فآيات الأحكام خير من آيات القصص على هذا (والثانى) أن مدلولات آيات التوحيد والصفات أسنى وأجل من مدلولات غيرها (والثالث) أن قارىء بعض الآيات يتعجل له بقراءتها فائدة سوى ثواب التلاوة والتدبر كآية الكرسى ، فإنه يتعجل بقراءتها الاحتراز عما يخشى والسلامة مما يحذر .

---

(١) مثل إسحاق بن راهويه والبيهقى وابن العربى .

(٢) أى أكثرها ثواباً .

(٣) أى أكثر آيات القرآن ثوابا لقارئها ، لاشتمالها على أسماء الذات والصفات ، إظهارا وإضمارا قال الشمس الحفنى فى شرحه على الجامع الصغير : والمختار أن فضل بعض السور والآيات ، إنما هو بالنسبة إلى الثواب فقط اه .

(٤) أى أعلاه ثوابا

بِغَيْرِ لَفْظِ الْعَرَبِيِّ تَحْرُمُ قِرَاءَةٌ وَأَنْ بِهِ يُتَرْجَمُ

كفضل الفاتحة وآية الكرسى على غيرهما . ثم قال : (بغير لفظ العربى) الظرف متعلق بقوله قراءة (تحرم قراءة) بالرفع فاعل أى قراءة القرآن (وأنْ به يترجَم) بفتح الهمزة ، والمصدر المنسبك عطف على بغير لفظ العربىّ عطف تفسير[1] . والمعنى تحرم قراءة[2] القرآن بغير اللفظ العربى ، وبالمترجم به ، لأنه[3] يذهب إعجازه الذى أنزل له ، ولهذا[4] يترجم للعاجز عن الذكر فى الصلاة ، ولا يترجم عن القرآن ، بل ينتقل[5] إلى قراءة بدله .

« فائدة » الفرق بين الترجمة والتفسير والتأويل : أن الترجمة : هو تبيين الكلام[6] أو اللغة[7] بلغة أخرى كما قيل :

(قوله أن الترجمة الخ) اعلم أن الترجمة لغة النقل ، وعرفاً قسمان : ترجمة معنوية تفسيرية ، وهى عبارة عن بيان معنى الكلام وشرحه بلغة أخرى من غير تقييد بحرفية النظم ومراعاة أسلوب الأصل وترتيبه ، وترجمة حرفية وهى إبدال ألفاظ الأصل بألفاظ أخرى مرادفة لها من لغة أخرى ، فليس فيها تصرف فى المعنى الأصلى ، وإنما التصرف فى نظمه بمحاولة إبدال لغته بلغة أخرى ، فهو خلع ثوب وإبداله بثوب آخر مع كون اللابس واحداً . فترجمة القرآن ترجمة حرفية بالمثل غير معقولة ولا مقدورة ، والعلماء متفقون على عدم إمكانها فضلا عن وقوعها . وإنما موضع البحث هى الترجمة الحرفية بدون المثل بأن تكون باعتبار ما يدل عليه

(١) الأولى جعله عطفا على قراءة عطف مغاير ، أى وتحرم ترجمة القرآن بغير اللسان العربى ، بمعنى نقله إلى لغة غير عربية ، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده ، فالمراد بالترجمة المحرمة هى الترجمة العرفية ، سواء كانت ترجمة حرفية أم تفسيرية ، فيحرم على الشخص محاولتها .

(٢) سواء أمكنته العربية أم عجز عنها ، وسواء أكان فى الصلاة أم فى غيرها ، وسواء أكانت اللغة التى ترجم إليها القرآن شرقية أم غربية .

(٣) أى لأن الترجمة (٤) أى ولأجل حرمة القراءة بغير لفظ العربى .

(٥) فإن أتى بترجمة الفاتحة فى صلاة بدلا عن قراءتها ، لم تصح صلاته ، وبه قال جماهير أهل العلم

(٦) مطلقا : سواء اتحدت اللغة أم اختلفت .

(٧) أو لتنويع المعنى اللغوى ، أى ويطلق فى اللغة العربية أيضا بمعنى أخص ، وهو تبيين الكلام بلغة غير لغته . هذا ويطلق فى اللغة أيضا على نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى ، وبهذا خصها أهل العرف العام ، حيث قالوا : هى معنى كلام فى لغة بكلام آخر من لغة أخرى ، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده ، فإن روعى فيها محاكاة الأصل فى نظمه وترتيبه ، سميت ترجمة تفسيرية .

النظم من المعانى الأولية والخصائص البلاغية التى تدخل تحت مقدور اللغة المترجم إليها والمترجم نفسه ، وذلك متفاوت قطعاً ، وهذا النوع ممتنع أيضاً لما فيه من الركاكة والتبديل لنظم الكتاب والتعدد والاختلاف فى مدلولاته .

وإنك إذا نظرت إلى المترجمين حينما يحاولون ترجمة كتاب من وضع البشر يمكن الوصول إلى قراره ومعرفة أسراره تجد تراجمهم مختلفة فى الألفاظ والأساليب وتحديد غرض المؤلف والإحاطة بمراده ، حتى إنك لتكاد تحكم بأنها لم تصدر عن مورد واحد . وذلك كله يرجع لأسباب : منها قصور الفهم . ومنها فقد اللغة المترجم إليها خصائص اللغة المترجم منها . ومنها قصور الترجمة لخيانة المترجم أو نحوه . وإذا كان هذا فى ترجمة كتاب البشر ، فكيف فى ترجمة كلام واهب القوى والقدر ؟

ومن حقق النظر فى آية الوصية وهى قوله تعالى « فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه » علم أنها تجر بذيلها على المتعرضين لترجمة القرآن جراً أولياً ، لأن الوصية فى المال دون الوصية فى الدين وقوام أساسه المتين ، وقد أوصانا الله بحفظ كتابه وصيانته من التغيير والتبديل ، وذم علماء الكتاب المحرفين فقال تعالى : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب » فهذه الآية لايبعد أن تسحب حكمها على لى الألسن بترجمة القرآن ترجمة حرفية ، لأن ذلك مظنة لعبث الأيدى به والاستغناء عنه بغيره وذريعة لتقلص ظله وانتهاك حرمته . فهى ضرب من التغيير والتبديل فيما تولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حفظه وأمرنا بالمحافظة عليه ، فلو وقع ذلك اشتغل الناس عنه وانكبوا على تراجمه .

وإن لنا فى قصة الفاروق رضى الله عنه لعبرة وذكرى ، حينما امتنع من كتابة السنن خشية أن تلتبس بالقرآن ، فقال إنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى . فانظر إلى جهة سد الذريعة فى هذه النازلة مع أنها دون نازلة الترجمة فيما لها من المساس بكتاب الله تعالى وقرآنه المجيد !

على أن علماء تحليل اللغات اتفقوا على أن المقومات والعناصر التي فى اللغة العربية أتم وأكمل من أى لغة أخرى ، ذلك لأنها غنية بوفرة مفرداتها وتفوق أساليبها وصلاحيتها لكل ما يراد منها من دين ودنيا وأخلاق وأدب واجتماع ، مع فصاحة فى ألفاظه وتفنن فى طرق تأدية المعنى الواحد ، ولذا لم تتحمل أى لغة كانت من اللغات بلاغة القرآن المجيد إلا هذه اللغة الشريفة . فترجمة القرآن العربى ترجمة حرفية لاتقع صحيحة وافية ولا تكون على الأصل كافية ، بل هى له عند التأمل منافية .

ولا يظن الجاهل أن الترجمة الحرفية ضرورية لتبليغ الدعوة الإسلامية ، لأنها لو كانت

كذلك لنص القرآن على طلبها أو بينت بقية الأدلة الشرعية طالباحتها أو قام بها العلماء فى الصدر الأول حينما كان الإسلام غضاً طرياً والدعوة إليه وإلى أحكامه نافذة فى جميع الجهات ، بل بلغ المسلمون من عصر النبوة إلى الآن والإسلام ينمو ويتسع بدون حاجة إلى الترجمة المذكورة . كان المسلمون فيما سلف يقتحمون للسيادة كل وعر ويركبون لإظهار دين الله كل خطر ويلبسون من برود البطولة والعدل وكرم الأخلاق ما يملأ عيون مخالفيهم مهابة وإكباراً . وكانت اللغة العربية تجر رداءها أينما رفعوا رايتهم وتنتشر فى كل واد وطئته أقدامهم ، فلم يشعروا فى دعوتهم إلى الإسلام بالحاجة إلى نقل معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية ، وربما كان عدم نقلها إلى غير العربية وهم فى تلك العزة والسلطان من أسباب إقبال غير العرب على معرفة لسان العرب ، حتى صارت أوطان أعجمية تفيض نطقاً بالعربية ، ذلك الأمر الذى جعل اللغة العربية تتقلب فى البلاد ، والقرآن يدرس باللسان الذى نزل به فى كل واد ، قد سكنت منذ حين ريحه وتقطعت أسبابه ، غشيت المسلمين فتن وناموا عن واجب الدعوة إلى سبيل ربهم ، فخسروا مظاهر عزهم وفقدوا الوسائل التى كانت تسعد اللغة العربية فتنطلق بها ألسنة المخالفين ويدخلون منها إلى الاطلاع على ما فى القرآن من بلاغة وحكمة .

ولا أدرى من أى ناحية يريدون ترجمة كتابنا العزيز : أمن ناحية أسلوبه وعباراته أم من ناحية دلالته وإشارته أم من ناحية مجمله وظاهره أم من ناحية مشكله ومتشابهه ؟ فليأتوا بحديث منه إن كانوا صادقين ! والأصولى البارع يعلم أن قاعدة درء المفاسد تقضى بمنع الترجمة منعاً باتاً ، إذ لا تفيد أهلها ولا تحفظ شكلها ، بل تبعد الأعاجم عن اعتقاد روعة القرآن وجلاله المهيب ، حيث يرون معانيه محقرة فى ثوب لغتهم الأعجمية .

وقد جمع سيدنا عثمان رضى الله عنه الناس فى القرآن على وجه واحد خشية التفرق والتنازع الناشىء من التعدد ، فكيف بالترجمة المتعددة المسببة للاختلاف فى المدلولات ؟ فالعجب من مسلم يؤيد موضوع الترجمة الحرفية وهو يعلم أن ذلك يؤدى إلى انتهاك حرمة هذا الحمى والتطاول على الكتاب العزيز ! إن ذلك ليس من النصيحة لكتاب الله تعالى فى شىء ، لأن القرآن عربى فى جميع أوضاعه ومراتب وجوده ، فقد أظهره الله فى اللوح المحفوظ عربياً وعلى ألسنة الملائكة الكرام عربياً ، وعلى لسان نبينا صلى الله عليه وسلم عربياً ، وأجمع المسلمون على كتابته وقراءته بالعربية ، ونوه بعربيته فى كثير من الآيات فقال : «إنا أنزلناه قرآناً عربياً» وقال : «أأعجمى وعربى؟» . فمن أراد ترجمته بالحرف فإنما أراد تغيير إعجازه وتبديل مقاصده وتحويل قبلته وهدم عربيته وحل الجامعة الإسلامية العربية وتفكيك الوحدة الشاملة . وإذا كان جل العلماء كرهوا كتابته بالرسم الإملائى وحثوا على كتابته بالرسم العثمانى ، فترجمته الحرفية التى فيها التعدد رسماً ولغة ومدلولا أحق بالمنع وأجدر .

وقد أخرج الثلاثة وأبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، واستثنوا من ذلك نحو الآية والآيتين. وفى كتب المالكية: وحرم إرسال مصحف أو جزئه ماعدا آية أو آيتين لكافر خشية إهانته أو إصابة نجاسة له أو نحو ذلك. فالخير الآن كله فى الانصراف عن ترجمته إلى ترجمة أحكامه الشرعية مع التعظيم للكتاب والتوقير للسنة.

أما الترجمة التفسيرية المعنوية لأحكامه فجائزة اتفاقاً بشرط التثبت فى النقل والتحرى لأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السنة، فيكون تفسيراً موجزاً صحيحاً كافياً على قدر المستطاع، ويعتبر بياناً لا قرآناً وتبليغاً لأحكامه لا معجزاً وتبياناً، وينبغى أن يكون ذلك مقروناً ببيان حكم التشريع ومقاصده حتى تتجلى للأعجمى محاسن الدين الحنيف وأسرار الشرع المنيف، وبذلك تتم حاجته وتتمكن دعوته، فإذا عرف المحاسن سمت نفسه لتعلم لغة القرآن ليتعبد بتلاوته. هذا هو السبيل المشروع فى الدعوة إلى الإسلام والصراط المستقيم لمن يبغى الوصول لدار السلام. وإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

أما مانسب للإمام أبى حنيفة رضى الله عنه من جواز القراءة بالفارسية للعاجز عن العربية فى الصلاة فقد ثبت عن أبى بكر الرازى وجماعة من الأصحاب رجوع الإمام عن ذلك إلى قول الصاحبين وعليه الاعتماد، والمجتهد إذا رجع عن قول لا يعد ذلك القول المرجوع عنه قولا له، لأنه لم يرجع عنه إلا بعد أن ظهر له أنه ليس بصواب.

وخلاصة البحث أن الخلاف فى القراءة فى الصلاة بغير العربية يرجع إلى مذهبين: أولها أن ذلك محظور والصلاة بهذه القراءه غير صحيحة، وهو مذهب الجمهور من أئمة الدين. وثانيهما جواز القراءة بالأعجمية عند العجز عن النطق بالعربية، وهو مذهب الإمامين أبى يوسف ومحمد بن الحسن رحمهما الله تعالى. ولا يعد بجانب هذين الإمامين مايعزى للإمام أبى حنيفة من صحة القراءة بالفارسية ولو للقادر على العربية، لما عرفت من صحة رجوع الإمام عنه، حكى هذا الرجوع عبد العزيز فى شرح البزدوى. قال صاحب البحر المحيط: والذين لم يطلعوا على الرجوع من أصحابه قالوا اراد به عند الضروة والعجز عن القرآن، فإذا لم يكن كذلك امتنع وحكم بزندقة فاعله، وليس الإلحاد ممن قدر أن يقرأ فى الصلاة بالعربية فعدل عنها إلى الأعجمية ببعيد.

قال القاضى أبو بكر بن العربى وهو من فقهاء المالكية فى تفسير قوله تعالى: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى» قال علماؤنا هذا يبطل قول أبى حنيفة

كَذَاكَ بِالْمَعْنَى ، وَأَنْ يُفَسَّرَا بِالرَّأْيِ ، لاَ تَأْوِيلَهُ ، فَحَرِّرَا

ـ ومن يفسر لغـةً بلغةٍ مترجِم عند أهيل اللغـة

وأن التفسير : هو التوضيح[1] لكلام الله تعالى ، أو رسوله ﷺ ، أو الآثار أو القواعد الأدبية[2] أو العقلية[3] . وأن التأويل : هو أن يكون الكلام محتملا لمعان ، فيقصر على بعضها الأَبْعَدِ بدليل ، كما فى « ويبقى وجه ربك » فإنه محتمل للوجه الحقيقى وهو الأقرب ، وللذات وهو بعيد ، فيقتصر على الثانى البعيد ، لاستحالة الأول (كذاك) أى مثل ذاك التحريم تحريم قراءته (بالمعنى) أى بخلاف الحديث ، فإنه يجوز روايته بالمعنى على المنصور . (و) تحريم (أن يفسرا) أى القرآن . فالألف للإطلاق . قوله (بالرأى)[4] متعلق بيفسر ،

رضى الله عنه إن ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية بالفارسية جائز ، لأن الله تعـالى قال : « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى ، نفى أن يكون للعجمة إليه طريق ، فكيف يصرف إلى مانفى الله عنه ، ثم قال : إن التبيان والإعجاز إنما يكون بلغة العرب ، فلو قلب إلى غير هذا لما كان قرآناً ولا بياناً ولا اقتضى إعجازاً .

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : إن كان القارىء قادراً على تلاوته باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزىء صلاته — أى بقراءة ترجمته — وإن كان عاجزاً . ثم ذكر أن الشارع قد جعل للعاجز عن القراءة بالعربية بدلا وهو الذكر .

وقال الشيخ ابن تيمية وهو من فقهاء الحنابلة فى الرسالة الملقبة بالسبعينية : وأما الإتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ القرآن فهذا غير ممكن أصلا ، وعلى هذا كان أئمة الدين ، على أنه

---

(١) سواء كان بلغة الأصل (اللغة العربية) أم بغيرها ، بطريق إجمالى أو تفصيلى ، متناولا كافة المعانى والمقاصد ، أو مقتصراً على بعضها دون بعض .

(٢) وهى أربعة عشر علماً : اللغة ، والاشتقاق ، والتصريف ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، والعروض ، والقوافى ، وقرض الشعر ، وإنشاء النثر ، والكتابة ، والقرآت ، والمحاضرات

(٣) كالمنطق ، والجدل وأصول الفقه ، والدين ، والعلم الإلهى ، والعلم الطبيعى ، والطب ، والفلك والفلسفة والكيمياء .

(٤) المراد بالرأى هنا : الاجتهاد . والتحقيق فى هذا المقام : هو أن الرأى إذا كان موفقاً أى مستنداً إلى مايجب الاستناد إليه ، بعيـداً عن الجهل والضلالة ، فالتفسير به جائز ومحمود ، وإلا فحرم ومذموم ، وعلى هذا يحمل الحديث المذكور .

وذلك لقوله ﷺ : من قال فى القرآن برأيه[1] أو بما[2] لا يعلم ، فليتبوأ[3] مقعده من النار . رواه أبو داود والترمذى وحسنه (لا تأويله) بالرأى . فلا يحرم للعالم بالقواعد ، والعارف بعلوم القرآن المحتاج إليها . والفرق بينهما كما فى شرح النقاية : أن التفسير شهادة على الله تعالى ، والقطع بأنه[4] عَنَى بهذا اللفظ هـذا المعنى مثلا ، فلم يجز إلا بنص من النبى ﷺ أو الصحابة الذين شاهدوا التنزيل والوحى ؛ ولهذا[5] جزم الحاكم فى المستدرك ، بأن تفسير

لا يجوز أن يقرأ بغير العربية لا مع القدرة عليها ولا مع العجز عنها ، لأن ذلك يخرجه عن أن يكون هو القرآن المنزل اهـ .

أما ترجمة الحديث النبوى فمسألة من فروع روايته بالمعنى ، فما اتفق على منع روايته بالمعنى كالمشكل والمشترك والمجمل والمتشابه وجوامع الكلم أو المصنفات المسموعة كما نص على ذلك النووى فى شرح مسلم فيمتنع ترجمته ، وما عدا ذلك فالأصح جواز روايته بالمعنى لعارف بما لا يحيل المعانى ، فتصح ترجمته بناء على ذلك .

وإنما أطلت الكلام فى هذا المقام لأنه ظهرت فى هذه الأزمان الأخيرة فتنة عمياء ومصيبة دهياء أصابت المسلمين فى صميم الدين وذلك بالدعوة إلى ترجمة الكتاب المبين ، فكان ذلك مقدمة لرفعه المذكور فى الأخبار ، فمن مصوب جاهل ومن ناقد فاضل ومن ساكت متساهل ، والأمر لله منزل الكتاب . وللشاطبى فى الموافقات فى هذا المقام كلام نفيس فراجعه إن شئت . وفقنا الله لحفظ كتابنا العزيز آمين .

(قوله أو بما لا يعلم الخ) يحتمل أن يراد أنه قال فى مشكل القرآن بغير علم فهذا معرض للسخط ، أو أنه قال قولا لا يعلم أن الحق غيره . قال الألوسى : والذى ينبغى أن يعول عليه أن من كان متبحراً فى علوم اللسان مترقياً منها إلى ذروة العرفان ، وله فى رياض العلوم الدينية أو فى مرتع وفى حياضها أصفى مكرع ، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد ، وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيق أحسن إقليد ، فذلك يجوز أن يرتقى من علم التفسير ذروته ، ويمتطى منه صهوته اهـ . فظهر أن محل النهى فى الأحاديث عن التفسير بالرأى إنما هو فى المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله ، وفيمن كان غير متحصل على العلوم التى ينبغى حصولها للمفسر ، وفيمن

---

(١) أى مما خطر بباله .
(٢) أى قولا يعلم أن الحق غيره ، أو من قال فى مشكله بما لا يعرف وإن صادف الصواب .
(٣) أى فليتخذ لنفسه نزلا فيها .
(٤) أى بأن الله تعالى . (٥) أى ولأجل مشاهدة الصحابة التنزيل والوحى .

الصحابة مطلقاً ، أى سواء كان ذُكِر فيه سببُ النزول[١] أم لا[٢] ، فى[٣] حكم المرفوع .
وأما التأويل : فهو ترجيح أحد المحتملات ، بدون القطع والشهادة على الله تعالى فاغتفر ، ولهذا[٤] اختلف جماعة من الصحابة والسلف فى تأويل آيات ، ولو كان عندهم فيها نصٌّ من النبي ﷺ لم يختلفوا ، وبعضهم منع التأويل أيضاً سدًّا للباب ، وقوله (فحررا) تكملة والله أعلم .

يجعل مذهبه أصلا ويرد القرآن بالحمل البعيد والتفسير الضعيف إليه ، كما هو شأن أهل الأهواء . أما مايرجع إلى معنى التراكيب ومدلولات المفردات فلا يتوقف على نقل كما ذكره الألوسى .
وهنا لا بأس أن نفيض القول فى هذا المقام لتحذير القاصر عن التفسير أن يدخل فى شيء منه قبل أن يتحقق بشروط المفسرين فنقول :

لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل يرجع إليه فى ذلك ، قال تعالى : «ولا تقف ماليس لك به علم» . وقال تعالى : «وأن تقولوا على الله مالاتعلمون» . وقد أسند الله تعالى وظيفة بيان القرآن إلى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » . فمن طلب البيان من غير طريق السنة النبوية فقد تنكب عن الصواب وضل سواء السبيل . ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى . وقال : « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه أبو داود ، وقال ابن عطية : ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ، وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر ، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه . قال العلامة القرطبي هذا صحيح وهو الذى اختاره غير واحد من العلماء ، فإن من قال فيه بما سنح فى وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطىء ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح .

---

(١) مثل قول جابر بن عبد الله رضى الله عنه : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها فى قبلها ، جاء الولد أحول ، فأنزل الله تعالى « نساؤكم حرث لكم » الآية . رواه مسلم .

(٢) مثل ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى « لواحة للبشر » قال : « تلقاهم جهنم يوم القيامة . فتلفحهم لفحة فلاتترك لحماً على عظم » . فتفسيره هذا فى حكم المرفوع . لأنه لامدخل للرأى فيه .

(٣) فى محل رفع خبر إن .

(٤) أى ولكون التأويل هو ترجيح أحد المحتملات ،

وأما قصر التفسير على السماع مطلقاً مع ترك الاستنباط فهذا ليس بمراد ، لأن الصحابة رضى الله عنهم قد قرأوا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه ، وليس كل ماقالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس وقال «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ، فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وهذا بين الإشكال فيه ؟

إنما النهى عن التفسير بالرأى محمول على أحد وجهين (أحدهما) أن يكون له فى الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح رأيه ، ولو لم يكن ذلك الرأى والهوى لكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنى ، وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذى يحتج ببعض آيت القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه . وتارة يكون مع الجهل وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه ، فيكون قد فسر برأيه ، أى رأيه حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه . وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه لم يرد به بل يبعد حمله عليه .

(ثانيهما) أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والاختصار والإضمار والتأخير والحذف ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهمه العربية ، كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القرآن برأيه . والنقل والسماع لابد له منه فى ظاهر التفسير ، أولا ليتق به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ، ولا مطمع فى الوصول فى الباطن قبل إحكام الظاهر ؛ ألا ترى قوله تعالى : «وآتينا ثمود الناقة مبصرة» معناه آية مبصرة ، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن الناقة كانت مبصرة ، مع أنه من باب الحذف والإضمار وأمثال هذا فى القرآن كثير ، وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهى إليه والله أعلم .

وقال العلامة محمد حسنين العدوى : ثم إن تفسير القرآن ثلاثة أقسام : الأول مالم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر الله به من علوم كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته . وهذا لايجوز لأحد الكلام فيه .

والثانى ما أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه عليه من أسرار الكتاب واختص به ، فلا يجوز الكلام فيه إلا له عليه الصلاة والسلام أو لمن أذن له . قيل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الأول .

والثالث علوم علمها الله تعالى نبيه مما أودع كتابه من المعانى الجلية والخفية وأمره بتعليمها ، وهذا ينقسم إلى قسمين : منه مالا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراآت واللغات وقصص الأمم وأخبار ماهو كائن . ومنه مايوصف بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ كاستنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية لأن مبناها على الأقيسة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات لايمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك .

وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأى الذى نهى عنه . وفيه خمسة أنواع : الأول التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير . الثانى تفسير المتشابه الذى لايعلمه إلا الله تعالى . الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأى طريق أمكن وإن كان ضعيفاً . الرابع التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل . الخامس التفسير بالاستحسان والهوى اه .

وقال الزمخشرى : من حق تفسير القرآن أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القوادح . وأما الذين تأيدت فطرتهم النفسية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة فى هذه المسالك ولا يمنعون أصلا من التوغل فى ذلك اه .

ومراده أن مراد الله سبحانه وتعالى من القرآن لا ينحصر فى هذا القدر لما ثبت فى الأحاديث « إن لكل آية ظهراً وبطناً » وذلك المراد الآخر لما لم يطلع عليه كل أحد ، بل من أعطى علماً وفهماً من لدنه تعالى ، وهو علم الموهبة المشار إليه بآية « واتقوا الله ويعلمكم الله » وحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » يكون الضابط فى صحته أن لا يرفع ظاهر المعانى المأخوذة من الألفاظ بالقوانين العربية ، وأن لا يخالف القواعد الشرعية ، وأن لا يباين إعجاز القرآن ولا يناقض النصوص الواقعة فيه ، فإن وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن ، وإلا فهو بمعزل من القبول . وبهذا تعلم الفرق بين تفسير أرباب الإشارات والباطنية والبهائية ، حيث إنهم يصرفون الآية عن معناها المنقول والمعقول إلى ما يوافق بغيتهم ، ويزعمون أنه مراد الله تعالى ، بخلاف أصحاب الإشارات فإنهم يستفيدون من وراء تلك المعانى الظاهرة معانى فيها مواعظ وذكرى على طريق الاعتبار . على أنهم نوزعوا فى ذلك . قال أبو بكر ابن العربى مؤيداً لهم فى كتاب القواصم والعواصم : جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها وأقروها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معانى غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ فعبروا إليها بالفكر واعتبروا منها فى سبيل الذكر اه .

وقال تاج الدين بن عطاء الله فى لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله

سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعانى الغريبة ليست إحالة الظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له ودلت عليه فى عرف اللسان ، وأما فهم الباطن من الآية والحديث فيكون لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء فى الحديث : لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع . فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل هذا إحالة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس ذلك بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لا يقولون ذلك بل يفسرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها اه .

واعلم أن العلماء ذكروا شرائط لمن يتعاطى التفسير ، وذلك بأن يعرف اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعانى والبيان والقراءات وأصول الدين والفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم ، وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله سبحانه وتعالى لمن عمل بما علم ، وهذه العلوم التى لا مندوحة للمفسر عنها ، وإلا فعلم التفسير لا بد له من التبحر فى كل العلوم اه .

والحاصل أنه ينبغى لمن تصدى لتفسير القرآن الكريم وما فيه من حكم وأحكام ، أن يراعى ما يأتى :

أولا — اللغة العربية مفرداتها ومركباتها وأساليبها ، وما اشتملت عليه من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وبيان واشتراك وترادف وحقيقة ومجاز وكناية ، وما يتعلق بكل هذه الأنواع من الأحكام الثابتة بالأدلة الصحيحة ، كحمل المطلق على المقيد وتخصيص العام وحمل المشترك على جميع معانيه أو بعضها عند القرينة ، وحمل الظاهر على ما يفيده إلا لدليل يقتضى تأويله ، وحمل اللفظ على حقيقته إلا لصارف يصرفه عنها . وكما تجب مراعاة ذلك تجب أيضاً مراعاة ماتقتضيه متانة الأسلوب وجزالة المعنى ، بحيث يكون النظم الكريم مرتبطاً بعضه ببعض متجاوب الأطراف . وعلى العموم تجب مراعاة ما تمس الحاجة إليه من علوم اللغة العربية على اختلافها ، كعلم متن اللغة والنحو والصرف وغيرها مما يتوقف عليه فهم المعنى فهماً ينتظم مع ما للقرآن من علو الأسلوب ومتانة التركيب وكونه قانوناً سماوياً يرجع إليه فى الاعتقاد والعمل . والدليل على ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » ، « بلسان عربى مبين » وهو أيضاً معجز للخلق عن معارضته والإتيان بمثله « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » فإعجازه على التحقيق بلفظه ومعناه ، فهو فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة . ومتى اتضح أن القرآن نزل بلغة العرب وأنه فى أعلى طبقات الفصاحة يجب أن يراعى فى تفسير ما يتناسب

مع ذلك بما عهد فى أساليب العرب وما عليه أوضاع اللغة العربية واستعمالاتها على التفصيل المدون فى علوم اللغة كما قدمناه .

ثانياً — أسباب النزول ، من الوقائع والحوادث التاريخية التى نزل فيها القرآن ، فإنه ليس من المعقول أن تكون الآية قد نزلت فى حادثة معينة ثم تفسر بما ينبو عن هذه الحادثة ، فإن هـذا لا يليق بكلام العقلاء فضلا عن كلام رب العزة الذى هو أصح كلام وأعلاه ، وليس مثل ذلك إلا مثل من يسأل عن أمر عجيب بما ليس له أدنى صلة بالسؤال ، ومثله لايعهد إلا فى كلام غير العقلاء . ولسنا نعنى من مراعاة أسباب النزول تقييد القرآن بها وقصره عليها ، وإنما نعنى أن سبب النزول يجب أن يكون من متناول اللفظ ، ولا نعنى كل سبب قيل مهما كان سنده ، وإنما نعنى الأسباب الثابتة بالأسانيد الصحيحة .

ثالثاً — مراعاة العقائد الثابتة بالأدلة القاطعة ، فإن أول مايدعو إليه القرآن الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، فيستحيل أن يكون فى القرآن ماينفى شيئاً من ذلك ويناقضه .

رابعاً — مراعاة السنة النبوية من قوله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، فإنه مبلغ عن الله ولا يأتى بما يناقض كتاب الله ، فالسنة النبوية على اختلاف أنواعها مبينة للقرآن الكريم بشهادة قوله تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » ونحن مأمورون باتباع بيانه لقوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وبهذا تعلم أن مراعاة السنة فى البيان القرآنى واجبة ، والشواهد على ذلك كثيرة ، فالصلاة لم تعلم كيفيتها إلا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وكذلك الحج احتاج بيانه إلى حجة الوداع لتقرر أحكامه ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «خذوا عنى مناسككم» وكذلك الزكاة احتاجت فى بيان مقدارها وتفصيل أحكامها إلى ذلك ، وليست مراعاة هذه الأمور فى تفسير القرآن من تحكيم الأوضاع والاصطلاحات فى القرآن أو إخراجه عن وضعه وجعله موافقاً لآراء قوم مخصوصين لم ينزل الله بها من سلطان ، مع أن القرآن فوق هذه الآراء والمصطلحات . لا لا . إنما ذلك رجوع للغة العربية التى نزل بها القرآن . إذ لا يعقل أن يفسر كلام متكلم بغير لغته . فإذا فسر اللفظ بلازم معناه فهذا يكون لقرينته عليه ، واللغة لا تمنعه بل توجبه متى لم يصلح المعنى الحقيقى . والمفسرون لا يحتاجون لهذا إلا فى مقام يقتضيه ورد لما يقتضيه قانون التخاطب بارتباط المنزل بالحوادث والوقائع التى نزل فيها كما فى مراعاة النزول ، وصون للقرآن من التناقض المنفى عنه بنفس القرآن كما فى مراعاة العقائد ، وتصديق

للقرآن الذى يخبر بأن السنة مبينة له ، وبأن الرسول عليه الصلاة والسلام واجب الطاعة على الأمة كما فى مراعاة السنة النبوية .

هذا وإن نظرة بسيطة فى القوانين الوضعية واللوائح ومايوضع لها من مذكرات تفسيرية تبين أغراضها ومراميها وشروح تحدد مقصود الواضع ويرجع إليها القضاء فى تطبيق الحوادث المعينة . من ألقى أقل نظر على ذلك أمكنه أن يحكم بأنه لا يصح تفسير القرآن مع إغفال اللغة العربية أو أسباب نزوله أو السنة النبوية التى يعلم صاحبها عليه الصلاة والسلام من القرآن مالا يعلمه أحد سواه من الأمة . نعم كان المتصدون لتفسير القرآن الكريم فى الصدر الأول كحبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى غنية عن هذه العلوم المدونة لأنهم كانوا عرباً بطبعهم وسليقتهم عالمين باللغة ومفرداتها وأساليبها وما يتوقف عليه فهم الكتاب العزيز من هذه الناحية . ومع ذلك كانوا يستعينون بأساليب من تقدمهم . ومن جهة أخرى كانوا عالمين بأسباب نزول القرآن بل ربما شاهدوها . وعالمين بالله تعالى وما يجب له ولأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ومايستحيل عليهم وغير ذلك . وكما أنهم يعلمون ذلك يعلمون أيضاً السنة النبوية على تفاصيلها بل هم رواتها وحماتها ؛ وعلى الجملة فعلوم القرآن حاضرة لديهم وعنهم أخذت ، لذلك لم يكن هناك تدوين لهذه الفنون ولا حاجة إلى مراجعة المدونات . ولله در القائل حيث قال :

إن العلوم وإن جلت محاسنها ... فتاجها ما به الإيمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز الله يحفظه ... وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فبه ... نور النبوة سن الشرع والأدبا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لها ... فاختر لنفسك يامن آثر الطلبا
والعلم كنز تجده فى معادنه ... يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب الله فيه أتت ... كل العلوم تدبره تر العجبا
واقرأ هديت حديث المصطفى فرحا ... وسل إلهك كى يقضى لك الأربا
من ذاق طعما لعلم الدين سر به ... إذا تزيد منه قال وا طربا

وما دعانى إلى الإطالة فى هذا المقام إلا جراءة بعض المتنطعين على تفسير الكتاب العزيز وحمله على ما يلائم العلوم الحديثة العصرية ، ولو كان فى ذلك خروج عن تفسير السلف وأصل المعنى ومقتضيات الأصول والقواعد . وإنا لنغار على حمى الكتاب العزيز أن يستبيحه كل جهول لا يميز بين الفاعل والمفعول ولا يدرى ما فسر به الإثبات والفحول . اللهم إنا نبرأ إليك من جراءة هؤلاء على كتابك العزيز ، ونسألك أن توفقنا لتفسيره الذى ترضى به عنا ، إنك سميع الدعاء . ولله در القائل :

ما العلم إلا كتاب الله أو أثر يهدى بنور سناه كل ملتبس
نور لملتمس ، هدى لمقتبس حمى لمحترس ، نعمى لمبتئس
فاعكف ببابهما على طلابهما تجلو العمى بهما عن كل ملتمس
ورد بقلبك عذباً من حياضهما تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس
واقف النبي وأتباع النبي وكن من نور هديهمو تدنو إلى قبس
والزم مجالسهم واحفظ مجالسهم واندب مدارسهم فى الأربع الدرس
واسلك طريقهمو واتبع فريقهمو تكن رفيقهمو فى حضرة القدس
تلك السعادة إن تلمم بساحتها فتلك ثمت قد عوفيت من تعس

هذه كلمة عجلى حول تفسير القرآن بالرأى ، هى نفثة محزون فاض بها القلب فامتلأت الجوارح ، وقام القلم العاجز بدوره على منبر الوعظ والإرشاد منتصراً لحمى الكتاب المبين ، عسى أن ينتفع بها جاهل ويتذكر بها عاقل فإن الذكرى تنفع المؤمنين (قوله تكملة) ويمكن أن يكون حثاً على تحرير المعنى المقصود من اللفظ المؤول وذلك بقيام دليل يدل عليه والله سبحانه وتعالى أعلم .

العقد الأول

مايرجع إلى النزول زماناً ومكاناً ، وهو اثنا عشر نوعاً

الأول والثانى : المكىّ والمدنىّ

مَكِّيُّهُ ماقَبْلَ هِجْرَةٍ نَزَلْ ۝ وَالْمَدَنِى مابَعْدَهاَ وَإِنْ تَسَلْ

العقــــد الأول

ما يرجع إلى النزول زماناً ومكاناً ، وهو اثنا عشر نوعاً

الأول والثانى : المكىّ والمدنىّ

(مكيه) أى القرآن (ما) أى سورة أو أكثرها (قبل هجرة) متعلق بقوله (نزل) أى و إن نزل بغير مكة . (والمدنىْ) بسكون الياء للوزن (ما) أى سورة أو أكثرها (بعدها) أى بعد الهجرة نزل ، أى و إن نزل بغير المدينة . هذا هو الأصح[1] فى تعريفهما . وقيل : المكىّ ما نزل بمكة[2] ، ولو بعد الهجرة ، والمدنىّ : ما نزل بالمدينة[3] .

(قوله بسكون الياء) أى والأصل فيها التحريك مع التشديد لكونها ياء نسب مشددة والإعراب منقول اليها (قوله وإن نزل بغير المدينة) وعلى هذا فلا تثبت الواسطة وقد ذهل العلامة الماوردى عن ذلك حيث قال : إن البقرة مدنية فى قول الجميع إلا آية وهى « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » فإنها نزلت فى يوم النحر وفى حجة الوداع . وقد علمت بمقتضى التعريف المشهور أن نزولها هناك لا يخرجها عن المدنية فى الاصطلاح . وقد وقع له أيضاً مثل ذلك حيث قال سورة النساء مدنية إلا آية واحدة مكية نزلت فى أمر مفتاح الكعبة ، وهى آية « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ولكن قد علمت أن الكلام فيه كالكلام فى الذى قبله . واعلم أن ما نزل فى سفر الهجرة فمن المدنى اه .

(١) لأنه تقسيم لوحظ فيه زمن النزول . فهو ضابط حاصر ، ومطرد لا يختلف . وعلى هذا فآية « اليوم أكملت لكم دينكم » مدنية مع أنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع .

(٢) ويدخل فى مكة ضواحيها كالنازل على النبى صلى الله عليه وسلم بمنى وعرفات والحديبية .

(٣) ويدخل فى المدينة ضواحيها أيضاً كالنازل عليه صلى الله عليه وسلم فى بدر وأحد ، وهذا التقسيم والتعريف كما ترى لوحظ فيه مكان النزول .

فَالْمَدَنِى أَوَّلتَا الْقُرْآنِ مَعْ   أَخِيرَتَيْهِ ، وَكَذَا الْحَجُّ تَبَعْ

فعلى هذا[1] يكون هناك[2] واسطة ، فتكون لا مكية ولا مدنية ، بأن نزلت[3] فى السفر . (وإن تسل) عن عدد كل منهما[4] . (ف) أقول لك (المدنى) تسع وعشرون سورة ، وهى (أوّلتا القرآن) وهما البقرة وآل عمران . كما فى النقاية ، لا الفاتحة والبقرة ، كما هو ظاهر النظم (مع أخيرتيه) وهما المعوِّذتان ، بكسر الواو المشددة (وكذا) سورة (الحج تبع) فى كونها

(قوله وإن تسل) اعلم أن لمعرفة المكى والمدنى فوائد : منها معرفة تاريخ الناسخ من المنسوخ ، ومنها معرفة ترتيب القرآن فى النزول ، وقد كان لبعض الصحابة رضى الله عنهم عناية شديدة بذلك ، فمنهم سيدنا على رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم .

واعلم أن العلماء رضى الله عنهم ذكروا للمكى والمدنى علامات : منها أن كل سورة فيها ياأيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا فهى مكية ، وفى الحج اختلاف . ومنها كل سورة فيها كلا فهى مكية . قال الشيخ عبد العزيز الديرينى : « وما نزلت كلّا بطيبة فاعلمن » ، ولم تأت فى القرآن فى نصفه الأعلى . ومجموع ما ورد فى القرآن من كلا ثلاثة وثلاثون موضعاً ، وهى فى خمس عشرة سورة كلها فى النصف الأخير من القرآن . ومنها أن كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهى مكية سوى البقرة ، ومنها أن كل سورة فيها ذكر المنافقين فهى مكية سوى العنكبوت . وقال هشام بن عروة عن أبيه : كل سورة ذكر فيها الحدود والفرائض فهى مدنية ، وكل ما ذكر فيها القرون الماضية فهى مكية . قال الجعبرى : لمعرفة المكى والمدنى طريقان أحدهما سماعى ، وهو ما وصل إلينا تواتره بأحدهما ، والآخر قياسى وهو ما يحكم عليها بالعلامات ثم ذكر نحو ما تقدم اه . (قوله بكسر الواو) اسم فاعل لأن قارئهما يتعوذ ويتحصن بهما . والسبب فى نزولهما قصة سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، سحره لبيد بن الأعصم اليهودى (قوله وكذا الحج الخ) وفى رواية مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها مكية سوى ثلاث آيات : هذان خصمان إلى تمام الآيات الثلاث ، فإنها نزلت بالمدينة ، وفى رواية إلا

(١) أى القيل . (٢) أى فى القرآن .
(٣) أى بغير مكة والمدينة وضواحيهما ، كقوله تعالى : « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك » الخ . فإنها نزلت بتبوك .
(٤) أى عن عدد كل من السور المكيات والسور المدنيات .

مَائِدَةٌ مَعْ مَا تَلَتْ أَنْفَالُ بَرَاءَةٌ وَالرَّعْدُ وَالْقِتَالُ
وَتَالِيَاهَا وَالْحَدِيدُ النَّصْرُ قِيَامَةٌ زَلْزَلَةٌ وَالْقَدْرُ
وَالنُّورُ وَالْأَحْزَابُ وَالْمُجَادَلَهْ وَسِرْ إِلَى التَّحْرِيمِ وَهِيَ دَاخِلَهْ

مدنية[1] (مائدة) بالرفع عطفاً على قوله أولتا (مع ما) أى السورة التى (تلت) ها المائدة ، وهى سورة النساء ، و(أنفال) و(براءة) بالرفع هى ومابعدها إلى المجادلة معطوفات على ماقبلها بحذف العاطف (والرعد والقتال وتالياها) أى القتال ، وهما الفتح والحجرات (والحديد) و(النصر) و(قيامة[2]) و(زلزلة والقَدْر) بسكون الدال (والنور والأحزاب والمجادلة وسر) بصيغة الأمر فى تعداد السور (إلى التحريم) وذلك سبع سور : الحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق . (وهى) أى التحريم (داخلة) فى العدد . فجملة السور المدنية تسع وعشرون . وإنما نص على دخولها لأن الغالب عدم دخول المُغيا مع إلى ، بخلافه[3] مع حتى (وماعداهذا) الذى ذكر من السور وهو خمس وثمانون سورة ، إذ سور القرآن كلها

أربع آيات . والأصح القول بأنها مختلطة فيها مدنى ومكى وإن اختلفا فى التعيين ، وهو قول الجمهور . وقال السعيدى سورة الحج من أعاجيب القرآن ، فيها مكى ومدنى وحضرى وسفرى وليلى ونهارى وحربى وسلمى وناسخ ومنسوخ : فالمكى من رأس الثلاثين إلى آخرها ، والمدنى من رأس خمسة عشر ، والحضرى إلى رأس العشرين . قال السيوطى : قلت والسفرى أولها ، والناسخ أذن للذين يقاتلون الآية ، والمنسوخ الله يحكم بينكم الآية نسختها آية السيف ، وقوله وما أرسلنا من قبلك الآية نسختها سنقرئك فلا تنسى اه (قوله قيامة) قال شيخنا متع الله به هى مكية بلا خلاف ولا استثناء ، ولعل عدها من المدنيات سبق قلم والله . أعلم .
(قوله وما عدا الخ) وقد نظم المدنى مولانا الأستاذ عبد الهادى نجا الأبيارى فى كتابه سعود المطالع فقال :

(١) التحقيق أنها مختلفة ، منها مكى ، ومنها مدنى . قال الشهاب الصاوى : من أعاجيب السور أنها نزلت ليلا ونهاراً سفراً وحضراً مكياً ومدنياً سلمياً وحربياً ناسخاً ومنسوخاً محكماً ومتشابهاً .
(٢) هكذا فى جميع النسخ . وصوابه قيمة وهى سورة لم يكن ، فإنها مدنية عند الجمهور ، ومكية عند ابن عباس . بخلاف سورة القيامة ، فإنها مكية بالإجماع . (٣) أى بخلاف المغيا .

وَمَا عَدَا هٰـذَا هوَ الْمَـكِّيُّ عَلَى الَّذِى صَحَّ بِهِ الْمَرْوِىُّ

مائة وأربع عشرة (هو المكى على) القول (الذى صح به المروىّ) من الأحاديث عن النبى ﷺ . وقيل : الرحمن والإنسان والإخلاص والفاتحة من المدنى . والأصح كما فى شرح النقاية : أنها[1] مكية . وقيل : إن الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ، عملا[2] بالدليلين ، وقيل

عشرون من سوَر القرآن قد نزلت بطيبة باتفاق من اعتـبرا
فالأربع الأول الأنفال توبتهم والحج والنور والأحزاب من كفرا
فتح كذا الحجرات والحديد وحشـ ـر ثم قد وامتحان والنفاق سرا
وجمعة والطلاق النصر واختلفوا فى الرعـد يس والرحمن منتشرا
تغابن وحواريين لم يكن التطفيـ ـف زلزلت الإخـلاص قد أثرا
والعوذتان وقدر ثم قد نزل البـ ـاق بمكة قطعـاً فاقتف الأثرا

ثم قال وقولنا فالأربع الأول أى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، وقولنا الأنفال بحذف حرف العطف أى والأنفال وكذا الباق ، وقولنا من كفرا أى سورة الذين كفروا ، وقولنا ثم قد أى سورة قد سمع ، وقولنا وامتحان أى الممتحنة ، وقولنا لم يكن أى سورة لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ، وقولنا التطفيف أى وسورته وهى ويل للمطففين ، وقولنا والعوذتان أى المعوذتان بكسر الواو ونقل فتحها كما ذكرته فى الفواكه الجنوية اه .

﴿ تتمة ﴾ اعلم أن الحكم على جميع السور بأنها مكية أو مدنية باعتبار كلها أو معظمها ، فلا ينافى نزول آية أو آيات منها بالجهة الأخرى كما فى الإتقان ، وقد بين فيه الخلاف فى السور المختلف فيها والراجح منه فانظره . قال الشيخ الأبيارى : والخلاف غالباً تراه فيما نزل بعضه بمكة وبعضه بالمدينة . وقد عرفت أن النظر فى ذلك لأغلب السورة اه . ثم إن دخول آيات مكية فى سورة مدنية وبالعكس ليعلم أن القرآن ترتيبه توقيفى نقلى لا دخل للعقل فيـه ، وإلا لكان المكى وحده والمدنى كذلك . وليكون القرآن كله متصلا بعضه ببعض معجزاً لا فرق بين مكيه ومدنيه (قوله بخلافه مع حتى) وقد نظم هذه القاعدة السيوطى فقال :

وفى دخول الغاية الأصح لا تدخـل مع إلى وحتى دخلا

(قوله قيل نزلت مرتين) قيل حكمة ذلك المبالغة فى تشريفها ، وقيل بل نزولها فى مكة لفرض الصلاة وفى المدينة عند تحويل القبلة ليعـلم أنها فى الصلاة كما كانت . أما القول بأنها

(١) أى أن سورة الفاتحة . (٢) أى وإنما حكمنا بنزولها مرتين : عملا الخ .

النوع الثالث والرابع : الحضريّ والسفريّ من آى القرآن

وَالسَّفَرِىْ كَـآيَةِ التَّيَمُّمِ ۞ مَائِدَةَ بِذَاتِ جَيْشٍ فَاعْلَمِ

إنها نزلت نصفين : نصفاً بمكة ونصفاً بالمدينة . وقيل : النساء والرعد والحديد والحج والصف والتغابن والقيامة والمعوذتان : مكيات . والأصح : أنها مدنيات . والأدلة على ذلك كله ، بعضها فى شرح النقاية ، و بعضها فى التحبير . «فائدة» : جميع سور القرآن تنقسم إلى أربعة أقسام : قسم فيه الناسخ والمنسوخ ، وهو خمس[1] وعشرون سورة ، وقسم فيه المنسوخ فقط ، وهو أربعون[2] سورة ، وقسم فيه الناسخ فقط ، وهو ست[3] سورٍ ، وقسمٌ لا ناسخ فيه ولا منسوخ ، وهو ثلاث[4] وأربعون سورة ، أغلبها من الربع الأخير ، كما أفاده الصاوى . والله أعلم .

النوع الثالث والرابع : الحضريّ والسفريّ من آى القرآن

فالحضريّ : ما نزل فى الحضر . والسفريّ : ما نزل فى السفر . ومثل للسفريّ بقوله (والسفرىْ) من القرآن (كآية التيمم) التى فى (مائدة) أولها : ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة . . الآية ، فإنها نزلت بمحل يسمى (بذات جيش) وهو كما فى الفتح نقلا عن ابن

مدنية فقط فقد تفرد به مجاهد حتى عد هفوة منه . والكامل من عدت هفواته ، والقول بأنها نزلت نصفين لايخفى ضعفه . والله أعلم .

النوع الثالث والرابع الحضرى والسفرى من آى القرآن

(قوله لتنويع الخلاف) أى لبيان أن الخلاف نوعان (قوله فإنها نزلت الخ) . أى فالتقييد

---

(١) وهى البقرة وثلاث بعدها والحج والنور وتالياها والأحزاب وسبأ والمؤمن والشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر .

(٢) وهى السور الباقية التى ليست من الأقسام الثلاثة : الأول والثالث والرابع .

(٣) وهى الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى .

(٤) وهى الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث بعدها والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن ، إلا والتين والعصر والكافرون .

أَوْهِيَ بِالْبَيْدَاءِ ثُمَّ الْفَتْحِ فِي كُرَعِ الْغَمِيمِ يَا مَنْ يَقْتَفِي

التِّين[1] معتمداً[2] له وراء ذى الحليفة . والبيداء : هى ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة (فاعلم) ذلك (أو) هى لتنويع الخلاف[3] (هى) آية التيمم المذكورة نزلت (بالبيداء) هى ذو الحليفة كما مر آنفاً . وعلى كل فإنها نزلت فى القفول من غزوة[4] المريسيع ، وهم داخلون المدينة ، كما ثبت فى الصحيح عن عائشة[5] رضى الله عنها ، وكانت فى شعبان سنة ست أو خمس أو أربع ، أقوال ثلاثة . وأما آية التيمم التى فى النساء ، فإنها نزلت فى بعض أسفاره ﷺ ، كما أخرجه ابن مردويه عن الأسلع[6] بن شريك (ثم) سورة (الفتح) نزلت (فى كرع الغميم) يقرأ بنقل تنوين كراع إلى الهمزة للوزن . والغميم وزان كريم كما فى المصباح : واد بينه وبين المدينة نحو مائة وسبعين ميلا ، وبينه وبين مكة نحو ثلاثين ميلا ، ومن عسفان إليه ثلاثة أميال ، وكراعه[7] طرفه ، إذ كراع كل شىء طرفه . وقوله (يامن يقتفى) أى يتتبع طريقهم فى معرفة السفرى « تكملة » . وكون سورة الفتح نزلت

---

(١) هو عبد الواحد بن التين ، شارح البخارى .

(٢) حال من صاحب الفتح : الحافظ ابن حجر . (٣) أى اختلاف الرواة .

(٤) وهى المسماة بغزوة بنى المصطلق وغزوة محارب . والمريسيع : اسم ماء من مياه خزاعة فى ناحية قديد.

(٥) قالت : سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن داخلون المدينة ، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى رأسه فى حجرى راقداً ، فأقبل أبو بكر فلكزنى لكزة شديدة ، وقال حبست الناس فى قلادة . فتمنيت الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منى ، وقد أوجعنى ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضر الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ، فنزلت « ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » . . . الخ الآية .

(٦) الأسلع بالسين المهملة قال : كنت أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابتنى جنابة فى ليلة باردة وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة ، فكرهت أن أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض ، فأمرت رجلا من الأنصار فرحلها ، ثم رضفت أحجاراً فاسخنت بها ماء واغتسلت ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال: ياأسلع مالى أرى رحلتك قد تغيرت قلت يارسول الله لم أرحلها ، رحلها رجل من الأنصار . قال : ولم ؟ قلت إنى أصابتنى جنابة فخشيت القر على نفسى فأمرته أن يرحلها ورضفت أحجاراً فأسخنت بها ماء فاغتسلت به فأنزل الله تعالى «لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» إلى قوله «إن الله كان عفواً غفورا» .

(٧) هذا الكراع جبل أسود فى طرف الحرة يمتد إليه .

فى كراع الغميم هو مارواه البخارى عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر عن شىء ، فلم يجبه[١] رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر[٢] : ثكلتك[٣] أمك ! نزرتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لايجيبك ، قال عمر : فحرّكتُ بعيرى حتى كنت أمام الناس ، وخشيت أن ينزل فىّ قرآنٌ ، فما نشبتُ[٤] أنْ سمعتُ صارخاً يصرُخ بى ، قال : فقلت : لقد خشيت أن ينزل فىّ قرآنٌ . قال : فجئت رسول الله ﷺ فسلّمْتُ عليه فقال : « لقد أنزلت علىّ الليلة سورةٌ لَهِى أحب[٥] إلَىَّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » . وقوله نزرتَ بزاى مخففة : بمعنى ألححت عليه وبالغت فى سؤاله . والمراد ببعض أسفاره الحديبية[٦] كما فى القسطلانى[٧] (و) نزلت

بالمائدة لا لخصوص كونها سفرية بل لبيان الصواب وحمل آية التيمم المشار إليها فى قصة عائشة رضى الله عنها عند بيان سبب النزول (قوله فما نشبت) أى ما لبثت ، وحقيقته ماعلقت بشىء غيره (وقوله ثكلتك أمك) دعاء على نفسه ، وهى كلمة تجرى على الألسنة لايقصد معناها

(١) يستفاد منه أنه ليس لكل سؤال جواب ، بل السكوت قد يكون جوابا لبعض الكلام .

(٢) مخاطباً نفسه .

(٣) الثكل : فقدان المرأة ولدها . دعا عمر على نفسه بسبب ماوقع منه من الإلحاح . ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسه حقيقة وإنما هى من الألفاظ التى تقال عند الغضب ، من غير قصد معناها .

(٤) بكسر الشين المعجمة بعدها موحدة ساكنة ، أى لم أتعلق بشىء غير ماذكرت .

(٥) أى لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح .

(٦) بالتخفيف تصغير حدباء ، وهى بئر وقيل شجرة سمى المكان باسمها ، وقيل قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم . وعلى كل فالمعنى عمرة الحديبية ، وكذا فى رواية معتمر عن أبيه عن قتادة عن أنس : قال لما رجعنا من الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة فنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . وفى المستدرك أيضاً من حديث مجمع بن جارية : أن أولها نزل بكراع الغميم .

(٧) أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . وفى المستدرك أيضاً من حديث مجمع بن جارية أن أولها نزل بكراع الغميم .

وَبِمِنًى اتَّقُوا وَبَعْدُ يَوْماً ... وَتُرْجَعُونَ أَوْلِ هٰذَا الْخَتْمَا
وَيَوْمَ فَتْحٍ آمَنَ الرَّسُولُ ... لِآخِرِ السُّورَةِ يَا سَئُولُ
وَيَوْمَ بَدْرٍ سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَعْ ... هٰذَانِ خَصْمَانِ وَمَا بَعْدُ تَبَعْ

(بمنًى)[١] بغير تنوين ، وهو لغة فيه آية « و (اتقوا) يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون» كما قال الناظم (و بعد) بالضم أى و بعد اتقوا (يوماً وتُرْجعون أول) أمر من الإيلاء : أى اجعل تالى (هذا) أى لفظ ترجعون (الختما) بألف الإطلاق ، أى ختم الآية (و) نزلت[٢] (يوم فتح) أى فتح مكة آية (آمن الرسول لآخر السورة) أى إلى آخر سورة البقرة . فاللام بمعنى إلى (ياسَئُول) أى : كثير السؤال عن السفرية وغيرها ، تكملة . (و) نزلت (يوم بدر سورة الأنفال) كلها[٣] (مع) آية (هذان خصمان ومابعد) أى بعد خصمان حال كونه (تبعْ) بفتح الموحدة مصدر ، وقُف عليه وقفاً رَبعياً (إلى) قوله (الحميد) لما روى أحمد عن سعد بن أبى وقاص ، قال : لما كان يوم بدر قتل أخى عمير ، وقتلت سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه[٤] ، فأتيت به النبى ﷺ فقال : اذهب فاطرحه ، فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخى ، وأخذ سلَبى ، فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال[٥] . وأما آية هذان خصمان ، فإنها نزلت وقت المبارزة ، أخذاً مما رواه البخارى عن أبى ذر : أن هذان خصمان إلى قوله الحميد نزلت فى حمزة[٦] وصاحبيه ، يعنى علياً وعبيدة بن الحارث ، وعتبة[٧] وصاحبيه ، يعنى شيبة بن ربيعة والوليد بن

(قوله بمنى) سميت بذلك لأنها تمنى فيها الدما (قوله بألف الإطلاق) أى إطلاق الصوت بالمد .

---

(١) عام حجة الوداع ، كما أخرجه البيهقى فى الدلائل .
(٢) قال السيوطى فى الإتقان : ولم أقف لها على دليل .
(٣) كما هو ظاهر قول ابن عباس . أخرج البخارى بسنده إلى سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الأنفال قال نزلت فى بدر ، وقيل نزل أولها ببدر عقب الواقعة ، كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبى وقاص . (٤) وكان يسمى ذا الكثيفة .
(٥) وتمامه : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب فخذ سلبك » .
(٦) ابن عبد المطلب . (٧) ابن ربيعة .

إِلَى الْحَمِيدِ ، ثُمَّ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ
بِأُحُدٍ ، وَعَرَفَاتٍ رَسَمُوا الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَمَا ذَكَرْنَا هَهُنَا الْيَسِيرُ وَالْحَضَرِى وُقُوعُهُ كَثِيرُ

عتبة ، لما تبارزوا يوم بدر (ثم) آية (إن عاقبتم) بضم ميمه وميم عوقبتم بعده (فعاقبوا بمثل ماعوقبتم) إلى آخر السورة ، فإنها نزلت (بأحد) ففى الدلائل للبيهقىّ ومسند البزار ، من حديث أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة رضى الله عنه حين استشهد[1] وقد مُثِّل به فقال : لأُمَثِّلَنَّ[2] بسبعين منهم مكانك[3] . فنزل جبريل على النبى ﷺ بخواتيم سورة النحل اهـ ، وهى قوله وإن عاقبتم إلى آخرها (و) بـ (عرفات رسموا) أى كتبوا نزول آية (اليوم أكملت[4] لكم دينكم) بضم ميم الجمع للروى[5] ، وذلك فى حِجة[6] الوداع ، كما فى الصحيح المروىّ عن عمر[7] رضى الله عنه . ثم قال : (وماذكرنا) ه (ههنا) من السفرىّ فهو العدد (اليسير) وقد استوفاه السيوطىّ بتمامه فى التحبير (والحضرى وقوعه) أى وقوع الحضرىّ فى القرآن (كثير) ولكونه الأصل ، فلايحتاج إلى تمثيل لوضوحه . والله أعلم .

---

(١) فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه ، أو قال لقلبه ، فنظر إليه .

(٢) قبله : رحمة الله عليك أبا السائب ، فإنك ماعلمتك إلا فعالا للخيرات ، وصولا لرحم ، ولولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى . أما والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن . الخ .

(٣) وفى رواية كمثلتك .

(٤) معنى إكمال الدين هو إظهاره على الدين كله ولو كره الكافرون . ولا ريب أن الإسلام فى حجة الوداع كان قد ظهرت شوكته ، وعلت كلمته ، وأديل له على الشرك وحزبه ، حتى لقد أجلى المشركون عن البلد الحرام ولم يخالطوا المسلمين فى الحج والإحرام .

(٥) الروى هو حرف بنيت عليه القصيدة ، ونسبت إليه .

(٦) يوم الجمعة بعد العصر ، والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء .

(٧) عن عمر بن الخطاب : أن رجلا من اليهود قال له : ياأمير المؤمنين ، آية فى كتابكم تقرءونها ، لوعلينا معشر اليهود نزلت ، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال أية آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة . أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا . قال ابن عباس : كان فى ذلك اليوم خمسة أعياد : جمعة وعرفة وعيداليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع أعياد أهل الملل فى يوم قبله ولا بعده .

النوع الخامس والسادس : الليليّ والنهاريّ

وَسُورَةُ الْفَتْحِ أَتَتْ فِى اللَّيْلِ وَآيَةُ الْقِبْلَةِ أَىْ : فَوَلِّ

النوع الخامس والسادس : الليليّ والنهاريّ

قال الناظم : (وسورة الفتح أتت) أى نزلت (فى الليل) للحديث السابق[١] ، قال فى شرح النقاية : وتمسك البلقينىُّ بظاهره[٢] ، فزعم أنها كلها نزلت ليلا ، وليس كذلك[٣] بل النازل منها تلك الليلة إلى صراطاً مستقيما . (وآية القبلة أى فول) وجهك شطر المسجد

(قوله وما ذكرنا) ومن السفرى أيضاً سورة والمرسلات ، نزلت فى غار بمنى كما أخرجه الشيخان ، وأول الأنفال نزلت ببدر . أخرجه أحمد ، وآية لو كان عرضاً نزلت فى غزوة تبوك ، وآية إن الذى فرض الآية نزلت بالجحفة فى سفر الهجرة ، أخرجه ابن أبى حاتم عن الضحاك ، وآية يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ، أخرجه ابن جرير عن الزهرى أنها نزلت بأسفل الحديبية .

(قوله الليلى) تقسيم نزول القرآن أولا ، إلى مكى ومدنى وحضرى وسفرى باعتبار المكان ، وتقسيمه هنا إلى ليلى ونهارى باعتبار الزمان (قوله وآية القبلة) رجح ابن حجر نزولها نهاراً ، وأجاب عن قوله فى الحديث قد أنزل عليه الليلة بأن ذلك مجاز من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضى الذى يليه ، وقال إن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة ، ووصل وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء . وأيد السيوطى ماذهب إليه الحافظ بحديث أخرجه النسائى . وفى حديث التحويل من الفوائد : جواز وقوع النسخ ونسخ السنة بالقرآن وأن حكم النسخ لا يلزم الإنسان قبل بلوغ الخبر إليه ، وأن خبر الواحد حجة ، وأن من صلى إلى جهة بلا اجتهاد ثم بان له اليقين بالخطأ أنه لا يعيد وهو قول أكثر أهل العلم وأحد قولى الشافعى رحمه الله تعالى .

---

(١) وهو مارواه البخارى بسنده إلى زيد بن أسلم عن أبيه .

(٢) أى بظاهر الحديث السابق ، يعنى قوله صلى الله عليه وسلم : «لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب إلى مما أنا عليه اليوم » .

(٣) أى وليس الأمر كما زعم .

وَقَوْلُهُ : يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ بَعْدُ لِأَزْوَاجِكَ وَالْخَتْمُ سَهُلْ
أَعْنِي الَّتِي فِيهَا الْبَنَاتُ لَا الَّتِي خُصَّتْ بِهَا أَزْوَاجُهُ فَأَثْبِتِ

الحرام . كذلك نزلت[1] فى الليل ، لما فى الصحيحين[2] «بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت[3] فقال : إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآنٌ ، وقد أُمِرَ أن يستقبل القبلة[4] . (وقوله) تعالى بالرفع ، عطف على سورة الفتح (يا أيها النبى قل بعدُ) أى بعده (لأزواجك والختم) للآية (سُهل) بضم الهاء (أعنى) وأقصد بهذه الآيةِ الآيةَ[5] (التى فيها) ذُكِرَتْ (البنات) وهى فى سورة الأحزاب (لا) الآية (التى خُصَّت) بالبناء للمجهول . (بها) بتلك الآية (أزواجه) بالرفع نائب فاعل (فأثبت)[6] ، ولا تغفل عنها . والمعنى : أن قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك و بناتك ونساء المؤمنين » ... الآية نزلت بالليل . لاقوله تعالى : «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة» الآية فإنها لم تنزل بالليل . وذلك لما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها : خرجت سَوْدة[7] بعد ما ضرب[8]

---

(١) وعليه القاضى جلال الدين حيث قال : والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل ، لأن قضية أهل قباء كانت فى الصبح وقباء قريبة من المدينة . وخالف ابن حجر فقال : الأقوى أن نزولها كان نهاراً لما فى الصحيحين عن البراء : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأن أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى فمر بمسجد وهم راكعون فشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ص قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت . فهذا يقتضى أنها نزلت نهاراً بين الظهر والعصر . والجواب عن حديث ابن عمر : أن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة ، وهم بنو حارثة ؛ ووصل وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء ، وقوله قد أنزل عليه الليلة مجاز من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضى والذى يليه .

(٢) أى عن ابن عمر .

(٣) قال الحافظ ابن حجر : ولم يسم الآتى بذلك إليهم وإن كان ابن طاهر وغيره نقلوا أنه عباد بن بشر .

(٤) تمامه : فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .

(٥) وتسمى هذه الآية آية الإذن فى خروج النسوة .

(٦) أمر من الإثبات ، أى أثبت أنت لفظة البنات .

(٧) بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) أى نزلت آية الحجاب وأولها « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم » وفيها « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب . »

وَآيَةُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَـــا أَىْ خُلِّفُوا بِتَوْبَةٍ يَقِينَـا

الحجاب لحاجتها[١]، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر، فقال: ياسَوْدَة، أما والله ماتَخْفَيْنَ علينا، فانظرى كيف تخرُجين. قالت: فانكفأتْ راجعةً إلى رسول الله ﷺ وإنه ليتعشى، وفى يده عَرْقٌ، فقالت: يارسول الله، خرجت لبعض حاجتى، فقال لى عمر كذا وكذا، فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العَرْق فى يده ماوضعه. فقال: إنه قد أُذِنَ لكُنَّ أن تخرُجْنَ لحاجتكن[٢]. «تنبيه» لعل مقصود عمر رضى الله عنه كما فى القسطلانى المبالغة فى احتجاب أمهات المؤمنين، بحيث لا يُبدين أشخاصهن أصلا، ولو كن مستترات، فلا ينافى الآية. قال البلقينى: وإنما قلنا إن ذلك كان ليلا لأنهن إنما كُنَّ يَخْرُجْنَ للحاجة ليلا، كما فى الصحيح عن عائشة[٣]، فى حديث الإفك اهـ. والعَرْق بفتح فسكون: العظم الذى أُكِلَ لَحْمُه، كما فى القاموس. ثم قال: (وآية الثلاثة الذينا) بألف الإطلاق (أى خُلِّفُوا)[٤] بتشديد اللام، مبنياً للمجهول، حال كونها كائنة (بـ) سورة (توبة) وتسمى براءة أيضاً (يقينا) أى أتيقن أنها ليلية أيضاً يقيناً، وذلك لما فى الصحيح من حديث كعب: فأنزل الله تعالى توبتنا[٥] على نبيه ﷺ حين بقى الثلث الآخِرُ من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سَلَمَةَ. وكعب هذا أحد الثلاثة[٦] الذين خُلِّفوا، وهم: هلال بن أمية[٧]، ومُرارة بن الربيع[٨]، وكعب بن مالك[٩]. وقد نظم شيخنا[١٠] أسماءهم وأسماء آبائهم بقوله:

(١) أى للبراز.

(٢) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة.

(٣) روى ابن جرير بسنده عن عائشة قالت: إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع — وهو صعيد أفيح.

(٤) أى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك.

(٥) أى بعد خمسين ليلة من رجوعه صلى الله عليه وسلم من الغزوة.

(٦) وكلهم من الأنصار. (٧) الواقفى من بنى واقف. (٨) العامرى من بنى عمرو بن عوف.

(٩) الشاعر المشهور السلمى بفتحتين، نسبة إلى بنى سلمة بكسر اللام.

(١٠) يعنى العلامة الشيخ حبيب الله بن مايأبى الجكنى الشنقيطى.

فَهَـٰذِهِ بَعْضٌ لِلَيْـلِيِّ عَلَى ۞ أَنَّ الْكَثِيرَ بِالنَّهَارِ نَزَلَا

النوع السابع والثامن : الصيفىّ والشتائىّ

صَيْفِيُّهُ كَآيَةِ الْكَلَالَةِ ۞ وَالشِّتَائِى كَالْعَشْرِ فى عَائِشَةِ

أسما الذين خُلِّفوا (١) مع الرسولْ ۞ فى مكه(٢) نظمها بعض الفحولْ

مُرارةٌ كعب هـــلال واسْما ۞ آبائِهم فى عكة (٣) خذ بالقبول

(فهذه) المذكورات (بعض لليلىّ على أن الكثير) من الآيات نزل بالنهار ، فقوله (بالنهار) يتعلق بقوله (نزلا) بألف الإطلاق. والله أعلم .

النوع السابع والثامن : الصيفىّ والشتائىّ

الصيفىّ : ما نزل فى الصيف . والشتائىّ : ما نزل بالشتاء . وسكتوا عن الفصلين الباقيين وهما الربيع والخريف إلا أن يراد بالصيف مايشمل الربيع ، لكونهما شماليين (٤)، والشتاء مايشمل الخريف ، لكونهما جنوبيين(٥). (صيفيُّه) أى القرآن ، وهو بالرفع مبتدأ (كآية الكلالة) وهى قوله تعالى : « يستفتونك(٦) قل الله يفتيكم فى الكلالة » . . .

(قوله فهذه بعض لليلى الخ) ومن ذلك : إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل الآيات ،وسورة المنافقين كما أخرجه الترمذى ، وسورة الأنعام والمعوذتين ، وآية والله يعصمك من الناس . والله أعلم .

النوع السابع والثامن : الصيفى والشتائى

تقسيم النزول إلى صيفى وشتائى باعتبار الزمان أيضاً (قوله الكلالة) هو المورث

---

(١) الأولى إبدال مع بلفظ عن كما لايخفى .

(٢) بالهاء فالميم رمز لمرارة والكاف لكعب والهاء لهلال .

(٣) بالتاء المربوطة ، فالعين المهملة رمز للربيع ، وهو أبو مرارة ، والكاف رمز لمالك وهو أبو كعب ، والتاء المربوطة رمز لأمية ، وهو أبو هلال .

(٤) أى مدة حلول الشمس فى البروج الشمالية ، وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة .

(٥) أى مدة حلول الشمس فى البروج الجنوبية ، ، وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت.

(٦) المستفتى هو جابر بن عبد الله لما عاده النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه .

إلى آخر سورة النساء . ففى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه : ماراجعت رسول الله ﷺ فى شىء ماراجعته فى الكلالة ، وما أغلظ لى فى شىء ما أغلظ لى فيها، حتى طعن بأصبعه على صدري، وقال : « ياعمر ، ألا تكفيك آية الصيف [١] التى فى آخر سورة النساء » . (والشتائى كالعشر) من الآيات التى فى سورة النور (فى) براءة (عائشة) الصديقية ، المبرأة من رب البرية — رضى الله عنها — وأولهن [٢] « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة [٣] منكم » ، لما فى صحيح البخاريّ من حديثها — رضى الله عنها — وفيه قالت : فوالله مارام [٤] رسول الله ﷺ مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت [٥] ، حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء ، حتى إنه ليتحدّرُ منه مثل الجمان من العرق ، وهو فى يوم شاتٍ ، من ثقل القول الذى يُنزَلُ عليه . اهـ . البُرَحاء بضم الموحدة وفتح المهملة : العَرَق [٦] من شدة ثقل الوحى . والجمان ، بالجيم المعجمة المضمومة : اللؤلؤ [٧] . قال فى شرح النقاية : وعندى أن فى الاستدلال بهذا الحديث نظراً ، لاحتمال أن تكون حكت حاله ، وهو أنه في اليوم الشتائى يتحدّر منه ، لا أنه فى هذه القصة بعينها كان فى يوم

الذى لم يخلف ولداً ولا والداً . واعلم أن من الشتائى أيضاً الآيات التى فى غزوة الخندق من سورة الأحزاب ، فقد كانت فى شدة البرد وهى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم » الآيات .. ومن الصيفى الآيات النازلة فى غزوة تبوك فقد كانت فى شدة الحر . والله أعلم .

---

(١) قال الحافظ المفسر ابن كثير : وكأن المراد بآية الصيف أنها نزلت فى فصل الصيف .

(٢) أى وآخرهن « والله يعلم وأنتم لاتعلمون » .

(٣) العصبة من ثلاثة إلى عشرة ، وقد تطلق على الجماعة من غير حصر فى عدد . وأما أسماؤهم فالمشهور فى الروايات الصحيحة : عبد الله بن أبى ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش .

(٤) أى فارق ، ومصدره الريم ، بالتحتانية .

(٥) أى الذين كانوا حينئذ حضوراً ، ووقع فى رواية : وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته .

(٦) كما وقع فى رواية إسحاق بن راشد ، وبه جزم الداودى ، وهو تفسير باللازم غالباً ، لأن البرحاء لغة : شدة الكرب ، ويكون عنده العرق غالباً .

(٧) شبهت قطرات عرقه صلى الله عليه وسلم بالجمان ، لمشابهتها فى الصفاء والحسن .

النوع التاسع : الفِراشيّ من الآيات

كَآيَةِ الثلاثَةِ المُقَـدَّمَهْ في نَوْمِهِ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَهْ

شات ، ويغنى عن هذا المثال ماذكره [1] الواحديّ : أنزل الله تعالى فى الكلالة آيتين : إحـداهما فى الشتاء ، وهى التى [2] فى أول النسـاء ، والأخرى فى الصيف ، وهى التى فى آخرها . اهـ . وفيه شيء ، إذ هى حاكية حال النبى ﷺ حين نزل الوحى فى شأنها ، وذلك فى يوم شات . والله أعلم بالحقيقة .

النوع التاسع : الفراشيّ من الآيات

وهى ما نزلت وهو ﷺ فوق فراشه سواء كان نائما أم لا ، ومثّل للفراشيّ بقوله : والفراشيّ (كـآية الثلاثة المقدمهْ) بفتح للدال المهملة أى المتقدمة ، وهى آية الثلاثة الذين خلفوا المتقدمة ، فإنها نزلت (فى نومه) ﷺ (فى بيت أم سَلَمهْ) ، واسمها هند بنت أبى أمية المخزومية ، تزوجها ﷺ بعد موت أبى سُلَمَة [3] ، لثمان خَلَون من جمادى الآخرة ، فى السنة الرابعة من الهجرة ، وتوفيت سنة تسع وخمسين . وصلى عليها أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ، ودفنت فى البقيع ، وهى آخر من مات من أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم ، رضى الله تعالى عنهن . فإن قيل : قد يستشكل ماذكر مع ماورد فى سُنَن النَّسائىّ ، من

النوع التاسع : الفراشى من الآيات

(قوله وهى آخر من مات الخ) أى وأول من مات منهن زينب أم المساكين رضى الله تعالى عنهن ، وروت أم سلمة ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً اهـ .

(١) قال المفسر البغوى : قوله صلى الله عليه وسلم لعمر « ألا تـكفيك آية الصيف » . أراد أن الله عز وجل أنزل فى الكلالة آيتين : إحداهما فى الشتاء ، وهى التى فى أول سورة النساء والأخرى فى الصيف ، وهى التى فى آخرها . وفيها من البيان ماليس فى آية الشتاء ، فلذلك أحاله عليها انتهى .

(٢) وهى قوله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس . فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » . . . الآية .

(٣) هو عبد الله بن عبد الأسد المخزومى .

يَلْحَقُهُ النَّازِلُ مِثْلَ الرُّؤْيَا لِكَوْنِ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيَاً

قوله عليه الصلاة والسلام لأم سلمة : «لاتؤذيني في[1] عائشة ، فإنه لم ينزل عليَّ[2] الوحيُ وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة» . أجيب كما في الإتقان عن القاضي جلال الدين ، بأن ما في سنن النسائي محمول على ما كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في بيت أم سلمة . ثم قال صاحب الإتقان : قلت قد ظَفِرتُ بما يؤخذ منه جواب أحسن من هذا[3] . فروى أبو يَعلَى في مسنده ، عن عائشة قالت أُعطِيتُ تسعاً . . . الحديث . وفيه : وإن[4] كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله ، فينصرفون عنه ، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لِحافه[5] . وعليه فلا إشكال . (يلحقه) أي الفراشيّ ، أي يلحق بالفراشيّ أيضاً (النازل[6]) من الآيات حالَ كونه (مثل الرؤيا) كسورة الكوثر (لكون رؤيا الأنبياء وحيا) ، فإنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، ففي صحيح مسلم ، عن أنس رضى الله عنه : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد ، إذ أَغْفَى إغفاءةً ، ثم رفع رأسه مبتسما ، فقلت : ما أضحكَكَ يارسول الله ؟ فقال : نزلت عليَّ آنفاً سورة ، فقرأ : «بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر» . فإن قيل : ما الفرق بين هذه الآية وما قبلها ، حتى يحتاج إلى إلحاقه به ؟ قلت : يمكن أن يفرق بأن ماقبلها عند إرادة النوم ، وهذه عند النوم ، أو أن ماقبلها بطريق

(قوله إذ أغفى) أي نام نومة خفيفة وقلما يقال غفا ، وقوله آنفاً ظرف ، تقول فعلت الشيء آنفاً ، أي قريباً أو هذه الساعة ، أو أول وقت يقرب مني .

(١) أي في حقها ، وهو أبلغ من لاتؤذي عائشة ، لما تفيد من أن ما آذاها فهو يؤذيه .
(٢) بتشديد الياء التحتية .
(٣) أي من جواب القاضي جلال الدين . (٤) مخففة من الثقيلة .
(٥) قال في الفتح ما ملخصه : والحكمة في اختصاصها بذلك ، هي مكانة أبيها ، وأنه لم يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في غلب أحواله ، فسرى سره لابنته ، مع ماكان لها من مزيد حبه صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم .
(٦) ويسمى هذا النوع : النومي .

الوحى ، وهذه بطريق الرؤيا ، هذا ماظهر والله أعلم . قال فى شرح النُّقاية : قال الرافعىّ فى أماليه (١) : فَهِم فاهمون من الحديث : أن السورة نزلت فى تلك الإغفاءة ، وقالوا : من الوحى مايأتيه فى النوم (٢) . قال : وهذا صحيح ، لكن الأشبه أن يقال : إن القرآن كله نزل فى اليقظة ، وكأنّه خطَر له فى النوم سورة الكوثر المنزّلةُ فى اليقظة ، أو عُرِضَ عليه الكوثر الذى وردت (٣) فيه ، أو تكون الإغفاءة ليست إغفاءة نوم ، بل الحالة (٤) التى كانت تعتريه عندالوحى ، وتسمى بُرَحاء الوحى . قلت : الذى قاله الرافعىّ فى غاية الاتجاه . والجواب الأخير هو الصواب (٥) . والله أعلم .

(قوله والجواب الأخير) وهو حمل الإغفاءة على ما كان يعتريه عندَ الوحى من البرحاء التى هى شدة الكرب والعرق ، وإنما كان هو الصواب لأن قوله آنفاً يدفع كونها نزلت قبل ذلك . والله أعلم .

---

(١) أى فى كتابه المسمى بالأمالى الشارحة ، لمفردات الفاتحة .
(٢) لأن رؤيا الأنبياء وحى . (٣) أى السورة ، فقرأها عليهم ، وفسرها لهم .
(٤) فقد ذكر العلماء أنه صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى كان يؤخذ عن الدنيا .
(٥) لكونه دافعاً أنها نزلت بعد ذلك .

النوع العاشر : أسباب النزول

وَصَنَّفَ الْأَئِمَّةُ الْأَسْفَارَا فِيهِ فَيَمِّمْ نَحْوَهَا اسْتِفْسَارَا

النوع العاشر : أسباب[1] النزول

ذكر فى الإتقان فوائد لهذا النوع[2] ، منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[3] . ومنها أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه ، فإذا عرف السبب قُصِر التخصيص على ماعدا صورته ، فإن دخول[4] صورة السبب قطعى و إخراجها بالاجتهاد ممنوع . ومنها الوقف[5] على المعنى و إزالة الإشكال[6] . قال الواحدى : لايمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها . وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن . قال الناظم (وصنَّف الأئمة[7]) جمع

النوع العاشر : أسباب النزول

(قوله الأئمة) كابن المدينى شيخ البخارى وهو أقدمهم ، والواحدى ، والسيوطى فى كتاب جليل سماه « لباب النقول فى أسباب النزول » .

(١) سبب النزول : هو مانزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه ، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه بمعنى أنه حادثة وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله ببيان مايتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال .

(٢) أى للالمام بأسباب النزول ، فما زعم بعضهم من أنه لا فائدة لها وأنها لاتعدو أن تكون تاريخاً للنزول ، أو جارية مجرى التاريخ فهو خطأ .

(٣) أى فيما شرعه بالتنزيل .

(٤) أى فى حكم اللفظ العام ، فلو لم يعرف سبب النزول لجاز أن يفهم أنها مما خرجت بالتخصيص ، مع أنه لايجوز إخراجها قطعاً ، لقيام الإجماع على أن حكم السبب باق قطعاً . (٥) أى الاطلاع .

(٦) مثال ذلك قوله تعالى : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » فإنه يدل بظاهره على أنه لايجب على الإنسان أن يولى وجهه شطر البيت الحرام فى سفر ولا حضر . وهذا مشكل ، ويرتفع الإشكال بمعرفة سبب النزول وهو أن القبلة عميت على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم ، فعذروا ، فعلم أن المراد بالآية التخفيف على المجتهد فى القبلة إذا صلى و تبين له خطؤه .

(٧) منهم الجلال السيوطي حيث وضع فيه كتاباً حافلا محرراً سماه «لباب النقول ، فى أسباب النزول» .

مَافِيهِ يُرْوَى عَنْ صَحَابِيٍّ رُفِعْ   وَإِنْ بِغَيْرِ سَنَدٍ فَمُنْقَطِعْ
أَوْ تَابِعِي فَمُرْسَلٌ وَصَحَّتِ   أَشْيَا كَمَا لِإِفْكِهِمْ مِنْ قِصَّةِ

إمام (الأسفارا) جمع سفر وهو الكتاب (فيه) أى فى سبب النزول . أشهرها للواحدىّ (فيمم) بصيغة الأمر : اقصد (نحوها) أى جهة الأسفار (استفساراً) أى حال[1] كونك مستفسراً . (ما) أى وسبب النزول الذى (فيه يروى عن صحابىّ) بسند متصل فحكمه (رفع) أى حكمه حكم[2] الحديث المرفوع ، لا الموقوف ، إذ قول الصحابىّ فيما لا مجال[3] للرأى والاجتهاد فيه مرفوع[4] (و) السبب الذي روى عنهم (إن) روى (بغير سند) أى متصل (ف) حكمه (منقطع) لا يلتفت إليه (أو تابعى) بتسكين ياء

(قوله لامجال للرأى) أى لامدخل للنظر لكونها مما لاتقال بالفكر بل لابد فيها من النقل . وقد ذكر فى الإتقان فى هذا البحث خلاصة مفيدة فقال : كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة ، وطريق الاعتماد فى ذلك أن ينظر إلى العبارة الموافقة ، فإن عبر أحدهم بقوله نزلت فى كذا ، والآخر نزلت فى كذا وذكر أمراً آخر . فقد تقدم أن هذا يراد به أن الآية تتضمنه ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قوليهما إذا كان اللفظ يتناولها وإن عبر أحدهم بقوله نزلت فى كذا وصرح الآخر بذكر سبب النزول فهو المعتمد وذاك استنباط . فالذى يتحرر فى سبب النزول أنه ما نزلت الآية زمن وقوعه ، وبهذا تعلم وهم من ادعى أن سورة الفيل نزلت فى قصة الفيل ، فإن ذلك ليس من أسباب النزول فى شىء ، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية . ويجوز تعدد أسباب النزول كما اعتمده النووى فى نزول آية اللعان . نعم إذا ذكرت أسباب متعددة ولم يمكن الجمع بينها قدم ما كان صحيحاً أو ماله مرجح ككون راويه صاحب الواقعة . والمرجحات كثيرة ومحلها علم أصول الفقه .

(١) ظاهر هذا التفسير أن الشارح جعله حالا ، والأولى جعله مفعولا لأجله . أى قصد استفسار .
(٢) أى فهو مقبول ، وإن لم يعتضد ، أى لم يعزز برواية أخرى تقويه .
(٣) أى لامدخل .
(٤) أى حكمه حكم المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يبعد كل البعد أن يكون الصحابى قد قال ذلك من تلقاء نفسه .

وَالسَّعْيِ وَالْحِجَابِ مِنْ آيَاتِ خَلْفَ الْمَقَامِ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ

النسبة للوزن ، وهو معطوف على صحابىّ ، أى والسبب الذى روى بسند متصل عن تابعى (ف) حكمه أنه (مرسل [١]) لأنه ما سقط فيه الصحابىّ ، فإن كان بلا سند فمردود . قال فى شرح النُّقاية : كذا قال البُلْقينى فتبعناه ، ولا أدرى لِمَ فرّقَ بين الذى عن الصحابىّ والذى عن التابعىّ ، فقال فى الأول منقطع ، وفى الثانى ردٌّ [٢] ، مع أن الحكم فيهما الانقطاع والرد ؟ (وصحت) بكسر التاء للروىّ (أشيا) بالقصر للوزن ، وذلك (كما) ثبت (لإفكهم) أى المنافقين (من قصة) بيانٌ لما ، وهى مشهورة فى الصحيحين وغيرهما (والسعى) : بالجر عطفاً على إفكهم ، أى وكما ثبت للسعى من القصة والسبب ، ففى الصحيحين عن عائشة : كان الأنصار قبل أن يسلموا يُهِلُّون [٣] لمناة [٤] الطاغية ، وكان من أهَلَّ لها يتَحَرَّجُ [٥] أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا [٦] عن ذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » [٧] . . . إلى قوله « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » وفى البخارى عن عاصم بن سليمان ، قال : سألت أنساً عن الصفا والمروة ؟ قال : كنا [٨] نرى أنهما [٩] من أمر الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله تعالى : «إن الصفا والمروة من شعائر الله » (والحِجاب) بالجر أيضاً لما مر ، أى كما ثبت لآيات الحجاب من السبب كما قال الناظم (من آيات) وهو بيان للحجاب (خلف المقام) متعلق بالصلاة (الأمرِ) بالجر أيضاً لما مر (بالصلاة) متعلق بالأمر ، أى وكما ثبت للأمر بالصلاة

---

(١) أى أنه لايقبل إلا إذا صح واعتضد بمرسل آخر ، وكان الراوى له من أئمة التفسير ، الآخذين عن الصحابة ، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير .

(٢) بصيغة المصدر أى مردود . (٣) أى يحجون .

(٤) اسم صنم ، وكان صخرة نصبها عمرو بن لحى ، فكانوا يعبدونها عند المشلل ، قريب من قديد ، من جهة البحر . (٥) أى يجانب الحرج ، يعنى الإثم .

(٦) أى فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وقالوا يارسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة . (٧) أى من علائم دينه .

(٨) أى نحن معاشر الأنصار . (٩) أى السعى بينهما .

خلف المقام من السبب(١) ، وذلك كما فى البخارى عن أنس قال ، قال عمر : وافقت ربى فى ثلاث(٢) : قلت يارسول الله ، لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : واتخذوا من(٣) مقام إبراهيم مُصَلّى . وقلت : يارسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب(٤) . واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه فى الغَيرة ، فقلت لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك(٥) اهـ . والله أعلم .

(قوله وافقت ربى الخ)وقد جمع السيوطى رحمه الله تعالى موافقات عمر رضى الله عنه فأنهاها إلى ثمانية عشر ، وجمعها فى رسالة سماها « الكوكب الأغر فى موافقات عمر » والله أعلم .

---

(١) أى من سبب النزول ، وهو هنا حادثة وقعت فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وهذه الحادثة هى تمن من التمنيات ، ورغبة من الرغبات .

(٢) أى من الخصال .

(٣) من بمعنى عند والعندية صادقة بجهاته الأربع ، وأما التخصيص بكون المصلى خلفه فستفاد من فعله صلى الله عليه وسلم وفعل الصحابة بعده .

(٤) وهى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم ، والله لايستحيى من الحق ، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » من سورة الأحزاب .

(٥) أى كما قلت . وهذه فى سورة التحريم .

النوع الحادى عشر : أول ما نزل

إقْرَأْ عَلَى الْأَصَحِّ فَالْمُدَّثِّرُ   أَوَّلُهُ وَالْعَكْسُ قَوْمٌ يَكْثُرُ

النوع الحادى عشر : أول ما نزل

(إقرأ) خبر مقدم (على الأصح فالمدثر) أى بعده (أوله) أى أول ما نزل . وهو بالرفع مبتدأ مؤخر ، وذلك[1] لما فى الصحيحين وغيرهما من حديث بدء الوحى[2] . (والعكس) وهو أن المدثر أنزل أولا ، ثم اقرأ (قوم يكثر) أى قوم كثير على القول به ، وذلك[3] لما فى الصحيحين عن أبى سلمة بن عبد الرحمن : سألت جابر بن عبد الله : أىّ القرآن أُنزل قبل ؟ قال : «ياأيها المدثر» . قلت[4] : أو اقرأ باسم ربك ؟ قال: أحدثكم بما حدثنا رسول الله ﷺ : إنى جاورتُ بِحِرَاء فلما قضَيتُ جوارى[5] نزَلتُ[6] فاستبطنتُ الوادىَ[7] ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ثم نظرت إلى السماء ، فإذا هو (يعنى جبريل) فأخذتنى رَجْفَةٌ ، فأتيت خديجة ، فأمرتُهُمْ فَدَثَّرُونِى ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها المدثر

النوع الحادى عشر : أول ما نزل

(قوله مبتدأ مؤخر) أى لأنه المحدث عنه .

---

(١) أى كون اقرأ أوله فالمدثر .

(٢) عن عائشة أنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه « وهو التعبد » الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم » . وفى بعض الروايات حتى بلغ مالم يعلم . . . الخ الحديث ، وهو طويل .

(٣) أى العكس .   (٤) وفى رواية نبئت أنه اقرأ باسم ربك الذى خلق .

(٥) أى اعتكافى .   (٦) أى من غار حراء .   (٧) أى وصل بطنه .

قم فأنذر » . وأجاب الأول[١] عنه بحديث الصحيحين[٢] أيضاً ، عن أبي سلمة عن جابر : سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فَتْرة[٣] الوحى ، فقال في حديثه : فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذى أتانى بحراء جالس على كرسىّ بين السماء والأرض ، فرجعت فقلت : زَمِّلونى زَمِّلونى ، فَدَثِّرونى . فأنزل الله تعالى : «ياأيها المدثر » . فقوله ﷺ فإذا الملك الذى جاءنى بحراء ، دال على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء[٤] التى فيها اقرأ باسم ربك . قال البلقينى ، كما فى شرح النقاية : ويجمع بين الحديثين[٥] بأن السؤال[٦] أى فى الحديث الأول كان[٧] عن بقية اقرأ والمدثر ، فأجاب عنه بما تقدم .

(قوله ويجمع بين الحديثين) أو يقال إن جابراً رضى الله عنه قاله باجتهاده ، فتقدم عليه رواية عائشة رضى الله عنها ، أو يقال المراد أول ما نزل لسبب المدثر ، وأما اقرأ فنزلت ابتداء بلا سبب ، أو يقال : اقرأ ابتداء نبوة والمدثر ابتداء إرسال ، أو يقال : أولية اقرأ حقيقية وأولية المدثر إضافية بعد انقطاع الوحى فهى أولية مخصوصة . واعلم أن آخر سورة نزلت بمكة المؤمنون ، ويقال العنكبوت ، وآخر سورة نزلت بالمدينة سورة براءة ، وأول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم ، وأول آية نزلت فى القتال: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، كما رواه الحاكم فى المستدرك ، وأول ما نزل فى الخمر: يسئلونك عن الخمر والميسر ، كما رواه الطيالسى ، وأول ما نزل فى الأطعمة بمكة آية الأنعام : قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً ، الآية قاله ابن الحصار ، وأول سورة أنزلت فيها سجدة سورة النجم. رواه البخارى اهـ ملخصاً من الإتقان

---

(١) أى القائل إن أول ما نزل على الإطلاق صدر سورة اقرأ ، وهو القول الأصح .

(٢) وحاصل الجواب : أن حديث جابر المذكور ليس نصاً فيما نحن بسبيله من إثبات أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ، بل يحتمل أن يكون حديثاً عما نزل بعد فترة الوحى ، وذلك هو الظاهر من رواية الصحيحين أيضاً ، الخ . ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال ، فبطل إذن القول الثانى ، وثبت القول الأول .

(٣) أى احتباس نزوله ، وهو ثلاث سنين ، وقيل إنه قدر سنتين ونصف .

(٤) أى القصة التى فيها نزول الملك على الرسول فى حراء بصدر سورة اقرأ كما روت عائشة .

(٥) أى حديثى جابر المذكورين . (٦) أى سؤال أبى سلمة .

(٧) أى : هل أول ما نزل بعد فترة الوحى بقية اقرأ أم سورة المدثر .

أَوَّلُهُ التَّطْفِيفُ ثُمَّ الْبَقَرَهْ   وَقِيلَ بِالْعَكْسِ بِدَارِ الْهِجْرَه

النوع الثانى عشر : آخر مانزل

وَآيَةُ الْكَلَالَةِ الْأَخِيرَهْ   قِيلَ الرِّبَا أَيْضاً وَقِيلَ غَيْرُهْ

(أوله) أى أول مانزل بالمدينة (التطفيف)[1] أى سورة التطفيف (ثم البقره) لما روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أول ما نزل بالمدينة : ويل للمطففين ثم البقرة (وقيل بالعكس) وهو منقول عن عكرمة وقوله (بدار الهجره) متعلق بأوله .

« تنبيه » يجوز إطلاق البقرة على السورة ، كما فعل الناظم هنا ، خلافاً لمن[2] قال لايجوز ذلك ، بل يقال السورة التى تذكر فيها البقرة . أفاده فى روح المعانى .

النوع الثانى عشر : آخر ما نزل

(وآية الكلالة) آخر النساء (الأخيره) فى النزول ، كما فى الصحيحين عن البراء بن عازب[3] ، والأخيره بقلب التاء هاء للروى . (قيل الربا أيضاً) آخر مانزل ، كما رواه البخارى

(قوله خلافاً لمن قال الخ) حجة المانعين مارواه الطبرانى والبيهقى عن أنس مرفوعاً «لاتقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة » لكن إسناده ضعيف ، وقال ابن الجوزى فيه إنه موضوع . وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فنى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة ، ومن ثم لم يكرهه الجهور ، والله أعلم .

النوع الثانى عشر : آخر مانزل

(قوله وقيل غيره) وهذه الأقوال المنقولة عن الصحابة فى آخر مانزل ليس فيها مرفوع ، فتحمل على أن كلا منهم قال ذلك باجتهاده فلا تنافى بينهم ، أو أن ذلك نسبى بالنظر للراوى

---

(١) هذا القول منقول عن على بن الحسين .

(٢) كالحجاج بن يوسف الثقفى ، وشبهته فى ذلك : أن فيه نوع تنقيص .

(٣) أنه قال آخر آية نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » وآخر سورة نزلت براءة . ويمكن نقض هذا الاستدلال بحمل الخبر المذكور على أن الآية آخر مانزل فى المواريث ، وأن السورة آخر ما نزل فى شأن تشريع القتال .

عن ابن عباس ، والبيهقي عن عمر [١] (وقيل غيره) بالنصب ، صفة لمحذوف ، أى وقيل قولا غيره ، أى غير المذكور ، فقيل آخر ما نزل قوله تعـالى : « واتقوا يوماً ترجعون » الآية ، رواه النسائي وغيره عن ابن عباس [٢] . وقيل إنه آخر براءة [٣] . رواه الحاكم عن أبيّ بن

حينما يسمع آية من النبي صلى الله عليه وسلم فيظن أنها آخر ما نزل لأنه لم يسمع بعدها شيئاً ، ويحتمل أن المراد آخر ما نزل أى في الفرائض آية الكلالة ، أو أن المراد بكونها آخراً أنه لم يأت بعدها ما يغيرها وينسخ حكمها . وقال الحافظ جلال الدين صاحب الإتقان : ولا منافاة عندى بين هـذه الروايات في آية الربا وآية الدين ، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، ولأنها في قصة واحدة ، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر ، وذلك صحيح اهـ .

﴿فائدة﴾ لاتنافى بين آية اليوم أكملت لـكم دينكم التي نزلت بعرفة عام حجة الوداع المشعرة بكمال الدين مع نزول بعض الآيات بعدها ، لأن المراد بإكمال الدين وإتمام النعمة فتح المسلمين مكة وانخذال دولة الشرك وحجهم بدون أن يخالطهم مشرك . ذكر ذلك ابن جرير رحمه الله تعالى وأيده بما يعلم بالوقوف عليه .

﴿خاتمة﴾ حمل من القرآن من مكة إلى المدينة سورة سبح كما يؤخـذ من البخارى ، وحمل من مكة إلى الحبشة سورة مريم ، فقد قرأها جعفر بن أبي طالب رضى الله عنـه على النجاشى ، أخرجه أحمد في مسنده . وحمل من المدينة إلى مكة صدر سورة براءة ، وآية ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ، وآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، ومن السور المدنية التي فيها آيات مكية سورة الأنفال والحج والحديد ، ومن السور المكية التي فيها آيات مدنية سورة الأعراف وإبراهيم والإسراء . والله أعلم .

(١) إن آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة : ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين.

(٢) قال : إن آخر ما نزل قوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » وهذا القول هو الذى تستريح إليه النفس ، لما أخرج ابن أبي حاتم قال : آخر ما نزل من القرآن كله « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية ، وعاش النبى ص بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول . فنص فيه على أنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله .

(٣) وهو قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الخ السورة . ويمكن نقض هذا القول بأنها آخر ما نزل من سورة براءة ، لا آخر مطلق . ويؤيده ماقيل إن هاتين الآيتين مكيتان ، بخلاف سائر السورة .

كعب ، وقيل إن آخر سورة نزلت سورة النصر[١] ، كما رواه مسلم عن ابن عباس . وقيل إن آخر سورة نزلت سورة براءة . رواه الشيخان عن البراء رضى الله عنه . والله أعلم[٢] .

(١) سورة إذا جاء نصر الله والفتح ، لك أن تحمل هذا الخبر على أن هذه السورة آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويؤيده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال حين نزلت « نعيت إلى نفسى » وكذلك فهم كبار الصحابة .

(٢) « ملاحظة » لعلك بعد تحقيق أول مانزل وآخره تستطيع أن تستدرك تقديراً لمدة نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأولها هو اليوم الذى هبط فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فى غار حراء بصدر سورة اقرأ ، وقد قالوا إنه يوافق السابع عشر من رمضان ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » . فجعل يوم الفرقان يوم التقاء الجمعين فى غزوة بدر ، وكان يوافق السابع عشر من رمضان على ماذكره بعض أصحاب المغازى والسير ، وفى هذا نظر : لأن السنة الصحيحة صريحة فى أن أرجى ما تكون ليلة القدر التى نزل فيها القرآن فى الوتر فى العشر الأخير من رمضان . وإلى ذلك ذهب جمهور أهل العلم . وأما آخرها فقد اعتبر بعض محقق تاريخ التشريع الإسلامى ، أنه اليوم التاسع من ذى الحجة سنة ١٠ من الهجرة ، وكأنه اعتمد على مافهمه من قوله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم » من أنه إكمال للدين بإكمال نزول القرآن ، لكن الأمر ليس كذلك ، بل الحق أنه اليوم الذى نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون » الآية . وهذا اليوم قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بتسع ليال .

العقد الثانى

مايرجع إلى السند ، وهى ستة أنواع

النوع الأول والثانى والثالث : المتواتر ، والآحاد ، والشاذّ

وَالسَّبْعَةُ القُرَّاءِ مَا قَدْ نَقَلُوا   فَمُتَوَاتِرٌ وَلَيْسَ يُعْمَلُ

العقد الثانى ما يرجع إلى السند ، وهى ستة أنواع

النوع الأول والثانى والثالث : المتواتر ، والآحاد ، والشاذّ

(والسبعةُ القراء[1]) بالرفع ، مبتدأ أول . قوله القراء بدل منه ، وهم : نافع[2] ، وعاصم[3] ، وحمزة[4] ، والكسائى[5] ، وابن عامر[6] ، وأبو عمرو[7] ، وابن كثير[8] .

---

(١) جمع قارئ . فى اللغة : اسم فاعل من قرأ . وفى الاصطلاح : يطلق على إمام من الأئمة المعروفين ، الذين نسبت إليهم القراءات .

(٢) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن المدنى ، أخذ القراءة عن أبى جعفر القارئ ، عن سبعين من التابعين ، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة المنورة . توفى سنة ١٦٩ هـ . وممن اشتهر بالرواية عنه قالون وورش .

(٣) هو أبو بكر عاصم بن أبى النجود الأسدى . كان قارئاً متقناً حسن الصوت بقراءة القرآن ، قرأ على زر بن حبيش . وعلى أبى عبد الرحمن بن حبيب السلمى . توفى بالكوفة أو بالسماوة سنة ١٢٧هـ . روى عنه شعبة وحفص كلاهما بدون واسطة .

(٤) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفى ، قرأ على أبى محمد سليمان بن مهران الأعمش . كان عالماً بكتاب الله مجوداً له عارفاً بالعربية . توفى بحلوان سنة ١٥٦ هـ . وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد ، لكن بواسطة سليم بن عيسى .

(٥) هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائى ، كان أوحد الناس بالقرآن ، فكانوا يكثرون عليه ، وقرأ على جماعة ، غير أن اعتماده كان على حمزة بن حبيب الزيات . توفى سنة ١٨٩ هـ وقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدورى .

(٦) اسمه عبدالله اليحصبى . أخذ القراءة عن المغيرة بن أبى شهاب المخزومى . وقيل إنه قرأ على عثمان نفسه . توفى بدمشق سنة ١١٨هـ وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان ، ولكن بواسطة أصحابه .

(٧) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمى المازنى أعلم الناس بالقراءة ، مع صدق وأمانة . وثقة فى الدين . قرأ على جماعة منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع والحسن البصرى . توفى سنة ١٥٤ هـ . وممن اشتهر بالرواية عنه الدورى والسوسى ولكن بواسطة اليزيدى .

(٨) هو أبو محمد عبد الله بن كثير الدارى ، كان إمام الناس فى القراءة بمكة ، قرأ على عبد الله بن السائب المخزومى . توفى سنة ١٢٠هـ بمكة ، وقد اشتهر بالرواية عنه البزى وقنبل ، ولكن بواسطة أصحابه .

بِغَيْرِهِ فِى الْحُكْمِ مَا لَمْ يَجْرِ   مَجْرَى التَّفَاسِيرِ وَإِلَّا فَادْرِ
قَوْلَيْنِ إِنْ عَارَضَهُ الْمَرْفُوعُ   قَدِّمْهُ، ذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَسْمُوعُ

(ما) : مبتدأ ثان ، أى القراءة التى (قد نقلوا) ها (فـ) هو (متواتر) ، وهو : مانقله جمع يمتنع[١] تواطؤهم[٢] على الكذب عن مثلهم ، إلى منتهاه . قال ابن الحاجب : إلا ما كان من قبيل الأداء : كالمد ، والإمالة ، وتخفيف الهمزة ، فإنه ليس بمتواتر ، وإنما المتواتر جوهر اللفظ . ورد[٣] بأنه يلزم من تواتر اللفظ تواتر الهيئة (وليس يُعمل بغيره) أى : بغير المتواتر من الآحاد والشاذ (فى الحكم) أى : الأحكام ، متعلق بيعمل . (ما لم يجر) أى غير المتواتر (مجرى التفاسير ، وإلا) أى بأن جرى مجرى التفاسير (فادر) أى فاعرف أن فى العمل به (قولين) قيل يعمل به ، وقيل لا يعمل به . ثم قال الناظم : و (إن عارضه) أى غير المتواتر الحديث (المرفوع) بالرفع ، فاعل (قدمه) بصيغة الأمر أى : المرفوع (ذا القول) وهو تقديم المرفوع على غير المتواتر (هو المسموع) والمرضىّ . هـذا تقرير كلام الناظم . ومقتضاه أن القولين فى الذى يجرى مجرى التفاسير ، وهو مخالف لما فى النُّقاية ، إذ القولان إنما هما فى ما لم يجر مجرى التفاسير ؛ ولذا قد أبدل[٤] البيت الثانى بعض الأفاضل بقوله :

العقـد الثانى

(قوله فتواتر) قد ذكر الجلال فى الإتقان أنواع القرآآت على رأى بعض العلماء فقال : أتقن ابن الجزرى هذا الفصل جداً ، وقد تحرر لى أن القرآآت أنواع (الأول المتواتر) وهو ما نقله جمع لايمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القرآآت كذلك (الثانى المشهور) وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم واشتهر

---

(١) أى عادة .   (٢) أى اتفاقهم .

(٣) أى مزعمه ابن الحاجب صريحاً من أن المد والإمالة وتخفيف الهمزة من قبيل الأداء ، وأنها غير متواترة ، مردود غير صحيح ، وحاصل الرد أنه إن أريد بما كان من قبيل الأداء ، أصله ، من غير نظر لمقداره ، فهو متواتر تبعاً لتواتر اللفظ ، وإن أريد به الخصوصيات الزائدة على الأصل فمسلم ، إلا أن العبارة غير وافية بهذا المراد .

(٤) أقول لاحاجة إلى إبدال البيت برمته ، إذ يكفى أن يقال : إذ لايجرى ، بدل قوله مالم يجر ، فتدبر

وَالثَّانِى الْآحَادُ كَالثَّلَاثَةِ ۞ تَتْبَعُهَا قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ

بغيره إلاّ الذى مِنْ ذا جَرَى ۞ مجرى التفاسير وَإلَّا فترى

يعنى وليس يعمل فى الأحكام بغير المتواتر من الآحاد والشاذ ، إلا الذى جرى مجرى التفاسير ، وذلك : كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه (وله أخ أو أخت « من أم ») فإنها تفسير لآية الكلالة ، التى فى أول سورة النساء ، عند قوله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت » وإن لم يجر مجرى التفاسير ، فترى فى العمل به قولين ، قيل : يعمل به وقيل : لا . وقوله من ذا : اسم الإشارة راجع للغير ، والجار والمجرور : بيان للذى . ثم قال (والثانى[1]) من الأنواع الثلاثة مما لا يصل إلى عدد التواتر مما صح سنده (الآحاد كـ) قراءة (الثلاثة) وهم يعقوب[2] وأبو جعفر[3] وخلف[4] المتممة

عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويقرأ به على ما ذكره ابن الجزرى ويفهمه كلام أبي شامة السابق ، ومثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ، وأمثلة ذلك كثيرة فى فرش الحروف من كتب القرآآت كالذى قبله (الثالث الآحاد) وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ولم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به . وقد عقد الترمذى فى جامعه والحاكم فى مستدركه لذلك باباً أخرجا فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد ، ومن ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » بفتح الفاء (الرابع الشاذ) وهو مالم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة ، من ذلك قراءة ملك يوم الدين بصيغة الماضى (الخامس الموضوع) كقرآآت الخزاعى . وظهر لى سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج ، وهو مازيد فى القرآآت على وجه التفسير كقراءة ابن عباس ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج ، أخرجها البخارى ا هـ

---

(١) مرفوع بالضمة الظاهرة ، لضرورة النظم ، كما فى قول الشاعر :

لعمرك ماتدرى متى أنت جائى ۞ ولكن أقصى مدة العمر عاجل

(٢) هو أبو محمد بن أبى إسحاق الحضرمى . قرأ على أبى المنذر سلام بن سليمان الطويل . توفى سنة ٢٠٥ هـ . وممن اشتهر بالرواية عنه روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل الملقب برويس .

(٣) هو يزيد بن القعقاع القارىء أخذ عن ابن عباس وأبى هريرة. توفى سنة ١٣٠ هـ . وقد اشتهر بالرواية عنه عيسى بن وردان ، وسليمان بن مسلم بن جماز .

(٤) هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب . قرأ على سليم ويعقوب بن خليفة الأعشى وأبى زيد سعيد بن أوس وأبان العطار . وتوفى سنة ٢٢٩ هـ . وممن اشتهر بالرواية عنه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المروزى ، وأبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادى .

وَالثَّالِثُ الشَّاذُّ الَّذِى لَمْ يَشْتَهِرْ   مِمَّا قَرَاهُ التَّابِعُونَ وَاسْتُطِرْ

للعشرة[1] و (تتبعها) أى الثلاثة فى كونها آحادا (قراءة الصحابة) التى صح إسنادها ؛ إذ لا يُظَن بهم[2] القراءة بالرأى . « واعلم » أنهم اختلفوا فى الثلاثة : هل هى من المتواتر أم لا ؟ فالأصح الذى عليه الأصوليون أنها منه . (والثالث) من الأنواع الثلاثة (الشاذّ الذى لم يشتهر ، مما قراه التابعون) لغرابته ، أو ضعف إسناده . قال فى شرح النقاية : كذا تبعنا البلقينىّ فى هذا التقسيم ، أى إلى الثلاثة ، وحررنا الكلام فى هذه الأنواع فى التحبير بما لامزيد عليه .

قال فى الإتقان : وهذا التقسيم فيه نظر ، يعرف[3] مما سنذكره . وأحسن من تكلم فى هذا النوع[4] ، إمام القراء فى زمانه ، شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجَزَرِىّ ، قال فى أول كتابه « النَّشْر » : كل[5] قراءة وافقت العربية ولو بوجه[6] ووافقت المصاحف

---

(١) أى للقراء العشرة . وهناك أربعة آخرين إذا أضيفوا إلى هؤلاء العشرة تكمل بهم عدة القراء الأربعة عشر ، وهم : الحسن بن يسار البصرى ، وابن محيصن محمد بن عبد الرحمن السهمى المكى ، ويحيى بن المبارك اليزيدى ، ومحمد بن أحمد الشنبوذى .

(٢) لأنهم عدول .   (٣) أى وجهه .   (٤) أى فى معرفة المتواتر .

(٥) يفيد هذا الضابط أن القراء اكتفوا فى ضابط القراءة المشهور ، بثلاثة أركان ، ولم يشترطوا التواتر ، مع أنه لابد منه فى تحقق القرآنية ، وذلك لأن التواتر قد لوحظ فى حد القرآن ، على أنه شطر أو شرط على الأقل ، ولم يلحظ فى الضابط ، لأنه يغتفر فى الضوابط ، مالا يغتفر فى الحدود ، لأن الضوابط ليست لبيان الماهية والحقيقة ، على أن الغرض هو التيسير على الطالب ، فى تمييز القراآت المقبولة من غيرها ، فإنه يسهل عليه بمجرد رعايته لهذا الضابط أن يميز القراآت المقبولة من غيرها ، أما إذا اشترط التواتر ، فإنه يصعب عليه ذلك التمييز ، لأنه يضطر فى تحصيله إلى أن يصل إلى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب فى كل طبقة من طبقات الرواية اهـ .

(٦) أى من وجوه قواعد اللغة ، سواء أكان أفصح أم فصيحاً ، متفقاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لايضر مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح .

وَلَيْسَ يُقْرَأُ بِغَيْرِ الْأَوَّلِ وَصِحَّةُ الإِسْنَادِ شَرْطٌ يَنْجَلِي

العثمانية[١] ولو احتمالا[٢] ، وصح إسنادها[٣] ، فهى القراءة الصحيحة ، التى لايجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة ، التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين . ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة[٤] ، أطلق عليها ضعيفة ، أو شاذة ، أو باطلة[٥] ، سواء كانت عن السبعة ، أم عمن هو أكبر[٦] منهم . هـذا[٧] هو الصحيح عند أئمة التحقيق ، من السلف والخلف . صرح بذلك الدانى ، ومكى ، والمهدوىّ . وأبو شامة ، وهو مذهب السلف ، الذى لا يُعْرَف عن أحـد منهم خلافه . اهـ . قوله (واستطر) بالبناء امجهول : تـكملة ، أى وجعل الشاذ مسطوراً فى أنواع القراآت (وليس) شانيَّة[٨] (يقرأ بغير الأول) أى بالآحاد والشاذ وجوباً ، فى الصلاة أو خارجها . ثم شرع الناظم فى بيان شروط ثبوت[٩] القرآنية ، فقال : (وصحة الإسناد) باتصاله وثقة رجاله وضبطهم

---

(١) أى المصاحف التى استنسخها عثمان رضى الله عنه ، وهى ستة : المكى ، والشامى ، والبصرى ، والـكوفى ، والمدنى العام ، الذى سيره عثمان من محل نسخه إلى مقره ، والمدنى الخاص به ، الذى حبسه لنفسه ، وهو المسمى بالإمام . وقيل إنها ثمانية ، بزيادة مصحف البحرين ، ومصحف اليمن . وقيل : إن عثمان أنفذ إلى مصر مصحفاً .

(٢) المراد به : أنه يكفى فى الرواية أن توافق رسم المصحف . ولو موافقة غير صريحة ، نحو « مالك يوم الدين » فإنه رسم فى جميع المصاحف بحذف الألف من كلة مالك ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتب « ملك الناس » وقراءة الألف تحتمله تقديراً ، كما كتب « مالك الملك » فتـكون الألف حذفت اختصاراً .

(٣) بأن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله ، وهكذا حتى ينتهى ، وتـكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له ، غير معدودة عندهم من الغلط ، أو مما شذ به بعضهم .

(٤) أى وفاق العربية ، ووفاق المصحف العثمانى ، وصحة السند .

(٥) أو للتنويع ، أى من أنواع القراآت القراءة الباطلة ، كالقراءة الموضوعة ، وهى ما نسبت إلى قائلها من غير أصـل ، مثال ذلك القراآت التى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى ، ونسبها إلى الإمام أبى حنيفة . (٦) أى أعظم شأناً من السبعة .

(٧) أى هذا الضابط الذى توزن به الروايات الواردة فى القراآت .

(٨) أى اسمها ضمير الشأن ، وهى تدخل على الجملة .

(٩) أى شروط تحقق القرآنية للقراءة المشهورة ، وهى ثلاثة ، حسبما نقله الشارح عن ابن الجزرى آنفا .

لَهُ كَشُهْرَةِ الرِّجَالِ الضَّبْطِ وِفَاقُ لَفْظِ الْعَرَبِى وَالْخَطُّ

وشهرتهم ، كما قال الناظم بعد (شرط ينجلى له) أى للقرآن ، أى لـكونه قرآناً (كشهرة الرجال) و (الضبط) بالجر عطفا على شهرة (وفاقُ لفظ العربى) برفع وفاق : عطفاً على صحة الإسناد ، أى موافقة القواعد العربية ولو بوجه ، كما فى النقاية ، وذلك كقراءة وأرجلِكم بالجر ، بخلاف ما خالفها ، فلا يكون قرآنا ، لتنزه القرآن عن اللحن (والخطِّ) بالجر : عطفاً على لفظ ، أى ووفاق خط مصحف الإمام عثمان رضى الله عنه ، بخلاف ما خالفه و إن صح سِنده ؛ لأنه مما نُسِخَ بالعَرْضة[1] الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العُثمانى ، والمراد بموافقة المصحف موافقة أحدها[2] بأن ثبت فى بعضها دون بعض ، كقراءة ابن عامر: «قالوا اتخذ الله ولداً » فى البقرة بغير الواو «وبالزبر وبالـكتاب» بإثبات الواو فيهما[3] ، فإن ذلك ثابت فى المصحف الشامى ، وكقراءة ابن كثير : « تجرى من تحتها الأنهار » فى آخر براءة بزيادة «من» فإنه ثابت فى المصحف المـكى ، ونحو ذلك قاله فى الإتقان عن ابن الجزرى . فمثال مالم يصحَّ[4] سنده قراءة[5] «إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ» الآية ، برفع الله ونصب العلماء ، وغالب الشواذ إسناده ضعيف ، ومثال ماصح[6] وخالف العربية وهو قليل[7] جداً ، رواية خارجة عن نافع : « معائش » بالهمزة ، ومثال ما صح وخالف الخط ، قراءة ابن

(قوله ونصب العلماء) سئل الإمام ابن الجوزى عن معنى هذه الآية على هـذه القراءة ، فقال أنشد ما قال الشاعر :

أهابك إجلالا وما بك قدرة على ولـكن ملء عين حبيبها

(١) وهى التى فى رمضان قبل وفاته (ص) ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل كل رمضان .

(٢) أى أحد المصاحف العثمانية . (٣) أى فى الاسمين . (٤) بأن نقله غير ثقة .

(٥) وهى قراءة عمر بن عبد العزيز ، وتحـكى عن الإمام الأعظم أبى حنيفة .

(٦) بأن نقله ثقة .

(٧) بل لا يكاد يوجد ؛ ولا يصدر هذا إلا على وجه السهو والغلط ، وعدم الضبط .

عباس[١] : « وكان أمامهم مَلِكٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحة غَصْباً » . (واعلم) أن القرآن والقراآت حقيقتان متغايرتان ، كما فى الإتقان ، فالقرآن : هو الوحى المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز . والقراآت[٢] : اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف وكيفيتها ، من تخفيف وتشديد وغيرهما .

﴿ فائدتان ﴾ الأولى : قال مكى كما فى الإتقان : من ظن أن قراءة هؤلاء القراء ، كنافع وعاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث[٣] ، فقد غلط غلطاً عظيما[٤] ، قال : ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة ، مما ثبت عن الأئمة غيرهم ، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً ، وهذا[٥] غلط عظيم[٦] . وقد بسط الكلام على هذا فى الإتقان فانظره . الثانية : إن أصح القراآت سندا نافع وعاصم[٧] ، وأفصحها أبو عمرو والكسائى اهـ . والله أعلم .

---

(١) بإبدال كلمة أمام من كلمة وراء ، وبزيادة كلمة صالحة .

(٢) جمع قراءة وهى فى اللغة مصدر سماعى لقرأ ، وفى الاصطلاح : مانقله الشارح هنا عن الإتقان ، وقد يعبر عنه بأنه مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء ، مخالفاً به غيره فى النطق بالقرآن ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء أكانت هذه المخالفة فى نطق الحروف ، أم فى نطق هيئاتها .

(٣) وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » رواه أحد وعشرون صحابياً . والحرف بمعنى الوجه ، فالمراد : أن هذا القرآن أنزل على هذه التوسعة ، بحيث لاتتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه ، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع فى أداء اللفظ الواحد ، ومهما تعددت القراآت وطرقها فى الكلمة الواحدة .

(٤) لأن هؤلاء القراء السبعة لم يكونوا موجودين حين نطق النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث .

(٥) أى هذا الكلام .

(٦) لما تقدم عن ابن الجزرى من أن كل قراءة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة يحكم بقبولها ، سواء كانت مروية عن الأئمة القراء السبعة ، أم عن العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين . فالأحرف السبعة التى أنزل القرآن عليها كما فى الحديث أعم من تلك القراآت المنسوبة إلى القراء السبعة عموماً مطلقاً . وهذه القراآت السبع أخص من تلك الأحرف خصوصاً مطلقاً .

(٧) أما نافع فقد أخذ عن أبى جعفر القارىء وعن سبعين من التابعين ، وهم أخذوا عن عبد الله ابن عباس وأبى هريرة عن أبى بن كعب عن رسول الله (ص) . وأما عاصم فقد أخذ عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص) . وأخذ أيضاً عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى عن الإمام على كرم الله وجهه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

النوع الرابع : قراآت النبي صلى الله عليه وسلم الواردة عنه

وَعَقَدَ الْحَاكِمُ فِى الْمُسْتَدْرَكِ ۞ بَابًا لَهَا حَيْثُ قَرَا بِمَلِكِ

كَذَا الصِّرَاطُ رُهُنٌ وَنُنْشِزُ ۞ كَذَاكَ لَا تَجْزِى بِتَا يَا مُحْرِزُ

النوع الرابع : قراآت النبي ﷺ الواردة عنه

(وعقد) أبو عبد الله (الحاكم) النيسابوريّ (فى) كتابه (المستدرك) على الصحيحين (باباً لها) أى للقراآت الواردة عن النبي ﷺ أخرج فيه من عدة طرق قراآته ﷺ (حيث قرا) ﷺ (بملك) فيما رواه أى الحاكم من طريق الأعمش، عن أبى صالح عن أبى هريرة، أنه ﷺ قرأ «مَلِكِ يوم الدين» بلا ألف، وهى قراءة أبى عمرو وابن عامر وحمزة وابن كثير ونافع، وقرأ عاصم والكسائى بألف و (كذا) قرأ ﷺ (الصراط) فيما رواه من طريق إبراهيم بن طهمان، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبى هريرة : أنه ﷺ قرأ « اهدنا الصراط المستقيم » بالصاد، وهى قراءة الجمهور ماعدا قنبلا، فإنه قرأ بالسين، وخَلَفاً فإنه قرأ بإشمام الصاد الزاى، أى مَزْج الصاد بالزاى[1]، وقرأ ﷺ أيضاً (رُهُنٌ) فى سورة البقرة، بضم الراء والهاء، بغير ألف، فيما رواه من طريق خارجة بن

النوع الرابع : قراآت النبي صلى الله عليه وسلم

(قوله قراآت) جمع قراءة وهى ما ثبت عن السبعة أو العشرة أو نحوهم، واتفقت الروايات والطرق عن المروى عنه ذلك. فإن كان الخلاف للراوى عن الإمام فرواية أو لمن بعده فنازلا فطريق، وما كان على غير هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارىء فوجه. مثال ذلك إثبات البسملة بين السورتين قراءة ابن كثير ومن معه. ورواية قالون عن نافع وطريق الأصبهانى عن ورش، ومثال الأوجه الوقف على العالمين بالقصر والتوسط والمد. وليس للقارىء الذى يريد الجمع ترك شىء مما ذكر من القراآت والروايات والطرق، وهو فى الأوجه بالخيار، فيكفى أن يأتى بواحد وينبه على الباقى أو يأتى أول مرة أو يأخذ بالأقوى منها عنده، ولا حاجة لجمع الأوجه فى كل موضع لأنه تكلف. والله أعلم.

(١) بحيث يتولد بينهما حرف ليس بصاد ولا زاي.

أَيْضاً بِفَتْحِ يَاءِ أَنْ يَغُلاَّ   وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ بِرَفْعِ الأُولَى

زيد بن ثابت عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قرأ « رُهُن مقبوضة » بغير ألف وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ، وقرأ الباقون : رهان بكسر الراء وفتح الهاء و إثبات ألف بعدها (و) قرأ ﷺ أيضاً (نُنْشِز) فى سورة البقرة بضم النون الأولى مع سكون الثانية وكسر الشين ، فيما رواه من هذه الطريق[١] أيضاً أنه ﷺ قرأ « كيف نُنْشِزها »[٢] وهى قراءة حمزة والكسائى وعاصم وابن عامر الشامى ، وقرأ الباقون نُنْشِرها ، بالراء[٣] بدل الزاى . وهناك قراءة أخرى[٤] شاذة . (كذاك) قرأ ﷺ (لاتجزى) بفتح التاء فى سورة البقرة (بتا) التأنيث[٥] فيما رواه من طريق داود بن مسلم بن عباد المكى عن أبيه عن عبد الله ابن كثير القارىء عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبىٍّ أن النبى ﷺ أقرأه « واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً » بالتاء « ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل » بالياء ، وهى قراءة السبعة ، وقرأ أبو السماك كما فى روح المعانى ، لا تُجْزِى بضم التاء من أجزأ (يامحرز) تكملة ، أى يا ضاماً للفائدة ، وحافظاً لها من أحرزت المتاع : إذا جعلْتَه فى الحِرْز ، وحفظتَه فيه ، و (أيضاً) قرأ ﷺ (بفتح ياء أن يَغُلا) بألف الإطلاق فى سورة آل عمران ، فيما رواه من طريق داودَ بْن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه ﷺ قرأ « وما كان لنبى أن يَغُلَّ[٦] » بفتح الياء ، أى وضم الغين ، مبنياً للفاعل ، وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم . وقرأ الباقون أن يُغَلَّ بضم الياء وفتح الغين مبنياً للمفعول[٧] (و) قرأ ﷺ أيضاً (العين بالعين برفع) نون العين (الأولى) فى سورة المائدة ، فيما رواه

(١) أى من طريق خارجة عن أبيه .
(٢) من الإنشاز وهو الرفع .
(٣) من أنشر الله الميت : أحياه .
(٤) وهى قراءة أبى بن كعب: ننشيها .
(٥) وقع فى الطبعة الأولى بتاء الخطاب ، وهو تحريف .
(٦) أى يخون فى الغنيمة .
(٧) أى أن تخونه أمته ، أو ينسب إلى الخيانة .

دَرَسْتَ تَسْتَطِيعُ مِنْ أَنْفَسِكُمْ ... بِفَتْحٍ فَا معْنَاهُ مِنْ أَعْظَمِكُمْ
أَمَامَهُمْ قَبْلَ مَلِكٌ صَالِحَةٍ ... بَعْدَ سَفِينَةٍ وَهَذِى شَذَّتِ

الحاكم من طريق الزهرى ، عن أنس رضى الله عنه ، أنه ﷺ كان يقرأ « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعينُ بالعين » بالرفع[١] أى لنون العين الأولى ، وهى قراءة الكسائى ، وقرأ الباقون بالنصب ، وقرأ ﷺ (درسْتَ) فى سورة الأنعام بسكون السين وفتح التاء ، فيما رواه من طريق حميد بن قيس الأعرج ، عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب : أن النبى ﷺ أقرأه « وليقولوا درسْتَ[٢] » يعنى بسكون السين ، وفتح التاء ، وهى قراءة نافع وحمزة والكسائى وعاصم . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارَسْتَ ، بألف بعد الدال ، وسكون السين ، وفتح التـاء ، وابنُ عامر بغير ألف وفتح السين وسكون التاء[٣] . وقرأ ﷺ أيضاً (تستطيع) بالتاء فى سورة المائدة ، فيما رواه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن غَنْم الأشعرىّ عن معاذ أن النبىّ ﷺ أقرأه : « هل تستطيع ربَّك » بالتاء الفوقية أى و بنصب ربك على المفعولية[٤] وهى قراءة الكسائى ، وقرأ الباقون بالغيب[٥] والرفع . وقرأ ﷺ (من أنفَسكم) فى آخر سورة التوبة (بفتح فا معناه من أعظمكم) أى قدرا ، فيما رواه من طريق عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس : أن النبىّ ﷺ أقرأه « لقد جاءكم رسول من أنفَسكم » بفتح الفاء ، يعنى من أعظمكم قدرا ، وهى[٦] كما فى روح المعانى . قراءةُ ابن عباس وابن محيصن والزهرىّ ، وهو أفعل التفضيل من النفاسة ، وقرأ السبعة من أنفُسِكم[٧] ، جمع نفس . وقرأ ﷺ أيضاً (أمامهم) فى سورة الكهف

---

(١) على الابتداء ، والجملة معطوفة على الجملة قبلها .
(٢) أى قرأت كتب الماضين ، وجئت بهذا منها .
(٣) أى هذه الأخبار التى تتلوها علينا قديمة ، قد درست وامحت .
(٤) أى هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك .
(٥) أى يستطيع بمعنى يفعل ، من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم .
(٦) أى القراءة بالفتح .
(٧) أى منكم وبلغتكم .

سَكْرَى وَمَاهُمْ بِسَكْرَى أَيْضاً   قُرَّاتُ أَعْيُنٍ لِجَمْعٍ تُمْضَى
وَاتَّبَعَتْهُمْ بَعْدُ ذُرِّيَّتُهُمْ   رَفَارِفاً عَبَاقِرِيٌّ جَمْعُهُمْ

حال كونها (قبل) لفظ (ملك) بسكون كاف ملك للوزن (صالحة بعد) لفظ (سفينة) فيما رواه من طريق أبى إسحاق السَّبيعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أنه ﷺ كان يقرأ « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » ، وهى قراءة ابن عباس وابن جبير ، وهى شاذة كما قال الناظم (وهذى[1] شَذَّتِ) ، والسبعة قرءوا وراءهم و بدون صالحة . وقرأ ﷺ (سَكْرَى وماهم بسَكْرَى أيضاً) في سورة الحج بفتح فسكون كعطشى فى الموضعين ، فيما رواه من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن عمران بن الحصين ، أن رسول الله ﷺ قرأ : « وترى الناس سَكْرَى وما هم بسَكْرَى » ، وهى قراءة الأَخَوَيْن أى حمزة والكسائى ، وقرأ الباقون بضم السين وفتح الكاف مع الألف على وزن كسالى فيهما ، وهناك قرآت أُخَر[2] شاذة ، وقرأ ﷺ أيضا (قُرَّات أعين) فى سورة السجدة ، بصيغة الجمع فيهما ، كما قال الناظم (لجمع تمضى)[3] كما رواه الحاكم من طريق عمار بن محمد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ، أن النبى ﷺ قرأ : « فلا تعلم النفس ما أخفى لهم من قرات أعين » ، وهى كما فى روح المعانى قراءة عبد الله وأبى الدرداء وأبى هريرة وعون والعُقَيلى . وقرأ السبعة «قرة أعين» بالإفراد (و) قرأ ﷺ (اتَّبَعَتْهُمْ) فى سورة الطور ، بتاء التأنيث حال كونها (بعد) ها لفظ (ذريتهم) بالرفع وهى قراءة السبعة ، ماعدا أبا عمرو ، فإنه قرأ « وأَتْبَعْناهم ذرياتهم[4] » بقطع الهمزة مفتوحة ، وإسكان التاء والعين ، ونون مفتوحة فألف بعدها . وهذه القراءة الثانية هى المذكورة فى النقاية . وقرأ ﷺ أيضاً (رَفَارِفاً عباقرىّ) فى سورة الرحمن ، بصيغة الجمع فيهما ، كلاهما

(١) أى القراءة .

(٢) منها قراءة أبى هريرة وابن نهيك سكارى بفتح السين فى الموضعين ، ومنها قراءة الحسن والأعرج سكرى بضم السين فيهما .

(٣) أى أن هذه القراءة للجماعة التى مضت وتقدمت من الصحابة .

(٤) بالجمع والنصب ، لا بالإفراد كما وقع فى الطبعتين .

النوع الخامس والسادس: الرواة والحفاظ من الصحابة والتابعين الذين اشتهروا بحفظ القرآن وإقرائه

عَلِيٌّ عُثْمَانُ أُبَيٌّ زَيْدُ ... وَلِابْنِ مَسْعُودٍ بِهٰذَا سَعْدُ

كَذَا أَبُو زَيْدٍ أَبُو الدَّرْدِ كَذَا ... مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَخَـــذَا

وزان مساجد، كما قال الناظم (جمعهم)(١) أى ثابت لهما فيما رواه الحاكم أيضاً من طريق الجحدَرىّ عن أبى بكر، أن النبى ﷺ قرأ «متكئين على رفارف خُضُر وعباقرى حسان». وهى — كما قاله الألوسىّ — قراءة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ونصر بن عاصم الجحدرى ومالك بن دينار، وابن محيصن وزهير الفُرُقُبى(٢) وغيرهم: رفارف بجمع غير منصرف، وعباقرىّ بكسر القاف وفتح المشددة(٣). وقرأ السبعة بالإفراد فيهما(٤). والله أعلم.

النوع الخامس والسادس: الرواة والحفاظ من الصحابة والتابعين الذين اشتهروا بحفظ القرآن وإقرائه

فمن الصحابة الذين اشتهروا بالحفظ أحد عشر وهم (علىّ) بن أبى طالب الهاشمى كرم الله وجهه، و (عثمان) بن عفان الأموىّ رضى الله عنه، و (أُبىّ) بن كعب الخزرجى رضى الله عنه و (زيد) بن ثابت الأنصارى الخزرجى رضى الله عنه، و (لـ) عبد الله (بن مسعود) الهذلى رضى الله عنه (بهذا) الحفظ والإقراء (سعد) ونجاح. (كذا) من الحفاظ (أبو زيد) الأنصارى رضى الله عنه، أحد عمومة أنس، واسمه قيس بن السكن على المشهور. و (أبو الدَّرداء) الخزرجى الأنصارى رضى الله عنه، واسمه عُوَيْمِر وقيل عامر بن زيد. (كذا) من الحفاظ (مُعاذ بن جَبَل) رضى الله تعالى عنه، فنى الصحيح عن عبد الله بن عمرو: سمعت النبى ﷺ يقول: «خذوا(٥) القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود،

---

(١) مبتدأ خبره محذوف كما أشار إليه الشارح. (٢) بفاء وقاف مضمومتين أو بقافين كذلك.
(٣) غير منصرف أيضاً للمشاكلة، أى مجاورته لرفارف.
(٤) فرفرف اسم جنس أو اسم جمع، واحده رفرفة، وعليهما يصح وصفه بقوله خضر. وكذلك عبقرى المراد به الجنس، ولذلك وصف بالجمع وهو قوله حسان. (٥) أى: تعلموا.

عَنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةٍ مَعَ ابْنِ ... عَبَّاسٍ ابْنُ سائِبٍ وَالْمَعْنِي
بِذَيْنِ عَبْدُ اللهِ ثُمَّ مَنْ شُهِرْ ... مِنْ تَابِعِيٍّ فَالَّذِي مِنْهُمْ ذُكِرْ
يَزِيدُ أَيْ مَنْ أَبُهُ الْقَعْقَاعُ ... وَالْأَعْرَجُ بْنُ هُرْمُزٍ قَدْ شَاعُوا
مُجاهِدٌ عَطَا سَعِيدٌ عِكْرِمَهْ ... وَالْأَسْوَدُ الْحَسَنُ زِرٌّ عَلْقَمَهْ

وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب . وفيه أيضاً عن أنس قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير الأربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد (وأخذا) بألف الإطلاق (عنهم) أي عن هؤلاء الثمانية (أبو هريرة) عبد الرحمن بن صخر الدَّوسى رضى الله عنه (مع) عبد الله (بن عباس) رضى الله عنهما الهاشميّ ، وعبدَ الله (ابنُ سائب) المطابيّ — رضى الله عنه — كما قال الناظم : (والمعنى) بكسر النون اسم مفعول من عَنَى كرمى (بذين) أي : بابن عباس ، وابن السائب (عبد الله) فهؤلاء الثلاثة أخذوا عن أبي ابن كعب رضى الله عنه. (ثم من شُهر) من الحفاظ والقراء (من تابعيّ) كثيرون (فالذى منهم ذكر) أبو جعفر (يزيد أي من أبه) لغة فى أبوه (القَعْقاع و) عبد الرحمن (الأعرج بن هُرمز) بضم الهاء والميم بينهما راء مهملة وقوله (قد شاعوا) واشتهروا بأنهم من الحفاظ والقراء ، تكملة . و (مجاهد) بن جبر بفتح الجيم المعجمة وإسكان الباء (عطا) بن يسار ، وابن أبي رباح ، ففيه استعمال المفرد للاثنين ، و(سعيد) بن جُبير بالتصغير و (عكرمه) بكسر العين مولى ابن عباس الهاشميّ المدنيّ (والأسود) بن يزيد الكوفى و (الحسن) بن أبي الحسن البصرى ، و (زر) بكسر الزاى وتشديد الراء بن حُبيش مصغراً الأسدى ، و (علقمه) بن قيس النخعيّ الكوفيّ ، (كذاك) من الحفاظ والقراء (مسروق) بن الأجدع ، بالجيم والدال ، الهمدانيّ (كذا) منهم (عَبيده) بفتح العين وكسر الباء ابن قَيس[1] السَّلْمانيّ[2] . فهؤلاء المذكورون من الصحابة والتابعين ، هم مرجع القراء السبعة

---

(١) ويقال : ابن عمرو ، وكنيته أبو مسلم . وقيل : أبو عمرو ، مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق .

(٢) بإسكان اللام : قبيلة من مراد .

كَذَاكَ مَسْرُوقٌ كَذَا عَبِيدَهْ   رُجُوعُ سَبْعَةٍ لَهُمْ لاَ بُدَّهْ

المتواترة قراءتهم كما قال الناظم (رجوع سبعة لهم لابده) فإن نافعاً أخذ عن أبى جعفر ، وابنَ كثير أخذ عن عبد الله بن السائب ، وأبا عمرو أخذ عن أبى جعفر ومجاهدٍ ، وابنَ عامر أخذ عن أبى الدرداء ، وعاصما أخذ عن زِرِّ بن حُبيش ، وحمزةَ أخذ عن عاصم (١) ، والكسائىَّ أخذ عن حمزة ، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين . آمين .

النوع الخامس والسادس : الرواة والحفاظ

(قوله رجوع سبعة لهم لابده) وكل واحد من القراء السبعة روى عنه جماعة ، اقتصر ابن مجاهد فى كل قارىء على راويين تقريباً فتابعه الناس على ذلك ، فروى عن نافع قالون وورش بلا واسطة ، وعن ابن كثير البزى وقنبل بواسطة ، وعن أبى عمرو حفص الدورى والسوسى بواسطة اليزيدى ، وعن ابن عامر هشام وابن ذكوان بوسائط ، وعن عاصم شعبة وحفص بلا واسطة ، وعن حمزة خلف وخلاد بواسطة سليم ، وعن الكسائى أبو الحارث وحفص الدورى .

ومما ينعش الأديب وتهتز له أريحية الأريب القصيدة الغراء التى أنشدها الكاتب البارع فى النثر والنظم وحسن الخط محمود المعروف بكشاجم فى وصف مصحف له بديع جامع لقراآت شتى رأينا إيرادها هنا :

من يتب خشية العقاب فإنى   تبت أنساً بهـذه الأجزاء
بعثتنى على القراءة والنسـك   وما خلتنى من القراء
حين جاءت تروقنى باعتدال   من قدود وصنعة واستواء
سبعة شبهت بها الأنجم السبـعة ذات الأنوار والأضواء
كسيت من أديمها الحالك الجـون غشاء أكرم به من غشاء
مشبهاً صبغة الشباب ولمـات العذارى ولبسة الخطباء
ورأت أنها تحسن بالضـد فتاهت بحـلة بيضاء

(١) إلا أن اعتماده على سليمان الأعمش كما قدمنا ، وسليمان هذا أخذ عن يحيى بن وثاب عن علقمة والأسود وغيرهما ، عن ابن مسعود .

فهى مسودة الظهور وفيها نور حق يجلو دجا الظلماء
مطبقات على صفائح كالريط تخيرن من متون الظباء
وكأن الخطوط فيه رياض شاكرات لصنعة الأنواء
وكأن البياض والنقط السود عبير رششته فى ماء
وكأن السطور والذهب الساطع فيها كواكب فى سماء
وهى مشكولة بعدة أشكال ومقروءة على أنحاء
وإذا شئت كان حمزة فيها وإذا شئت كان فيها الكسائى
خضرة فى خلال صفر وحمر بين تلك الأضعاف والأثناء
مثل ما أثر الدبيب من الذر على جلد غضة غيداء
ضمنت محكم الكتاب كتاب الله ذى المكرمات والآلاء
لحقيق على أن أتلو القرآن فيهن مصبحى ومسائى

قوله الأديم أى الجلد المدبوغ والحالك الشديد السواد والجون كذلك والغشاء الغطاء ، واللمات جمع لمة بالكسر وهو الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن ، واللبسة بالكسر هيئة اللباس ، وكان الخطباء فى ذلك العصر يلبسون السواد حتى فى الخطبة لكونه كان شعاراً لبنى العباس ، والريط جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست قطعتين ، والعبير أخلاط تجمع من الطيب ، والذر صغار النمل ، والغضة من النساء الرقيقة الجلد الظاهرة الدم ، والغيداء الفتاة الناعمة ، والله أعلم .

العقد الثالث

ما يرجع إلى الأداء ، وهى ستة أنواع

النوع الأول والنوع الثانى : الوقف والابتداء

وَالابْتِدَا بِهَمْزِ وَصْلٍ قَدْ فَشَا ۝ وَحُكْمُهُ عِنْدَهُمُ كَمَا تَشَا

العقد الثالث

ما يرجع إلى الأداء ، وهى ستة أنواع

النوع الأول والثانى : الوقف والابتداء

(والابتدا) فى الكلمة المبدوءة (بهمز وصل) أى بإثباتها ، مكسورة[1] أو مفتوحة[2] ، أو مضمومة[3] (قد فشا) وكثر ، (وحكمه[4]) أى الابتداء (عندهم)

العقد الثالث

ما يرجع إلى الأداء وهى ستة ، الأول والثانى : الوقف والابتداء

(قوله الوقف والابتداء) أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النحاس وأبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى والزجاجى والدانى والسجاوندى وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب . وأول من ألف فيه محمد بن الحسن الرؤاسى ابن أخى معاذ الهراء ، وقيل له الرؤاسى لأنه كبير الرأس ، وكان رجلا صالحاً . وقد أخذ عنه الكسائى والفراء ، وهو أول من وضع من الكوفيين كتاباً فى النحو ، وقد روى عنه أنه قال : بعث الخليل يطلب كتابى فبعثته إليه فقرأه ، وقد نقل عنه سيبويه . فكل ما فى كتاب سيبويه من قوله — وقال الكوفى — فإنما عنى به الرؤاسى ، هذا ويقال لكتابه هذا الفيصل ، وله من الكتب كتاب معانى القرآن

---

(١) فى أسماء سبعة ، وهى : ابن وابنة وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان واسم ، وفى فعل ثالثه مكسور أو مفتوح مطلقاً فيهما نحو اضربه واذهب ، أو مضموم ضما عارضاً نحو أتوا ، فإن أصله ايتوا بكسر عين الفعل كاضربوا .

(٢) أى بفتحها ، وذلك فى الاسم المعرف بالألف واللام ، نحو قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين »

(٣) فى فعل ثالثه مضموم ضما لازماً نحو انظر واؤتمن واستهزىء وما أشبه ذلك .

(٤) قول الناظم وحكمه : الأولى إظهار الضمير بأن يقال وحكم وقف ، لأن المشهور أن هذه الأمور الأربعة أحكام وأقسام للوقف ، لا للابتداء ، وعليه جرى الشارح هنا فى حدودها كما سترى .

وكتاب التصغير ، وكتاب الوقف والابتداء الكبير والصغير . وذكره أبو عمرو الدانى فى طبقات القراء وقال روى الحروف عن أبى عمرو وهو معدود فى المقلين عنه ، وسمع الأعمش وهو من جملة الكوفيين وله اختيار فى القراءة . وقال الزبيدى كان أستاذ أهل الكوفة فى النحو وأخذ عن عيسى بن عمر .

إذا علمت هذا فاعلم أيدك الله بتوفيقه أن فن الوقف والابتداء فن جليل الشأن عظيم المقدار به يتوصل لمعرفة معانى القرآن واستنباط الأحكام منه والوقوف على إعجازه ، ولذا حض الأئمة على الاعتناء به وتعلمه وتعليمه ، بل قيل بوجوبه اعتماداً على ماروى عن سيدنا على رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » قال هو تجويد الحروف . وقال ابن مجاهد لايقوم بالتمام فى الوقف إلا نحوى عالم بالقراآت عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها عن بعض عالم باللغة التى نزل بها القرآن .

والدليل على فضيلة هذا الفن ما أخرجه النحاس عن عبد الله بن عمر قال لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها ومايبغى أن يوقف عنده كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم . ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ مابين فاتحته إلى خاتمته مايدرى ما أمره ولا زجره ولا ماينبغى أن يوقف عنده منه . قال النحاس فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن . وقول ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة ثابت . قال السيوطى بعد ماذكر : أخرج هذا الأثر البيهقى فى سننه .

(قوله بهمز وصل) همزة الوصل هى التى تثبت فى الابتداء وتسقط فى الدرج ، وهمزة القطع هى التى تثبت مطلقاً وصلا وخطاً وابتداء إلا ما ورد من نقلها بشرطه عن بعض الرواة . وأما مواضع همزة الوصل فإنها تأتى فى ماضى الخماسى والسداسى وأمرهما كانطلق واستخرج ومصدرهما كانطلاق واستخراج وأمر الثلاثى كانصرْ ، ومن شأنها أن لاتكون فى مضارع مطلقاً ولا فى حرف غير لام التعريف ولا فى ماض على ثلاثة أحرف كأكل ولا فى ماض على أربعة أحرف أيضاً كأكرم ولا فى أمر الرباعى كأكرم . فالهمزة فى هذه كلها همزة قطع . وأما همزة أل فإنها همزة وصل مفتوحة وهمزة ابن وابنة وامرىء وامرأة واثنين واثنتين واسم كذلك همزة وصل مكسورة فيهن . أما همزة الوصل فى أمر الثلاثى فينبغى اعتبار الحرف الثالث منه فإن كان مكسوراً أو مفتوحاً فالبداءة به بكسر الهمزة نحو اضرب وارجع واذهب واستخرج ، وإن كان ثالثه مضموماً ضماً لازماً فالبداءة فيه بضم الهمزة نحو انظر وانصر ، بخلاف ما إذا كان الضم عارضاً نحو امشوا واقضوا فإن همزته مكسورة نظراً للأصل .

مِنْ قُبْحٍ أَوْ مِنْ حُسْنٍ أَوْ تَمَامِ   أَوِ اكْتِفَا بِحَسَبِ الْمَقَامِ

بإشباع الميم ، أى عند القراء (كما تشا) بالقصر لغة فيه (من قُبْح) بيان لما قبله ، وهو مايوهم[1] الوقوع فى محظور ، كالوقف عند قوله تعالى : «الملك يومئذ» ، ويبتدأ بقوله « لله يحكم بينهم » وكالوقف عند قوله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا » . و يبتدأ بقوله : « إن الله فقير » إلى غير ذلك مما يضر فى الاعتقادات (أو من حُسْن) وهو ما يحسن[2] الوقف عليه ، ولا يحسن[3] الابتداء بما بعده ، مثل الوقف عند قوله تعالى : « الحمد لله » ، فإن الوقف عليه حسن ، لأنه فى نفسه مفيد ، يحسن الوقف عليه ، لأن المعنى مفهوم ،

(قوله من قبح الخ) هذا شروع فى تقسيم الوقف والابتداء . واعلم أن الوقف لغة الحبس واصطلاحاً قطع الصوت عند آخر الكلمة مع التنفس بأحد أوجهه الثلاثة الإسكان المحض وهو الأصل والإسكان مع الإشمام والروم . وأنواع الوقف أربعة : اضطرارى وانتظارى واختبارى واختيارى . فمتى اضطر القارىء للوقف بسبب ضيق نفس أو سعال أو عجز أو نسيان سمى الوقف اضطرارياً ، وحكمه أنه ينبغى للقارىء وصله بأن يبدأ من الكلمة التى وقف عليها إن كانت صالحة للابتداء بها وإلا فبما قبلها ، ومتى أراد القارىء جمع الروايات ووقف على الكلمة ليعطف عليها غيرها سمى الوقف انتظارياً . ومتى أريد اختبار القارىء ليعلم كيف يقف على رسم المصحف العثمانى من مقطوع وموصول وتاء تأنيث لم تكتب بهاء وثابت ومحذوف سمى الوقف اختبارياً . ومتى كان الوقف مقصوداً لذاته من غير عروض سبب من الأسباب سمى الوقف اختيارياً . وهو الذى نريد أن نبحث عنه وهو الذى ينقسم

(١) هذا الحد ناقص غير جامع . والحد الجامع هو : مالايحسن الوقف عليه . ويقال : ما ليس بتام ولا كاف ولا حسن ، وتحته نوعان ، أحدهما : الوقف على كلام لا يفهم منه معنى لعدم تمام الكلام وقد تعلق ما بعده بما قبله لفظاً ومعنى كالوقف على بسم من بسم الله وعلى الحمد من الحمد لله وعلى رب من نحو رب العالمين وعلى مالك أو يوم من مالك يوم الدين . فكل هذا لايتم منه كلام ولا يفهم منه معنى لأنه لا يعلم إلى أى شىء أضيف . والنوع الثانى : الوقف على مايوهم الوقوع فى محظور .

(٢) قيد أول ، خرج به الوقف القبيح .

(٣) قيد ثان خرج به القسمان الآخران ، التام والكافى ، والمراد بهذا القيد أن يكون الموقوف عليه متعلقاً بما بعده من جهة اللفظ ، سواء كان ما بعده رأس آية أو غير رأس آية ، فإن كان غير رأس آية لايحسن الابتداء به ، فيستحب حينئذ أن يبتدأ من الكلمة الموقوف عليها ، فإن لم يفعل فلا إثم عليه . وإن كان رأس آية ، فإنه يحسن الابتداء به فى اختيار أكثر أهل الأداء ، لحديث أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ قطع آية آية : يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف .

ولا يحسن الابتداء برب العالمين ، لكونه تابعاً(١) لما قبله وليس رأس آية (أو تمام) أى تام وهو ماتم به الكلام وليس لما بعده تعلق(٢) بما قبله ، مثل الوقف عند قوله تعالى : « وأولئك هم المفلحون » ويبتدأ بقوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم » الآية (أو اكتفا) أى كاف ، وهو ما يكتفى بالوقف عليه والابتداء بما بعده كالتام(٣) ، إلا أنه يفرق بينه وبين الوقف التام ، بأن التام ليس بين الموقوف عليه ومابعده تعلق(٤) بخلاف الكافى ،

إلى أربعة أقسام : التام . الكافى . الحسن . القبيح . (قوله تام) التام لغة ضد الناقص واصطلاحاً هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لا لفظاً ولا معنى كالوقف على المفلحون فى سورة البقرة ، وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وأكثر مايوجد فى رؤوس الآى وعند انقضاء القصص ، وقد يوجد فى أثناء الآى نحو لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى . هنا وقف تام لانقضاء كلام الظالم ، ثم قال تعالى : وكان الشيطان للإنسان خذولا . ويوجد التام عند آخر كل سورة وعند آخر كل قصة ، وقد يتفاضل التام فى التمام مثل الوقف فى جاءنى ، مثل ماسبق تام ، والوقف على خذولا أتم . لتعلقه به تعلقاً خفياً ولأنه آخر الآية . وقد جعل بعضهم علامة التام التاء المفردة وهى (ت) وعلامة الأتم لفظ (أتم) وقد يتأكد الوقف على التام لبيان معنى مقصود وهو مالو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد ، وهذا هو الذى عبر عنه السجاوندى باللازم وعبر عنه بعضهم بالواجب وعلامته (م) و مثاله : لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء . هنا وقف لازم لأن قوله سنكتب إخبار من الله عما سيكتب على القائلين ، ولو وصل لأوهم أنه من مقولهم ، وكذلك قوله تعالى : فلا يحزنك قولهم . هنا وقف لازم . لأن قوله إنا نعلم مايسرون ومايعلنون جملة مستأنفة وردت تسلية للنبي ﷺ عما قالوه فى حقه أو فى حق القرآن مما لاينبغى أن يقال .

---

(١) أى صفة .

(٢) لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده . وأكثر مايوجد عند رءوس الآى ، وعند انقضاء القصص . وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة نحو : وجعلوا أعزة أهلها أذلة . هذا انقضاء كلام بلقيس . ثم قال تعالى : « وكذلك يفعلون » وهو رأس آية ، وقد يكون وسط الآية نحو : « لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى » وهو تمام حكاية قول الظالم ، وهو أبى بن خلف ، ثم قال تعالى : « وكان الشيطان للانسان خذولا » وهو رأس آية ، وقد يكون بعد انقضاء الفاصلة بكلمة نحو : « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » رأس الآية مصبحين ، والتمام وبالليل ؛ لأنه معطوف على المعنى أى : بالصبح وبالليل .

(٣) أى فى أن كلامهما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده . (٤) أى أصلا ، لا لفظاً ولا معنى .

فإن لما بعده تعلقا[1] بما قبله ، كما هو ظاهر فى الأمثلة ، والوقف الكافى مثل قوله تعالى «حرمت عليكم أمهاتكم» ويبتدأ بقوله « وبناتكم » ، لأنه يصلح لأن يبتدأ به ، لأنه معطوف بعضه على بعض . ثم إن انقسام الوقف[2] إلى هذه الأربعة (بحسب المقام) الذى يقتضيها .

﴿ واعلم ﴾ أن الحكم فى هذه الوقوف جائز[3] فى الثلاثة الأخيرة . وأما الأوّلُ وهو القبيح ، فالمحققون على عدم إطلاق القول بالتكفير ولا بالحرمة ، كما فى حلية الصبيان[4] . بل يقال فيه : إن الواقف عليه لايخلو إما أن يكون مضطرًّا أو متعمدا : فإن

(قوله الوقف الكافى) هو الوقف على كلمة انقطعت عما بعدها لفظاً أى إعراباً لامعنى ، كالوقف على : اليوم أحل لكم الطيبات، والابتداء بما بعده ، وكالوقف على قوله أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولهذا سمى بالكافى للاكتفاء به وانقطاع التعلق اللفظى دون المعنوى ، وقد يتفاضل الكاف فى الكفاية كالتام فى التمام نحو فى قلوبهم مرض كاف ، فزادهم الله مرضاً أكفى منه، بما كانوا يكذبون أكفى منهما . وعلامة الوقف الكافى الكاف مفردة هكذا (ك) . والفرق بين الكافى والتام أن التام فيه الانقطاع عما بعده لفظا ومعنى . والكافى فيه الانقطاع عما بعده لفظاً لامعنى . والفرق بين التعلق اللفظى والمعنوى أن التعلق اللفظى أن يكون مابعده متعلقاً بما قبله من جهة الإعراب كأن يكون صفة أو معطوفاً بشرط أن يكون ما قبله كلاماً تاماً ، وأما المعنوى فهو أن يكون تعلقه من جهة المعنى دون شىء من تعلقات الإعراب ، كالإخبار عن حال المؤمنين فى أول سورة البقرة مثلا فإنه لايتم إلا إلى قوله المفلحون ، ثم أحوال الكافرين تتم عند قوله ولهم عذاب عظيم ، ثم أحوال المنافقين تتم عند قوله إن الله على كل شىء قدير ، حيث لم يبق لما بعده تعلق بما قبله لالفظاً ولامعنى ، هكذا حرره الشيخ ملا على رحمه الله تعالى .

---

(١) أى من جهة المعنى فقط .

(٢) قال الجلال السيوطى : الابتداء فى أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، ويتفاوت تماماً وكفاية وحسناً وقبحاً بحسب تمام الكلام ، وعدم تمامه ، وفساد المعنى وإحالته ، نحو الوقف على قوله ومن الناس ، فإن الابتداء بالناس قبيح لعدم إفادته معنى ، وبقوله ومن تام لعدم تعلقه بما قبله لا لفظاً ولا معنى ، ولو وقف على من يقول كان الابتداء بمن حسناً لتعلقه لفظاً بالخبر المتقدم ، وبيقول أحسن ، لأن تعلق الصلة بالموصول أخف من تعلق المبتدأ بالخبر ، كذلك الوقف على قوله ختم الله قبيح ، والابتداء بلفظ الجلالة أقبح ، وبختم : كاف .

(٣) المراد به هنا الجواز الأدائى ، وهو الذى يحسن فى القراءة ، ويروق فى التلاوة حال الاختيار .

(٤) بل ولا بالكراهة .

(قوله من حسن) وهو الوقف على كلمة اتصلت بما بعدها لفظاً ومعنى بشرط تمام الجملة عند تلك الكلمة الموقوف عليها كقولك الحمد لله . وقولك رب العالمين حسن الوقف عليهما ، ولا يحسن الابتداء بما بعدهما لأن رب والرحمن صفتان لله تعالى ولا تقطع الصفة عن الموصوف ، إلا أن يكون رؤوس الآى فيجوز لكونه سنة على خلاف ، وسمى هذا الوقف حسنا لأنه يفهم معنى يحسن السكوت عليه ، ويكون رأس آية وغير رأس آية . فإن كان غير رأس آية فيستحب لمن وقف عليه أن يبتدىء من الكلمة الموقوف عليها فإن لم يفعل فلا إثم عليه ، وإن كان رأس آية جاز الوقف عليه والابتداء بما بعده إن لم يكن هناك تعلق قوى بحيث لم يتم الكلام ، والأحسن الوصل . ووقوفه عليه الصلاة والسلام على رؤوس الآى المستقلة ظاهر ، وأما على غيرها فقد كان يقف عليها ليعلم الحاضرين أنها آية ثم يصل إذا لم يتم الكلام . وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله :

الوقف فوق رؤوس الآى سنة من ... عليه جبريل بالقرآن قـد نزلا
محمـد المصطفى المبعوث من مضر ... ومن إلينا به دين الهدى وصلا
وكان يبدأ بعد الوقف إن صلحت ... بداءة كن لما قد قلت ممتثلا
أما إذا البدء لم يصلح فكان يرى ... عودا لبدء لما قبل الذى انفصلا
ووقفه كان تعليما لمستمع ... آى القران كما قـد قاله النبلا
فثق بما قلت واحذر قول من يك مـطلقا لوقف وبدء تبلغ الأملا
وقال كان رسول الله عند رؤو ... س الآى بالوقف مشغوفاً ومشتغلا
ويبدأن ولم يرجع وذا خطأ ... إن كان ما بعد بدء يورث الخللا
والمصطفى منه معصوم كما وردت ... به الأحاديث والتنزيل قد نزلا

وعلامة الوقف الحسن (ح) مفردة ، ومن سماه الوقف الصالح جعل علامته (ص) مفردة (قوله القبيح) هو الوقف على كلمة لها تعلق بما بعدها لفظاً ومعنى من غير تمام الكلام بحيث لا يفهم المراد أو يفهم خلافه كالوقف على المضاف دون المضاف إليه فى بسم الله ، والوقف على المبتدأ دون خبره فى الحمد لله ، والوقف على الفعل دون مفعوله فى وما خلقنا السموات . فالوقف قبيح وحكمه كما قال ابن الجزرى :

وغـير ما تم قبيح وله ... يوقف مضطراً ويبـدى قبله

أى لأن المقصود تبيين معانى الكتاب وتكميلها فالوقف مبين وفاصل بعضه من بعض ، وبذلك تحسن التلاوة فيحل الفهم والدراية ويتضح منهاج الهداية . وعلامة الوقف القبيح (لا)

وقف مضطراً للعيّ[١] أو غيره[٢] وابتدأ بما بعده غير معتقدٍ لمعناه[٣] ، لم يكن عليه وِزر[٤] إن عَرَفَ المعنى ؛ لأن نيته الحكايةُ عمن قال ، وهو غير معتقد لمعناه ، وكذا[٥] لو جهل معناه ، ولا خلاف بين العلماء فى أنه لايحكم بكفره من غير تعمُّدٍ ، ومن غير اعتقادٍ لمعناه . وأما لو اعتقد معناه فإنه يَكْفُرُ مطلقاً وَقَفَ أم لا ، فالوقف والوصل فى المُعْتقِد سواء[٦] ، وإن وقف متعمِّدا فينظر : فإن اعتقد ذلك المعنى كَفَرَ وإن لم يَعْتَقِد لم يكفر ، لكنه من الضرورة أن يَحْرُمَ عليه ، لما فيه من إيهام مالا يليق . ثم شرع الناظم فى تقسيم

(قوله ولاخلاف بين العلماء الخ) قال فى شرح الدر اليتيم : قول الأئمة لا يجوز الوقف على كذا وكذا إنما يريدون به الوقف الاختيارى الذى يحسن فى القراءة ويروق فى التلاوة حال الاختيار ، ولا يريدون به كونه حراماً أو مكروهاً ، إذ ليس فى القرآن من وقف واجب يأثم القارىء بتركه ، ولا من وقف حرام يأثم بوقفه ، لأن الوصل والوقف لايدلان على معنى حتى يختل بذهابهما ، إلا أن يكون لذلك الوقف والوصل سبب يؤدى إلى تحريمه كأن يقصد القارىء الوقف على قوله وما من إله ، وإنى كفرت ، وإن الله لا يستحيى ، وشبه ذلك مما قدمناه من غير ضرورة إذ لا يفعل ذلك مسلم . فإن قصد الإخبار كأن قصد نفى الآلهة أو أخبر عن نفسه بالكفر أو نفى الاستحياء عن الله عز وجل كفر ، وذلك لا يعلم إلا بقرينة تظهر منه أو بإخباره عن نفسه فإن لم يقصد لا يحرم . وإن لم تعلم منه قرينة تدل على كفره فلا يحكم به . هذا حكم العالم ، وأما العامى فلا يحكم عليه بشىء من ذلك إلا إن علم منه قرينة تدل على كفره أو شىء من ذلك فيحكم بها . والأحسن أن يجتنب الوقف على مثل ذلك بالتيقظ وعدم الغفلة دفعاً لإيهام أنه وقف على مثل ذلك قصداً اهـ . مع بعض زيادة لابن غازى .

---

(١) بفتح العين المهملة أى العجز .

(٢) كأن انقطع نفسه ، أو عطس ، أو ضحك ، أو غلبه النوم ، أو عرض له شىء من الأعذار التى لا يمكن بها أن يصل إلى مابعده ، وكذا لو كان الوقف لتعليم وامتحان .

(٣) أى لمعناه المحظور ، وذلك فى النوع الثانى من نوعى القبيح كما قدمنا .

(٤) أى إثم ، فيجوز له هذا الوقف جوازاً أدائياً وإن لم يتم المعى ، لكن يستحب له ، وقيل يجب أن يبتدىء من الكلمة التى قبل الموقوف عليها أو بها على حسب ما يقتضيه المعنى من الحسن ، لأن الوقف قد أجيز للضرورة ، فلما اندفعت لم يبق مانع من الابتداء بما قبله .

(٥) أى وكالعارف لمعناه العامى الجاهل له ، فلا يحكم عليه بشىء من الوزر ، إلا إن علم منه قرينة تدل على كفره ، فيحكم بها .

(٦) أى فى التكفير وعدمه .

وَبِالسُّكُونِ قِفْ عَلَى الْمُحَرَّكَهْ وَزِيدَ الإشْمَامُ لِضَمِّ الْحَرَكَهْ
وَالرَّوْمُ فِيهِ مِثْلُ كَسْرٍ أُصِّلاَ وَالْفَتْحُ ذَانِ عَنْهُ حَتْماً حُظِلاَ

آخر[1] للوقف ، فقال : (و بالسكون) متعلق بقوله (قف على) الكلمة (المحركه) بأى حركة كانت . والوقف على السكون عبارة عن قطع النطق[2] على الكلمة الوضعية ، زمنا يتنفس فيه عادة ، بنية استئناف القراءة[3] ، هذا[4] هو الأصل فى الوقف[5] (وزيد) فى الوقف (الاشمام لـ) أجل (ضم الحركه) فى آخر[6] الكلمة الموقوف عليها ، وسواء ضمّ الإعراب أو البناء ، نحو الوقف على نستعين والرحيم ، والإشمام : عبارة عن ضم[7] الشفتين بلا صوت عقب[8] حذف الحركة ، إشارة[9] إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (والرّوم فيه) أى فى الضم (مثلُ كسرٍ أُصِّلا) : بألف التثنية ، مبنياً للمجهول ، أى حال كون الضم[10] والكسر[11] أصليين ، لا عارضين ، كضم ميم[12] الجمع ، وكسر[13] التخلص من التقاء

(قوله وبالسكون الخ) السكون هو الأصل فى الوقف لأن الغرض من الوقف الاستراحة والسكون أخف الحركات كلها وأبلغ فى تحصيل الاستراحة فلذا صار أصلا بهذا الاعتبار ، وقوله زمناً يتنفس فيه لإخراج السكت لأن زمنه دون زمن الوقف عادة من غير تنفس ، وقوله بنية استئناف القراءة احترازاً من القطع ، وبهذا يتبين لك الفرق بين السكت والقطع والوقف

(١) أى من حيث كيفيته ، يقسم إلى ثلاثة أقسام : إسكان ، وإشمام ، وروم .
(٢) أى الصوت .
(٣) إما بما يلى الحرف الموقوف عليه ، أو بما قبله ، لا بنية الإعراض .
(٤) أى السكون المحض .
(٥) لأن الغرض من الوقف ، الاستراحة ، والسكون أخف من الحركات كلها ، وأبلغ فى تحصيل الاستراحة ، ولأنه ضد الابتداء ، فكما لا يبتدأ بساكن ، لا يوقف على متحرك .
(٦) ظاهر هذا القيد أن الإشمام مختص بالآخر ، وبه قال مكى . والذى عليه الأكثر أنه يكون أولا ووسطاً وآخراً .
(٧) بحيث تدع بينهما بعض انفراج ليخرج منه النفس .
(٨) أفاد أنه لابد من اتصال ضم الشفتين بالإسكان . فلو تراخى ، فإسكان مجرد عن الإشمام .
(٩) أى أن القصد منه : بيان الضمة الأصلية التى تثبت فى الوصل للحرف الموقوف عليه ، ليظهر للناظر عند وجوده أن الحركة الأصلية هى الضمة .
(١٠) أى فى الإشمام والروم .
(١١) أى فى الروم .
(١٢) أى لازمين .
(١٣) أى عند من ضم ، فلا إشمام فيه .

السا كنين . والرَّوم : عبارة عن الإتيان[(١)] ببعض الحركة وقفًا ، فلذا ضَعُفَ صوتُها لقصر زمنها ، ويسمعها القريب المُصْغِي ، نحو الوقف على شديد العقاب ، وشديد العذاب (والفتح) فى آخر الكلمة الموقوف عليها (ذان) أى الإشمام[(٢)] والرَّوم (عنه) أى عن الفتح (حتماً) أى وجوباً (حُظِلا) : بألف الإطلاق[(٣)] ، أى منع ؛ فيتعين الوقف فيه بالسكون لاغير[(٤)] .

(قوله الإشمام) فائدته الفرق بين ما هو متحرك فى الأصل وعرض سكونه للوقف وبين ما هو ساكن فى كل حال ، ولذا لا يكون إلا عند وجود الناظر دون قراءة القرآن فى الخلوة ، وقوله عن ضم الشفتين أى وتدع بينهما بعض انفراج ليخرج منه النفس ، ولا بد من اتصال ضم الشفتين بالإسكان ، فلو تراخى فإسكان مجرد عن الإشمام وهو معنى قول الشاطبي :

والاشمام إطباق الشفاه بعيد ما يسكن لا صوت هناك فيحصلا

ولا يدرك لغير البصير ، ويكون أولا ووسطاً وآخراً خلافاً لمكى فى تخصيصه بالآخر كما فى الجعبرى ، ويطلق الإشمام أيضاً على إخفاء الحركة بين الحركة والساكن كما فى قوله لا تأمنا عند الكل قاله أبو شامة ، وهو عين الإشمام المتقدم عند الوقف . إلا أنه هنا مع لفظك بالنون أى الأولى وفى الوقف عقب الفراغ من الحرف ، ويطلق الإشمام أيضاً على خلط حرف بحرف كخلط الصاد بالزاى فى نحو الصراط ، ويطلق أيضاً على خلط حركة بحركة أخرى كخلط الكسرة بالضمة فى نحو قيل كما قال صاحب الألفية :

واكسر أو اشمم فا ثلاثى أعل عيناً وضم جا كبوع فاحتمل

(قوله الروم) هو عبارة عن إضعافك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فيسمع لها صوت خفى يسمعه القريب المصغى دون البعيد لأنها غير تامة ، والمراد بالبعيد ماهو أعم

---

(١) أى فلا روم فيه . (٢) القصد منه كالإشمام ، وهو بيان الحركة الأصلية ، ليظهر للسامع عند وجوده كيف تلك الحركة : ضمة أو كسرة .

(٣) الظاهر بألف التثنية . راجع إلى ذان : الإشمام والروم .

(٤) فلا يجوز فيه الإشمام ، لأنك لو ضممت الشفتين ، لأوهمت خلافه ، ولا يجوز الروم فيه ، لخفته وسرعته فى النطق ، فلا يكاد يخرج إلا كاملا على حاله فى الوصل . وتلخص مما سبق أن الموقوف عليه من حيث جريان الأقسام الثلاثة فيه أو جريان بعضها على ثلاثة أنواع ، النوع الأول : مايوقف بالأقسام الثلاثة — أعنى السكون ، والإشمام ، والروم — وهو ما كان متحركا بالرفع أو الضم . والنوع الثانى : مايوقف عليه بالسكون والروم فقط ولا يجوز فيه الإشمام ، وهو ما كان متحركا بالخفض أو الكسر . وامتنع الإشمام فيه لأن إشمامه يكون بحط الشفة السفلى ، ولا يتأتى غالباً إلا برفع العليا ، فيوهم الفتح . والنوع الثالث : ما لا يوقف عليه إلا بالسكون فقط . ولا يجوز الإشمام ولا الروم أصلا . وهو ما كان متحركا بالفتح أو النصب غير منون .

حقيقة أو حكماً فيشمل الأصم والقريب إذا لم يكن مصغياً ، وإلى هذا أشار الشاطبي بقوله :

ورومك إسماع المحرك واقفاً   بصوت خفي كل دان تنولا

والفرق بين الروم والاختلاس مع اشتراكهما فى تبعيض الحركة أن بينهما عموماً وخصوصاً ، فالروم أخص والاختلاس أعم ، لأن الروم لا يكون فى المفتوح والمنصوب ويكون فى الوقف دون الوصل ، والثابت فيه من الحركة أقل من المحذوف ، والاختلاس أعم . ولا يضبط الروم والاختلاس إلا بالتلقى من شيخ ماهر فى الأداء فيسمعه منه المتعلم ويتكلف الأداء مثل أدائه . وفائدة الروم بيان الحركة الأصلية التى ثبتت فى الأصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع (قوله حتما حظلا) اعلم أن حاصل ما يجوز فيه الروم والإشمام أو الروم فقط وما لا يجوز ، أن الموقوف عليه ثلاثة أقسام . ﴿ الأول ﴾ ما كان متحركاً بالرفع إن كان معرباً أو الضم إن كان مبنياً نحو نستعين وعذاب وعظيم ومن قبل ومن بعد وياصالح ، فيجوز الوقف بالأوجه الثلاثة السكون والروم والإشمام . ﴿ والثانى ﴾ ما كان متحركاً بالخفض أو الكسر فى الوصل نحو الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، فهذا الوقف عليه بالسكون والروم دون الإشمام لعدم النقل ولأن الإشمام فيه يقتضى حط الشفة السفلى ولا يتأتى غالباً إلا برفع العليا فيوهم الفتح . ﴿ والثالث ﴾ ما يتعين فيه السكون المحض وهو فى عدة مواضع : أولها هاء التأنيث الموقوف عليها بالهاء نحو الجنة والملائكة والقبلة فلا روم ولا إشمام فيها إذ ليست على الهاء حركة فى الوصل بل هى مبدلة من التاء والثاء ومعدومة فى الوقف . أما ما رسم بالتاء فإن الروم والإشمام يدخلان فيه على مذهب من وقف بالتاء لأنها تاء محضة وهى التى كانت فى الوصل . ثانيها ما كان ساكناً فى الوصل نحو فلاتنهر ، ولا تمنن ، وانحر ، ومنه ميم الجمع . ثالثها ما كان متحركاً فى الوصل بحركة عارضة إما للنقل نحو قل أوحى عند ورش وإما لالتقاء الساكنين نحو قم الليل ، فلا يجوز فى ذلك الروم والإشمام . وإلى ذلك أشار الشاطبي بقوله :

وفى هاء تأنيث وميم الجمع قل   وعارض شكل لم يكونا ليدخلا

رابعها ما كان فى الوصل متحركاً بالفتح أو النصب غير منون نحو العالمين والمستقيم ، فلا يجوز الروم فيهما لخفة الفتحة وسرعتها فى النطق فلا تكاد تخرج إلا كاملة على حالها فى الوصل ، ولا يجوز ذلك الإشمام أيضاً لقول ابن الجزرى فى المقدمة :

وأشم ☆   إشارة بالضم فى رفع وضم

فِى الْهَا الَّتِى بِالتَّاءِ رَسْماً خُلْفُ   وَوَيْـكَأَنَّ لِلْـكِسَائِى وَقْفُ
مِنْهَا عَلَى الْيَا ، وَأَبُو عَمْرٍو عَلَى   كَافٍ لَهَا ، وَغَيْرُهُمْ قَدْ حَمَلاَ

ثم قال الناظم (فى) الوقف على (الها التى بالتاء رسماً) بصيغة المصدر ، أى مرسومة (خُلْفُ) أى : خلافٌ بين القراء ، فوقف عليها أبو عمرو والكسائيّ وابن كثير فى رواية البزّى: بالهاء[١] ، وكذا[٢] الكسائىُّ فى مرضات[٣] ، واللات[٤] ، وهيهات[٥] ، وتابعه البزّى[٦] فى هيهاتَ هيهاتَ فقط ، وكذا وقف ابن كثير وابن عامر[٧] ، على تاء أبتِ ، حيث وقع فى القرآن[٨] ، ووقف الباقون على هذه المواضع بالتاء[٩] ، (و) فى لفظ (وَيْكَأَنَّ) ومثله وَيْكَأَنه[١٠] (للكسائي) أى : فى رواية الدّورىّ (وقف منها على اليا) أى : على وَيْ ، وابتدأ بما بعده[١١] (و) وقف (أبو عمرو على كاف لها) أى : لكلمة وَيْكَأَنّ ، أى : على ويك وابتدأ بما بعده[١٢] (وغيرهم) أى غير الكسائىّ وأبى عمرو ، وجمع الضمير نظراً لهما ولراويهما ، أو للتعظيم ، وهم باقو السبعة[١٣] (قد حَملا) : بألف

(قوله أو للتعظيم) أو يقال هو بناء على أن أقل الجمع اثنان . . والله أعلم .

---

(١) ليس على إطلاقه ، بل هو مقيد بما لم يقرأوه بالجمع ، من المختلف فى إفراده وجمعه أما ما قرأوه كذلك ، فقد وقفوا عليه بالتاء ، كما أن الباقين يقفون على الجمع بالتاء . مثال ذلك قوله تعالى فى الأنعام : « وتمت كلمة ربك » قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ، بالجمع . وقرأها الكوفيون ويعقوب بالإفراد . (٢) أى وقف بالهاء .

(٣) فى ثلاثة مواضع : بالبقرة ، والنساء ، والتحريم .

(٤) بالنجم (٥) فى موضعى المؤمنون .

(٦) واختلف عن قنبل ، فقطع له بالتاء صاحبا التيسير والشاطبية .

(٧) وكذا أبو جعفر ويعقوب .

(٨) بيوسف ، ومريم ، والقصص والصافات . (٩) على الرسم .

(١٠) كلاهما فى سورة القصص : «ويكأنه لايفلح» ، «ويكأن الله» .

(١١) أى بقوله كأنه ، كأن الله . (١٢) أى بقوله إنه ، إن الله .

(١٣) أى الخمسة .

وَوَقَفُوا بِلَامِ نَحْوِ : مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ ، مَاعَدَا المَوَالِي
السَّابِقَيْنِ فَعَلَى مَا وَقَفُوا وَشِبْهُ ذَا المِثَالِ نَحْوَهُ قِفُوا

الإطلاق ، أى حمل الوقف على آخر[1] الكلمة بأسرها . قال فى التقريب : هذا[2] ماعليه الشاطبية ، وأكثر المحققين لم يذكروا فيهما[3] شيئاً من ذلك[4] ، فالوقف عندهم[5] على الكلمة برأسها ، لاتصالها[6] رسماً بالإجماع ، وهو[7] الأَوْلَى والمختارُ فى مذهب الجميع[8] ، اقتداء بالجمهور وأخذاً بالقياس الصحيح . قاله فى النشر .

(ووقفوا) أى : القراء (بلام) أى : على لام[9] (نحو مال هـذا الرسول[10]) ، كمال هذا الكتاب[11] فمال هؤلاء القوم[12] ، اتباعاً للرسم ؛ إذ تُفْصَل[13] فيه (ماعدا الموالى السابقَيْن) بصيغة التثنية ، المراد بهما : أبو عمرو والكسائىّ . أما كون الكسائىّ من الموالى فظاهر ، إذ أصله من فارس ، كما فى ابن القاصح ، وأما أبو عمرو ، فالمشهور أنه مازِنِىّ ، من مازن : قبيلة من العرب ، فعليه يكون إطلاق الموالى عليه تغليباً ، ثم اختلفوا فى الولاء هنا ، كما فى شروح الشاطبية ، فقيل : ولاء العتاقة ، وقيل : ولادة العجم . (فعلى) لفظ (ما وقفوا[14]) أى لا على اللام . هذا مُؤَدَّى كلام الناظم ، تبعاً[15] للنُّقاية ، وهو مخالف لما فى كتب القراءة . قال فى تقريب النفع : ووقف[16] أبو عمرٍو على « ما» فى قوله

---

(١) أى على النون فى ويكأن وعلى الهاء فى ويكأنه .
(٢) أى مايعطيه كلام الناظم من مخالفة الكسائى وأبى عمرو فيهما .
(٣) أى فى ويكأن وويكأنه . (٤) أى مما عليه الشاطبية .
(٥) أى عند أكثر المحققين . (٦) الياء بالكاف والكاف بأن .
(٧) أى كون الوقف على الكلمة برأسها .
(٨) أى جميع القراء ، حتى الكسائى وأبى عمرو . وعلى هـذا ، فالمختار عندهما مثل الجمهور ، إلا أنه يجوز عندالكسائى الابتداء بالكاف إذا وقف على الياء ، ويجوز عند أبى عمرو الابتداء بأن إذا وقف على الكاف . (٩) وابتدىء بما بعدها من الأسماء .
(١٠) فى الفرقان . (١١) فى الكهف . (١٢) فى النساء .
(١٣) أى تقع اللام مفصولة عما بعدها فى الرسم. (١٤) أى فلا لوم ولا اعتراض على التابع .
(١٥) وابتدىء باللام متصلة بما بعدها . (١٦) بلا خلاف .

تعالى : فمالِ هؤلاء ، بسورة النساء ، ومال هذا بسورتى الـكهف والفرقان ، فمال الذين كفروا ، بسورة المعارج ، والباقون على اللام فى الأربعة ، إلا الـكسائىّ ، فـله الوقف[1] على كل منهما .

هـذا مقتضى ما فى الشاطبية كأصلها[2] ، والأصح ، كما فى النَّشر : جواز الوقف على كل منهما[3] للجميع[4] ، اللهم إلا أن يقال : إن كلام الناظم محمول[5] على الجواز ، بالنسبة للـكسائىّ ، والوجوب بالنسبة لأبى عمرو (وشِبْهَ ذا المثال) المذكور فى النظم من الآيات المتقدمة (نحوَه) بالنصب : مفعول قفوا مقدم (قِفوا) بكسر القاف ، أمر من الوقف .

« تنبيه » قال فى التقريب : ثم إذا وقف[6] على ما ، أو على اللام ، فلايجوز الابتداء بما بعد كل[7] منهما . انتهى ، والله أعلم .

---

(١) أى فروى عنه الوقف على ما ، كأبى عمرو ، وروى عنه الوقف على اللام كالباقين .
(٢) وهو التيسير ، لمؤلفه أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى .
(٣) أى كل من ما واللام فى المواضع الأربعة .
(٤) أى لجميع القراء ، بدون استثناء .
(٥) أى وقف أبو عمرو وجوباً بلا خلاف ، والـكسائى جوازاً بخلاف ، على لفظ ما .
(٦) اختياراً أو اضطراراً .
(٧) أى : لابقوله تعالى « لهذا» ، ولا بقوله تعالى « هذا » .

النوع الثالث : الإمالة

حَمْزَةُ وَالْكِسَائِىْ قَدْ أَمَالاَ   مَا الْيَاءِ أَصْلُهُ : اسْمًا أَوْ أَفْعَالاَ

النوع الثالث : الإمالة

وهى أن تَنْطِقَ بالفتحة قريبة من الكسرة ، وبالألف قريبة من الياء[1] . ويقال لها فى اصطلاح القراء : إمالة كبرى . وعندهم إمالة صغرى تسمى بالتقليل ، وهى أن تلفظ بالحرف بحالة بين الفتح[2] والإمالة .

قال الناظم : (حمزة والكسائى قد أمالا)[3] بألف التثنية . أى إمالة كبرى (ما)[4] أى بالحرف[5] الذى (الياء أصله) ، ثم قلبت ألفاً . (اسما) كان مثل : موسى[6] وعيسى ومثواكم ومأواكم (أو أفعالا) مثل : سعى ورمى ويخشى ، وأمالا أيضاً (أَنَّى بمعنى[7] كيف) أى وبمعنى متى ، كما فى التقريب[8] ، وأمالا أيضاً ، أى حمزة

النوع الثالث : الإمالة

(قوله أمالا) إعلم أن الإمالة ثابتة فى لغات كثير من العرب ، ولم تقع إمالة لحفص فى القرآن إلا فى موضع واحد وهو قوله تعالى « بسم الله مجريها ومرساها » .

وقد ذكر الشارح حاصلا للإمالة فى خاتمة هذا النوع وهو نفيس جداً فعليك به نور الله البصيرة وصفى لنا ولك السريرة .

---

(١) قرباً كثيراً ، هى الإمالة المحضة .

(٢) أى بين لفظ الفتح ولفظ الإمالة المحضة الكبرى .   (٣) وصلا ووقفا .

(٤) أى كل ألف متطرفة منقلبة عن ياء تحقيقاً ، حيث وقعت فى القرآن ، فخرج بقيد التحقيق نحو الحياة ومناة ، للاختلاف فى أصلهما ، وبمنقلبة الزائدة ، نحو قائم ، وبعن ياء نحو عصاى ودعاة ، وبمتطرفة المتوسطة نحو سار .   (٥) أى الألف .

(٦) الأولى حذف موسى وعيسى هنا ، إذ هما أعجميان ، والألف فيهما غير منقلبة عن ياء ، بل هما عند حمزة والكسائى مندرجان تحت أصل ما رسم بالياء ، أو أصل آخر ، وهو ألفات التأنيث فتدبر .

(٧) أى الاستفهام ، وهذا داخل تحت أصل ما رسم بالياء .

(٨) أى تقريب النفع .

أَنَّى بِمَعْنَى كَيْفَ مَا بِالْيَا رُسِمْ ۞ حَتَّى إِلَى لَدَى عَلَى زَكَا الْتَزِمْ
إِخْرَاجُهَا ، سِوَاهُمَا لَمْ يُمِلْ ۞ إِلَّا بِبَعْضٍ لِمَحَلِّهَا اعْدِلِ

والكسائى (ما)[١] أى الحرف الذى (باليا رسم) نحو : متى وبلى ويا أسفى ويا حسرتى وعيسى وغيرها ، مما رسم فى المصحف العثمانى بالياء ، إلا ما استثنى كما يأتى ، بخلاف الواوىّ المرسوم بالألف : كالصفا وعصا ودعا وخلا ، فلم يمله أحد[٢] منهم ، تنبيهاً على ذلك[٣] ، كما فى ابن القاصح .

ثم شرع الناظم فى بيان المستثنيات ، فقال : (حتى) و (إلى) و (لَدَى) و (عَلَى) و (زكا) هذه الكلمات الخمس (التزم إخراجُها) أى من الذى[٤] يمال ، من المرسوم بالياء . ثم قال الناظم : (سواهما) مبتدأ ، أى سوى حمزة والكسائى (لم يُمِلِ) إمالة كبرى (إلا ببعض) من المواضع (لمحلِّها) أى الإمالة ، المناسب[٥] لمحله ، أى البعض . (اعدِلِ) من العدل ، أى لاتجُرْ[٦] لمحله ، بأن تعرفه حق المعرفة . وذلك[٧] أن أبا عمرو وَوَرْشاً وأبا بكر وحفصاً وهشاماً أمالوا فى مواضع معدودة . وحاصله كما فى التقريب : أن القراء فى الإمالة على قسمين : منهم من أمال ، ومنهم من لم يُمل ، والأول قسمان : مُقِلٌّ ، وهم ابن عامر ، وعاصم ، وقالون ؛ فإنهم لايميلون إلا فى مواضع معلومة . ومُكْثِرٌ ، وهم ورش وحمزة والكسائى وأبو عمرو ،

---

(١) أى كل ألف متطرفة كتبت فى المصحف العثمانى بالياء ، مما ليس أصله الياء ، بأن تكون زائدة أو عن واو فى الثلاثى .

(٢) وقد ضبطه العلامة المتولى بقوله :

عصا شفا إن الصفا أبا أحد ۞ سنا ما زكى منكم خلا وعلا ورد
عفا ونجا قل مع بدا ودنا دعا ۞ جميعاً بواو لا تمال لدى أحد

(٣) أى على كونه واوياً .

(٤) فالحروف حتى وإلى وعلى لم تمل ، لأن الحرف لاحظ له فى الإمالة ، والاسم لدى فى يوسف لدا الباب وفى غافر لدا الحناجر : رسم فى بعض المصاحف بالألف ، وفى بعضها بالياء ، والفعل ما زكى منكم من أحد هو من ذوات الواو بدليل قولك زكوت .

(٥) أى بالتذكير ، لأنه راجع إلى البعض .

(٦) أى لا تظلم . (٧) أى الإمالة .

النوع الرابع : المدّ

نَوْعَانِ مَايُوصَلُ أَوْ مَايُفْصَلُ ... وَفِيهِمَا حَمْزَةُ وَرْشٌ أَطْوَلُ

فإنهم أمالوا فى مواضع كثيرة ، كما تعلم من كتب القراءة ، لكن[١] أصل حمزة والكسائى الإمالة الكبرى ، وأصل ورش الإمالة الصغرى . وأما أبو عمرو فتردد بينهما ، جمعاً بين اللغتين ، والثانى الذى لم يمل هو ابن كثير . والله أعلم .

النوع الرابع : المدّ

وهو عبارة عن زيادة المطّ[٢] على المد الطبيعىّ[٣] ، فى حروف المد الثلاثة ، وهى الألف[٤]

النوع الرابع : المد

(قوله هو عبارة) أى معبر به ، وهذا الذى ذكره الشارح معناه اصطلاحا ، وأما لغة فمعناه الزيادة ، قال الله تعالى « يمددكم ربكم » أى يزدكم ، وعكسه القصر ، وهو لغة المنع واصطلاحاً إثبات حرف المد من غير زيادة عليه . والأصل فى هذا الباب مانقله فى النشر من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ولفظه : كان ابن مسعود يقرىء رجلا فقرأ الرجل « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » مرسلة أى مقصورة . قال ابن مسعود : ماهكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » فمدها . قال ابن الجزرى : هذا حديث جليل حجة ونص فى هذا الباب ، رجال إسناده ثقات ، رواه الطبرانى فى معجمه الكبير .

---

(١) المراد بالأصل : ما كثر وقوعه ، بخلاف ماقل وقوعه ، فيسمى فرش الحروف اهـ .

(٢) المط بالطاء المهملة : طول زمان الصوت .

(٣) المد الطبيعى : هو الذى لاتقوم ذات حرف المد دونه ، ولا يتوقف على سبب . وعلامته أن لايوجد بعده ساكن ولا همزة ، وسمى طبيعياً لأن صاحب الطبيعة السليمة ، لاينقصه عن حده ، ولايزيد عليه . وحده مقدار ألف وصلا ووقفاً ، ونقصه عن ألف حرام شرعاً ، وقدر الألف : هو أن تمد صوتك ، بقدر النطق بحركتين ، إحداهما حركة الحرف الذى قبل المد ، والأخرى هى حرف المد .

(٤) أى مطلقاً ، لم يقيد ماقبلها بشىء ، لأنها ساكنة حتما ، مفتوح ماقبلها لزوماً .

والواو الساكنة المضموم ماقبلها ، والياء الساكنة المكسور ماقبلها ، وضده[١] القصر ، وهو ترك تلك الزيادة[٢] . والمد[٣] (نوعان : ما يُوصَل) أى المتصل ، بأن يكون[٤] حرفُ المد والهمزة فى كلمة واحدة ، نحو شاء وسُوء ويُضِيء ، وهو المسمى بالمد الواجب[٥] . (أو ما

(قوله والواو الساكنة) اعلم أن الواو والياء إن تحركتا فهما حرفا علة فقط كوعد ويسر ، وإن سكنتا وقبلهما فتحة فهما حرفا علة ولين كالغيب والغوث وويل ، وإن سكنتا وكان قبلهما ما يناسبهما فهما حرفا علة ولين ومد كقيل ويقول .

واعلم أن المد نوعان : أصلى ويسمى الطبيعى وهو الذى لا يتوقف على سبب ولا بدونه الحروف تجتنب ، ولا تقوم ذات حرف المد إلا به ، مثاله نوحيها وعلامته أن لا يوجد بعده ساكن ولا همزة ، وسمى طبيعياً لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقص منه ولا يزيد عليه ، ومقدار مده (ألف) أى حركتان ، ونقصه عن ذلك حرام شرعاً ، فما يفعله البعض من المؤذنين أو القراء من الزيادة على المد الطبيعى أو النقص عنه من أقبح البدع كما لا يخفى . والنوع الثانى الفرعى وهو الذى يتوقف على سبب ، وسببه شيئان الهمزة والسكون وشرطه وجود حرف من حروف المد الثلاثة ، وأحكامه ثلاثة : الوجوب وهو فى المد المتصل ، والجواز وهو ثمانية أنواع : المد المنفصل نحو ياأيها ، والمد العارض للإدغام ، والمد العارض للوقف ، وما نقلت فيه حركة الهمزة إلى الساكن قبلها عند من أجاز ذلك نحو آلآن فى موضعين بسورة يونس ، ومد البدل نحو آمنوا وأوتوا وإيمانا ، ومد اللين نحو شىء ، ومد الصلة نحو : عليهم أأنذرتهم ، ومد الروم فى هآنتم أولاء عند من سهل همزة أنتم وأدخل ألفا قبلها . والنوع الثالث اللزوم وهو قسمان كلمى وحرفى ، وكل منهما إما مثقل أو مخفف ، والفرق فى التسمية بين المد اللازم والواجب اصطلاحى ، أما بالنسبة إلى المعنى اللغوى فلا فرق بينهما . وقد أشار إلى ما سبق صاحب التحفة فقال :

للمد أحكام ثلاثة تدوم   وهى الوجوب والجواز واللزوم
فواجب إن جاء همز بعد مد   فى كلمة وذا بمتصل يعد

---

(١) أى وضد المد . أتى الشارح بضده لأن الأشياء تتميز بأضدادها .

(٢) أى وإبقاء المد الطبيعى بحاله .

(٣) أى الفرعى ، وهو المد الزائد على المد الطبيعى ، لسبب من الأسباب .

(٤) سمى هذا النوع متصلا ، لاتصال الهمزة بحرف المد .

(٥) لأن جميع القراء أجمعوا على مده ، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، ولا خلاف بينهم فى مده قطعاً .

يُفصل) أى المنفصل ، بأن يكون(1) حرف المد والهمزة فى كلمتين ، نحو بما أنزل الله ،

وجائز مد وقصر إن فصل كل بكلمة وهذا المنفصل
ومثل ذا إن عرض السكون وقفاً كتعلمون نستعين
أو قدم الهمز على المد وذا بدل كآمنوا وإيماناً خذا
ولازم إن السكون أصلا وصلا ووقفاً بعد مد طولا

(قوله وهو المسمى) قال إمام المتأخرين محرر الفن ابن الجزرى رحمه الله تعالى : تتبعت قصر المتصل فلم أجده فى قراءة صحيحة بل ولا شاذة ، بل رأيت النص بمده عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد تقدم ذكره أول الباب ، فالمد محل اتفاق والزيادة محل اختلاف وقد علمنا اهـ. ومراده أن تفاوت القراء فى مقدار تلك الزيادة على حسب مذاهبهم : فأطولهم مداً ورش وحمزة ، وقدر بثلاث ألفات أى بست حركات لأن قدر كل ألف حركتان عربيتان ، وكان مشايخنا يقدرون لنا ذلك تقريباً بحركات الاصابع قبضاً أو بسطاً ، وذلك يكون بحالة متوسطة ليست بسرعة ولا بتأن ، فاعلم ضبط ذلك لتكون على يقين فى ضبط كل مرتبة . وأما عاصم فقدر بألفين وألفين ونصف ، والشامى وعلى بألفين ، وقالون وابن كثير وأبو عمرو بألفين وبألف ونصف . وأما من قال بأن أطول المد خمس ألفات فقدار الألف عنده حركة فمعناه خمس حركات ، ويزاد عليه الطبيعى ومقداره عنده حركة ، فمجموع ذلك ست حركات ، وكذا من قال بأن مقدار التوسط ثلاث ألفات ودونه ألفان فإنه يريد غير ما فيه من المد الطبيعى ومقداره عنده حركة كما تقدم ، فتنبه لذلك لئلا تختلف عليك الأقوال . ووجه مد المتصل كما قال الجعبرى هو أن حرف المد ضعيف خفى والهمز قوى صعب ، فزيد فى المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوى ، وقيل ليتمكن من النطق بالهمزة على حقها من شدتها وجهرها ، وقيل يستعان به على النطق بالهمزة وليكون صوتاً لحرف المد عن أن يسقط عند الإسراع لخفائه وصعوبة الهمزة . وأما وجه التفاوت فى مراتب المد فلأجل مراعاة سنن القراآت (قوله المنفصل) سمى منفصلا لانفصال حرف المد عن شرطه ويسمى هذا المد الجائز ، وأطول من يمده ورش وحمزة وقدر بثلاث ألفات ، ثم عاصم بألفين وألفين ونصف ، ثم ابن عامر والكسائى بألفين ، ثم قالون والدورى بألف وبألف ونصف ، ثم ابن كثير والسوسى بألف . والحاصل أن المتصل والمنفصل اتفقا فى الزيادة وتفاوتا فى النقص ، فلا يجوز فيهما الزيادة على ست حركات ولا يجوز نقص المتصل عن ثلاث حركات ولا المنفصل عن حركتين ، وهذا كله تقريبى

(1) أى يكون حرف المد آخر كلمة ، والهمزة أول كلمة أخرى ، سمى هذا النوع منفصلا ، لانفصال حرف المد من الهمزة .

فَعَاصِمٌ فَبَعْدَهُ ابْنُ عَامِرِ   مَعَ الْكِسَائِىْ فَأَبُو عَمْرٍو حَرِى

قالوا آمنا ، وهو المسمى بالمد الجائز[١] (وفيهما) أى فى المدين (حمزة) و (ورشٌ) ، (أطولُ) من غيرهما ، ولهما ثلاث[٢] ألفات تقريباً فى الأشهر عند المتأخرين . (فـ) يليهما فى الطول (عاصم) وله ألفان ونصف[٣] تقريباً . (فَبَعده) أى عاصم ، أى فيلى عاصماً فى الطول (ابن عامر مع الكسائى) لهما ألفان[٤] تقريباً (فـ) يليهما فيه (أبو عمرو) له ألف ونصف تقريباً ، وقوله (حَرِى) أى : حقيق وجدير بالتلو فى المد ،

لا يضبط إلا بالمشافهة من أفواه المشائخ والسماع من الأستاذ الراسخ ثم الإدمان عليه .
وقد أشار بعضهم إلى ما لكل من القراء السبعة فى مراتب المد المتصل والمنفصل فقال :

ومنفصلا أشبع لورش وحمزة   كمتصل والشام مع عاصم تلا
بأربعة ثم الكسائى كذا اجعلن   وعن عاصم خمس وذا فيهما كلا
ومنفصلا فاقصر وثلث ووسطن   لقالون والدورى كموصول انقلا
ولكن بلا قصر وعن صالح ومك   لمتصل ثلث ووسطه تفضلا
مع القصر فى المفصول صاح وثلثن   ووسط لموصول على القصر تجملا
وثلث على التثليث وامدد وأربعاً   على مثلها خمساً بخمس تسبلا
وفى ذى اتصال حيث ثلثت فاقصرن   لمنفصل وامدد ثلاثاً لتعدلا
وفى أربع قصر أتى مع أربع   وفى الخمس خمس ذى المراتب جملا

ووجه المد للهمز أن حروف المد خفية والهمز بعيد المخرج صعب فى اللفظ ، فإذا لاصق حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد خفاء فقوى بالمد احتياطاً لبيانه وظهوره ، ووجه القصر أن الهمز لما كان فيه بصدد الزوال فى حال الوقف لم يعط فى حال الثبات حكما ، بخلاف المتصل فإن الهمز فيه لازم وصلا ووقفاً ، والله اعلم .

(١) لاختلاف القراء فيه ، فابن كثير والسوسى يقصرانه وعدانه ، والباقون يمدانه بلا خلاف .
(٢) هذه الألفات المذكورات قدر كل ألف منها حركتان عربيتان . قال ابن غازى : وكان مشايخنا يقدرون ذلك تقريباً بحركات الأصابع ، أى قبضاً أو بسطاً ، وذلك يكون بحالة متوسطة ، ليست بسرعة ولا بتأن ، فاعلم ضبط ذلك ، لتكون على يقين فى ضبط كل مرتبة ، انتهى .
(٣) وتقدر بخمس حركات ، هذا مذهب لعاصم ، وله مذهب آخر ، كمذهب ابن عامر والكسائى .
(٤) تقدر بأربع حركات .

وَحَرْفَ مَدٍّ مَكَّنُوا فِي الْمُتَّصِلْ   طُرًّا وَلٰكِنْ خُلْفُهُمْ فِي الْمُنْفَصِلْ

النوع الخامس : تخفيف الهمزة

نَقْلٌ فَإِسْقَاطٌ وَإِبْدَالٌ بِعَدْ   مِنْ جِنْسِ مَاتَلْتَهُ كَيْفَمَا وَرَدْ

تكملة . (وحرفَ مد) بالنصب مفعول مقدم ، وهو الألف والواو والياء ، كما تقدم . (مَكَّنوا[١]) أى مكن القراء حرف مد (فى) المد (المتَّصل طُرًّا) أى جميعاً ، من غير استثناء منهم ، و إنما الخلاف فى القدر[٢] ، كما تقدم قريباً . (ولكن خُلْفُهم) أى خلاف القراء (فى) تمكين المد (المنفصل) هل يمد أو لا ، فمنهم من[٣] لم يمد ، أى لا يزيدون على المد الطبيعى : كقالون[٤] والسوسى[٥] وابن كثير ، ومنهم من مد[٦] ، وهم الباقون ، والله أعلم .

النوع الخامس : تخفيف الهمزة

والتخفيف كما يأتى فى النظم ، يكون بأحد الأنواع الأربعة : النقل ، والإسقاط ، والإبدال ، والتسهيل . وقال فى الإتقان : إعلم أن الهمزة لما كانت أثقل الحروف نطقاً ،

النوع الخامس : تخفيف الهمزة

(قوله أن الهمزة) اعلم أن الهمزة مخرجها أقصى الحلق يعنى أبعده مما يلى الصدر ، ولها من الصفات خمس جمعها بعضهم فى بيت فقال :

للهمز جهر واستفال ثبتا   فتح وشدة وصمت يافتى

---

(١) أى جعلوا له مكانة ومنزلة ، يعنى اتفقوا فى المد المتصل على اعتبار أثر الهمزة ، وهو زيادة المد المسمى عندهم بالمد الفرعى ، فلا يجوز نقصه عن ثلاث حركات .

(٢) أى مقدار تلك الزيادة ، على حسب مذاهبهم فيه .

(٣) أى من يقصر ولا يمد ، والقصر : هو حذف المد العرضى وإبقاء ذات حرف المد على مافيها ، من غير زيادة ، فلا يجوز نقصه عن حركتين .

(٤) ولقالون مذهب آخر ، وهو مده ثلاث حركات وأربعاً .

(٥) وقع فى الطبعة الأولى البزى ، بدل السوسى .

(٦) أى بلا خلاف ، وهذا المد متفاوت ، على مقدار مراتبهم فى التحقيق والترتيل ، والتوسط والحدر ، فأقصرهم مداً ابن كثير والسوسى ، وقدر بألف ، ثم قالون والدورى ، بألف ونصف ، ثم ابن عامر والكسائى بألفين . . . الخ ماسبق .

وأبعدها مخرجاً ، تنوّع العرب فى تخفيفها بأنواع التخفيف[١] ، فتخفيف الهمزة على أربعة أنواع ، أشار الناظم إليها بقوله (نقل) أى : أحدها نقل لحركتها إلى ماقبلها[٢] ، (فإسقاط) لها ، وذلك[٣] محله كما فى التقريب ، إذا كان آخر الكلمة ساكناً[٤] غير[٥] حرف مد ولين ، وأتى بعده همزة قطع أول الكلمة ، فورش ينقُل حركة[٦] الهمزة إلى الساكن قبله ، ويُسقِط الهمزة[٧] نحو قد افلح بفتح الدال مع إسقاط الهمزة ، وبعادٍ ارم ، بكسر نون التنوين ، مع إسقاطها أيضاً ، ومَنَ آمن : بفتح نون من ، مع إسقاط الهمزة . (و)ثانيها : (إبدال) للهمزة[٨] (بـ) حرف (مد من[٩] جنس ماتلته) أى : من جنس

وهى من حروف الإبدال وحروف الزوائد ، ولا صورة لها فى الخط تعرف بها ، وإنما يستعار لها صورة غيرها ، فمرة يستعار لها صورة الألف نحو رأس ، ومرة يستعار لها صورة الواو نحو يؤمنون ، وتارة يستعار لها صورة الياء نحو بئر ، وتارة لايكون لها صورة نحو دفء وإنما تعلم بالشكل والمشافهة . والناس يتفاضلون فى النطق بها على غلظ طباعهم : فمنهم من يلفظ بها لفظاً تنفر منه الطباع وذلك مكروه معيب من أخذ به ، ومنهم من يلفظ بها مفخمة أبداً وهو خطأ ، ومنهم من يريد تخفيفها فيشددها فى التلاوة ، ومنهم من يأتى بها فى لفظه مسهلة ، وذلك كله لايجوز إلا فيما أحكمت الرواية تسهيله . والذى ينبغى للقارىء إذا أتى بالهمزة أن يأتى بها سلسة فى النطق سهلة فى الذوق من غير إخراج لها عن حدها ، بحيث تألفها الطباع فتستحسنها القراء ، فإذا ابتدأ بها القارىء فليحذر من تغليظ النطق بها ، فإن جاء بعدها حرف مد مغلظ نحو الطلاق كان التحفظ آكد (قوله أبعدها مخرجاً) أى لكونها من أقصى الحلق (قوله فإسقاط) وحكمة ذلك التخفيف ، وقوله بعده وإبدال وحكمته المناسبة ، ولا يخفى مافى التسهيل من التسهيل ، وإن أردت بسط المقام فعليك بالكتب المؤلفة فى هذا الشأن .

---

(١) وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفاً ، ولذلك أكثر مايرد تخفيفه من طرقهم كابن كثير من رواية أفلح ، وكنافع من رواية ورش ، وكأبى عمرو ، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز اهـ .

(٢) أى إلى الساكن قبلها . (٣) أى النقل .

(٤) خرج بقيد السكون نحو : الكتاب أفلا .

(٥) خرج بقوله غير حرف مد ، نحو : يا أيها . قالوا آمنا . فى أنفسكم .

(٦) سواء كانت هذه الحركة ضمة أو فتحة أو كسرة .

(٧) وبه قرأ نافع ، فى طريق ورش . واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش : كتابيه إنى ظننت ، فسكنوا الهاء ، وحققوا الهمزة . وأما الباقون فحققوا وسكنوا فى جميع القرآن . (٨) أى الساكنة .

(٩) أى من جنس حركة ما قبلها ، واواً بعد الضم ، وألفاً بعد الفتح ، وياء بعد الكسر .

نَحْوُ أَئِنَّا فِيهِ تَسْهِيلٌ فَقَطْ وَرُبَّ هَمْزٍ فِي مَوَاضِعِ سَقَطْ

الحرف الذى تلته الهمزة (كيفما ورد) أى : على أى حالة ورد ما تلته الهمزة ، من[١] فتح أوضم ، أو كسر ؛ وذلك[٢] محله كما فى التقريب عند ورش : إذا وقعت الهمزة الساكنة فى مقابلة فاء الفعل[٣] ، نحو يؤمنون ، مؤتفكة ، وإيذن لى ، وتالمون ، إلا ما كان من مادة[٤] الإيواء ، فلا تبدل[٥] عنده نحو مأوى وتؤوى ونحوهما ، وتبدل أيضاً عنده الهمزة المفتوحة بعد ضمٍّ واوا ، مع كونها[٦] فاء الفعل ، نحو مؤجّلا ومؤذّن ويؤاخذ ! وأمّا الباقون ففيه[٧] تفاصيل عندهم ، تعلم من كتب القراآت . وثالثها : التسهيل . وأشار إليه بقوله (نحو أئنا) مما فى الكلمة الواحدة همزتان الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ، أئذا وأئنكم وأإله (فيه) أى فى أئنا[٨] (تسهيل) بين[٩] الهمزة وبين حرف حركتها (فقط) . أى لا إبدال فيه[١٠] . أما إذا كانت الهمزتان[١١] فى كلمتين ، أو فى كلمة والثانية غير[١٢] مكسورة ،

---

(١) بيان لكيفما . (٢) أى الإبدال .

(٣) فاء الفعل عبارة عما يقابل الفاء بما جعل معياراً لمعرفة الأصلى والزائد من لفظ الفعل .

(٤) أى جميع ماوقع من لفظ الإيواء .

(٥) أى فتقرأ الهمزة منه ، ولا تبدل بحرف مد من جنس ما قبلها .

(٦) خرج بهذا القيد الأخير نحو : فأصبح فؤاد أم موسى ، فإن الهمزة فيه وإن كانت مفتوحة وماقبلها مضموم ، إلا أنها ليست بفاء الفعل ، فتحقق ولا تبدل . (٧) أى فى الإبدال .

(٨) لعل الأولى : فى نحو أئنا أى فى أئنا ونحوه .

(٩) بأن تجعل الهمزة الثانية فى الكلمة المذكورة بين الهمزة والياء ، وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمر ، وكذا قرأوا بالتسهيل بين الهمزة والواو ، إن كانت مضمومة ، نحو أؤنبئكم .

(١٠) أى فى هذا النوع ، وكذا فى نوع الهمزة الثانية المضمومة .

(١١) إذا كانت الهمزتان فى كلمتين : فقالون والبزى سهلا الأولى من المكسورتين ، بين الهمزة والياء ، ومن المضمومتين بين الهمزة والواو ، نحو هؤلاء إن كنتم . وأولياء أولئك ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية ، فى حالة اختلاف حركتى الهمزتين ، نحو تفىء إلى ، وجاء أمة بالمؤمنين ، ونشاء أصبناهم ، ومن الماء أو ، وما مسنى السوء إن .

(١٢) بأن كانت مضمومة ، وقد قدمنا آنفاً ، أو مفتوحة ، وفيها خلاف عن هشام بين التسهيل والتحقيق ، والتسهيل فيها بجعل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف ، نحو أأنذرتهم ، وأصحاب ورش اختلفوا عنه ، فنهم من أبدل الهمزة الثانية المفتوحة ألفاً ، وهم المصريون ، ومنهم من سهلها وهم البغداديون .

وَكُلُّ ذَا بِالرَّمْزِ وَالْإِيمَاءِ   إِذْ بَسْطُهَا فِي كُتُبِ الْقُرَّاءِ

النوع السادس : الإدغام

فِي كِلْمَةٍ أَوْ كِلْمَتَيْنِ إِنْ دَخَلْ   حَرْفٌ بِمِثْلٍ هُوَ الادْغَامُ يُقَلْ

ففيها تفصيل بَسْطُهُ[١] فى كتب القراآت . ورابعها : الإسقاط ، وأشار إليه بقوله (ورب همز) متحرك كائن (فى مواضع سقط) أى بلا نقل ولا إبدال ، وذلك إذا اتفقتا فى الحركة[٢] ، سواء كانتا فى كلمة[٣] ، نحو أأنذرتهم وأألد وأأنت ، أو فى كلمتين ، نحو جاء أجلهم ، ومن النساء إلاّ ، وأولياء أولئك . ففى هذه كُلِّها تفاصيلُ شتَّى ، مبسوطةٌ فى كتب القراآت . قال الناظم : (وكل ذا) أى الكلام (بالرمز والإيماء) أى لا بالبسط والتفصيل (إذ بسطها) موجود (فى كتب القراء) . والله أعلم .

النوع السادس : الإدغام

وهو لغة إدخال شىء[٤] . وعرفا[٥] ، إدخال حرف فى مثله أو مقاربه ، فى[٦] كلمة

النوع السادس : الإدغام

(قوله هو لغة إدخال شىء) يقال أدغمت اللجام فى فم الفرس إذا أدخلته فيه ، وأدغمت الميت فى اللحد إذا جعلته فيه ، واصطلاحاً كما أشار إليه الشارح خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة . وكيفيته أن تجعل الحرف الذى يراد إدغامه مثل المدغم فيه ، فتجعل اللام فى نحو

---

(١) وقع فى الطبعة الثانية : بسطته ، بصيغة الماضى ، مجاز عقلى ، من إسناد الفعل إلى المكان .

(٢) بأن كانتا مفتوحتين ، أو مكسورتين ، أو مضمومتين ، فإن الهمزة الأولى من الهمزتين فى هذه الأنواع الثلاثة تسقط فى قراءة أبى عمرو . وقال الخليل من النحاة : الهمزة الساقطة هى الثانية ، وتظهر فائدة الخلاف فى المد ، فإن كانت الساقطة هى الأولى ، فهو من قبيل المنفصل ، أو الثانية ، فهو من قبيل المتصل .

(٣) أى فى حكم كلمة ، وإلا فالأمثلة المذكورة كل منها كلمتان ، كما لايخفى . (٤) أى فى شىء .

(٥) وقد يقال : هو أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك ، فتصيرهما حرفاً واحداً مشدداً ، يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة ، وهو بوزن حرفين ، وبعبارة أخصر هو النطق بالحرفين حرفاً كالثانى مشدداً .

(٦) أى حال كون الحرف ومثله أو مقاربه .

لَـكِنْ أَبُو عَمْرٍو بِهَا لَمْ يُدْغِمَا إِلاَّ بِمَوْضِعَيْنِ نَصًّـا عُلِمَا

أو كلمتين . وإليه أشار الناظم بقوله (فى كِلمة) بكسر الكاف ، على وزن سِدْرَة[1] ، يتعلق أو بقوله دخل (أو كلمتين إن دخل حرف بمثل) أى فى حرف مماثل له (هو الادغام يقل) بالبناء للمفعول ، محذوفَ الألف للوزن ، أى يسمَّى[2] (لكن أبو عمرو بها) أى بالكلمة (لم يُدْغِما) : بألف الإطلاق . صوابه[3] : لن يدغما بلن ، كما هو ظاهر ، (إلّا بموضعين)

والشمس شيئاً ، وفائدته التخفيف لثقل عود اللسان إلى المخرج الأول أو مقاربه ، فاختار العرب الإدغام طلباً للخفة لأن النطق بذلك أسهل من الإظهار ، كما يشهد بذلك الحس والمشاهدة ، وشروطه اثنان : شرط المدغم ، وهو أن يلاقى المدغم فيه خطاً سواء التقيا لفظاً أم لا . والشرط الثانى فى المدغم فيه وهو كونه أكثر من حرف إن كان من كلمة ، فيدخل نحو خلقكم ويخرج نحو رزقك . وأما أسبابه فثلاثة : التماثل والتقارب والتجانس (قوله فى حرف مماثل) اعلم أن التماثل اتحاد الحرفين مخرجاً وصفة كالباءين فى قوله نصيب برحمتنا واذهب بكتابى . وأن التجانس اتفاق الحرفين مخرجاً واختلافهما صفة ، كالتاء مع الطاء نحو ولتأت طائفة والدال مع التاء نحو تكاد تميز . وأن التقارب تقارب الحرفين مخرجاً ، كالدال والسين المهملتين فإنهما متقاربان مخرجاً نحو قد سمع أو تقاربهما صفة كالتاء والثاء نحو كذبت ثمود فإنهما متقاربان صفة لأنهما مهموسان منفتحان مستفلان مرققان مصمتان مشتركان فى انتفاء الاستطالة والصفير ، والتكرير والتفشى ، غير أن التاء شديد والثاء رخو ، فالتقارب فى الصفة أن يتفقا فى أكثرها ، وقد أشار بعضهم إلى بيان كل من الثلاثة فقال :

الاتفاق مخرجاً وصفة تماثل فى نحو باءين أتى
والخلف فى الأوصاف دون المخرج تجانس فى التاء والطاء يجى
والقرب فى المخرج أو فى الصفة أو فيهما تقارب فاستثبت
كالدال مع سين وشين أو كرا واللام قد زال الجدال والمرا

(قوله إلا بموضعين) وهما مناسككم فى البقرة وما سلككم فى المدثر ، فلا يدغم غيرهما

(١) وهذه لغة بنى تميم . وأما لغة أهل الحجاز ، فهو على وزن نبقة ، وهى اللغة الفصحى .
(٢) تفسير ليقال مرفوعاً ، وإلا لقال أى يسم ، بحذف الحرف الآخر .
(٣) المناسب أن يقول الشارح : والأولى ، بدل قوله صوابه ، لأنه يمكن أن يقال إن الألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة ، كقول الشاعر :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخاً على كرسيه معمما

فإنه أدغم فيهما وهما قوله تعالى : مناسككم[١] ، وماسلككم[٢] (نَصًّا) أى بالنص (علما) مبنياً للمجهول ، صفة لنصاً ، أى معلوماً . وماعدا[٣] هذين الموضعين يظهره أبو عمرو . وحاصل الكلام على الإدغام ، كما فى حلية الصبيان : أنه على ثلاثة أقسام[٤] متماثلين ، ومتقاربين ، ومتجانسين . وكل منهما إما صغير أو كبير[٥] ، وذلك لأن الحرفين إذا اتفقا فى الصفة والمخرج ، وكان الأول ساكناً ، والثانى متحركاً ، سمى متماثلين صغيراً ، نحو فما ربحت تجارتهم ، ونحو أن اضرب بعصاك الحجر . وإن كانا متحركين ، سمى متماثلين كبيراً ، نحو الرحيم ملك ، أو تقاربا : أى الحرفان فى المخرج ، واختلفا فى الصفات ، وكان الأول ساكناً ، والثانى متحركا ، سمى متقاربين صغيراً ، نحو قد سمع الله ، ونحو لقد جاءكم ، وإن كانا متحركين سمى متقاربين كبيراً نحو من بعد ذلك ، ونحو والصالحات طوبى . أو اتفقا أى الحرفان فى المخرج ، واختلفا فى الصفات ، وكان الأول ساكناً ، والثانى متحركا ، سمى متجانسين صغيراً ، نحو اركب معنا ، ويتب فأولئك ، وإن كانا متحركين ، سمى متجانسين كبيراً ، نحو يعذب من يشاء .

على الصحيح نحو : بشرككم بأعيننا . وقد أشار الإمام الشاطبى لذلك فى حرزه فقال :

فى كلمة عنه مناسككم وما سلككم وباقى الباب ليس معولا

وسمى هذا الإدغام بالكبير ، لأن الحركة أكثر من السكون ، وقيل سمى كبيراً لكثرة وقوعه ، وقيل لشموله نوعى المثلين والمتقاربين والمتجانسين ، وقيل لكثرة عمله لأنه يحتاج فيه إلى إسكان الحرف الأول وإدغامه فى الثانى من المتماثلين ، ويزيد على ذلك قلب الحرف الأول من المتقاربين والمتجانسين .

---

(١) فى البقرة . (٢) فى المدثر .

(٣) أى باقى كل مثلين اجتمعا فى كلمة واحدة نحو بأعيننا وجباههم وبشرككم ، فإنه روى عن أبى عمرو إدغامه ، ولكن السوسى لم يعول عليه ، فليس فيه إلا الإظهار .

(٤) أى من حيث السبب ، فسبب الإدغام ثلاثة : التماثل والتقارب والتجانس ، ويعنون بالتماثل اتحاد الحرفين مخرجاً وصفة ، كالباء مع الباء ، وبالتقارب تقاربهما فى المخرج أو فى الصفة أو فيهما ، كالدال مع السين أو الشين ، وكاللام مع الراء ، وبالتجانس اتحادهما مخرجاً لا صفة ، كالطاء مع التاء .

(٥) فالكبير ما كان أول الحرفين متحركا فيه ، والصغير هو ما كان أولهما ساكناً ، وسمى الكبير كبيراً لكثرة وقوعه ، إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل لتأثيره فى إسكان المتحرك ، قبل إدغامه .

واعلم أن حكم الإدغام الصغير الوجوب[١] ، إن كان من المتماثلين ، والجواز إن كان من المتقاربين أو المتجانسين ، وأما الإدغام الكبير بأنواعه ، فخاص[٢] برواية السوسى عن أبى عمرو ، كما فى التقريب . والله أعلم .

(١) لكن إذا كان الأول منهما هاء سكت ، وذلك فى قوله تعالى ماليه هلك ، بسورة الحاقة ، ففيه لكل القراء ممن أثبت الهاء وجهان : الإظهار والإدغام ، والأول أرجح ، وأيضاً إذا كان أولهما حرف مد نحو قالوا وهم فى يوم فلا بد من إظهاره للجميع . لئلا يذهب المد بالإدغام .

(٢) كما هو المأخوذ به اليوم فى الأمصار من طريق الشاطبية وأصلها ، وإن كان نظم الشاطبية والمنظومة هنا يفهم كل منهما أنه عام لأبى عمرو من الروايتين .

العقد الرابع

مايرجع إلى الألفاظ ، وهى سبعة أنواع

النوع الأول والثانى : الغريب والمُعرب

يُرْجَعُ لِلنَّقْلِ لَدَى الْغَرِيبِ مَاجَاءَ كَالْمِشْكَاةِ فِى التَّعْرِيبِ

العقد الرابع

مايرجع إلى الألفاظ ، وهى سبعة أنواع

النوع الأول والثانى : الغريب والمعرب

أما الغريب فهو معنى الألفاظ التى يحتاج إلى البحث عنها فى اللغة . ومرجعه النقل . والكتب المصنفة فيه[1] كما يأتى للناظم . قال فى الإتقان : وقد أفرده فى التصنيف خلائق

العقد الرابع

(قوله أما الغريب الخ) استشكل دخول الغريب فى القرآن مع أن السلامة من الغرابة من شروط الفصاحة والقرآن أفصح الكلام فيجب أن يكون خالياً من ذلك . وأجيب بأن الغرابة لها معنيان : المعنى الأول استعمال اللفظ الوحشى غير المأنوس الاستعمال ، وهذا مما يخل بالفصاحة ، ويجب أن يتنزه القرآن الكريم عنه كما قرر فى علم المعانى . والمعنى الثانى استعمال مالا مدخل الرأى فيه ، بل يرجع معناه إلى النقل مثل قسورة للأسد ، وهذا النوع واقع فى القرآن وهو محتاج إلى البيان من أهل هذا الشأن ، فعلى الخائض فى فن التفسير أن يتثبت فى ذلك لئلا تلتبس عليه المسالك وأن يأخذ العلم من أهله ويراجعه فى محله ، وذلك بالوقوف على الكتب المصنفة فى هذا الباب . وإذا كان بعض الصحابة رضى الله عنهم وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن بلغتهم توقفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً كما فى خبر أبى عبيدة فى الفضائل الذى أورده الشارح ، فكيف بمن ليس له نصيب فى اللغة ، لايفهم استنباط النقول ولا يميز بين الفاعل والمفعول ؟ اللهم إنا نبرأ إليك من جراءة بعض الجاهلين على تفسير كتابك المبين ، ونسألك أن توفقنا لتفسيره على الوجه

(١) أى فى الغريب .

لايحصون ، منهم أبو عبيدة ، وابن دريد ، ومن أشهرها كتاب العُزَيزى[١] ، فقد أقام فى تأليفه خمس عشرة سنة ، يحرره هو وشيخه أبوبكر ابن الأنبارى ، ومن أحسنها المفردات[٢] للراغب . ولأبى حيان فى ذلك تأليف مختصر فى كراسين . ثم قال : وينبغى الاعتناء به ، فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » . والمراد بإعرابه : معرفة معانى الألفاظ ، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ، وهو ما يقابل اللحن ، لأن القراءة مع فقده ليست بقراءة ، ولا ثواب فيها ، وعلى الخائض فى ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن ، وعدم الخوض بالظن ، فهؤلاء الصحابة وهم العرب العرباء ، وأصحاب اللغة الفصحى ، ومن نزل القرآن بلغتهم ، توقفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً ، فأخرج أبو عبيدة فى الفضائل عن إبراهيم التيمى : أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : وفاكهة وأبّاً ، فقال : أىُّ سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى[٣] إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . وأما المعرب بتشديد الراء المفتوحة فهو لفظ[٤] استعملته العرب فى[٥] معنى وضع له فى غير لغتهم .

قال الناظم : (يُرجع) بالبناء للمجهول (للنقل) والكتب المصنفة كما مر (لدى) اللفظ (الغريب) الموجود فى القرآن . وأشار إلى بعض أمثلة المعرب ، فقال (ما) أى : لفظ

الذى ترضى به عنا يارب العالمين (قوله وقد أفرده الخ) وأولى ما يرجع إليه فى ذلك ماثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب القرآن العزيز بالأسانيد الثابتة . وساق السيوطى فى الإتقان جميع ماورد من ذلك من طريق أبى طلحة عن الحبر على وجه الإتقان .

---

(١) أى الكتاب المنسوب إلى مؤلفه محمد بن عزيز السجستانى .
(٢) أى مفردات ألفاظ القرآن . (٣) أى تحملنى .
(٤) قيده بعضهم بقوله غير علم . وعليه فالعلم ليس معرباً ، أو أنه معرب واقع فى القرآن اتفاقاً ، والخلاف الآتى واقع فى غيره .
(٥) خرج به الحقيقة والمجاز العربيان ، إذ كل منهما مستعمل فيما وضع له فى لغتهم ، وإن كان الوضع فى الأول ابتدائياً ، وفى الثانى ثانوياً .

أَوَّاهُ وَالسِّجِلُّ ثُمَّ الْكِفْلُ   كَذَلِكَ الْقِسْطَاسُ وَهْوَ الْعَدْلُ

(جاء) فى القرآن (كالمشكاة) من الألفاظ المستعملة فى لغة أخرى (فى التعريب[١]) أى معدود فى اللفظ المعرب ، على القول به ، وهى فى سورة النور ، عند قوله تعالى : مثل نوره[٢] كمشكاة ... الآية . معناها بلغة الحبشة : الكوّة ، كما أخرجه ابن أبى حاتم ، عن مجاهد . و (أوّاه) بفتح الهمزة وتشديد الواو المفتوحة ، فى سورة التوبة ، عند قوله تعالى : « إن إبراهيم لأوّاه حليم » ، معناه بلسان الحبشة : الموقن ، كما أخرجه ابن حبان ، عن طريق عكرمة ، عن ابن عباس . أو الرحيم بلغة الحبشة أيضاً ، كما أخرجه ابن أبى حاتم ، عن عمرو بن شرحبيل ، أو معناه الدعاء بلغة العبرانية ، كما قاله الواسطى (والسجل) بكسر السين والجيم ، مع تشديد اللام ، فى سورة الأنبياء ، عند قوله تعالى : كطى السجل للكتب ، معناه الرجل بلغة الحبشة ، كما أخرجه[٣] ابن مردويه عن ابن عباس ، أو الكتاب ، كما قاله ابن جنى فى المحتسب[٤] . وقال قوم : هو فارسى معرب . (ثم الكفل) بكسر الكاف مع سكون الفاء ، فى سورة الحديد ، عند قوله تعالى : يؤتكم كفلين من رحمته ، وفى سورة النساء عند قوله تعالى : ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها . . . الآية . معناه : الضعف بالكسر ، بلغة الحبشة ، كما أخرجه ابن أبى حاتم ، عن أبى موسى الأشعرى . (كذلك) من المعرب (القسطاس) بكسر القاف ، فى سورة الإسراء ، عند قوله تعالى : وزنوا بالقسطاس المستقيم . معناه بلغة الروم : العدل ، كما قال الناظم (وهو العدل) كما أخرجه الفريابى عن مجاهد .

وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير : أن معناه بلغة الروم : الميزان . هذا ، وقال فى النقاية : وجمعت نحو ستين لفظاً ، ونظمت فى أبيات . منها :

(١) التعريب اصطلاحاً : هو نقل لفظ من غير العربية إليها ، مستعملا فى معناه ، مع نوع تغيير ، أى ليكون أمارة على التعريب . ومن هنا علم أن العلم غير معرب ، إذ لا تغيير فيه .
(٢) أى صفته العجيبة فى قلب المؤمن .   (٣) من طريق أبى الجوزاء .
(٤) اسم كتاب فى إعراب الشواذ .

وَهَذِهِ وَنَحْوَهَا قَدْ أَنْكَرَا ... جُمْهُورُهُمْ بِالْوِفْقِ قَالُوا ، إِحْذَرَا

الإستبرق[١] والسندس[٢] والسلسبيل[٣] ، وكافور[٤] وناشئة الليل[٥] ، وغيرها ا هـ .
ثم شرع فى بيان الخلاف فى وقوع المعرب فى القرآن . فقال : (وهذه) الكلمات (ونحوها) مما استعملت فى لغة أخرى (قد أنكرا) بألف الإطلاق (جمهورهم) كونه معرباً ، بل قالوا : هى من توافق اللغتين[٦] ، كما أشار إليه الناظم بقوله (بالوفق) بكسر الواو ، أى التوافق ، وهو متعلق بقوله (قالوا) ، وهو مذهب الأكثرين ، كما فى الإتقان ، منهم الشافعى رضى الله عنه ، وابن جرير[٧] ، وأبو عبيدة ، والقاضى أبو بكر ، وابن فارس ؛ وهو الأصح عند الأصوليين . وذلك لقوله تعالى[٨] : قرآناً عربياً ، وقوله تعالى : ولو جعلنا قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمى وعربى ؟! وقد شدد إمامنا الشافعى فى رسالته على القائل

(قوله قد أنكرا جمهورهم) سيأتى تحقيق هذا المقام فى كلام الشارح . ولعل هذا الخلاف فى غير الأعلام الأعجمية ، لاتفاق النحاة على منع صرف إبراهيم وإسماعيل للعلمية والعجمة ، إلا أن يجعل من باب التوافق بين اللغتين فالمنع لشبه الأعجمية وهو بعيد . ومتى اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس ، كيف والنبى صلى الله عليه وسلم مرسل لكل أمة فلابد وأن يكون فى الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم لبيان أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، وأخبر بكل شىء وأشار إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شىء ، واختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب ، وهذا من خصائص القرآن وإن كان أصل نزوله باللغة العربية (قوله وقد شدد الخ) أى واحتج لذلك بأنه لو كان فيه شىء من غير لغات العرب لتوهم أنه إنما عجزت العرب عن الإتيان بمثله ، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

(١) الإستبرق : معناه الديباج الغليظ بلغة العجم ، كما أخرجه ابن أبى حاتم عن الضحاك .
(٢) قال الجواليقى : السندس هو رقيق الديباج بالفارسية .
(٣) حكى الجواليقى أنه أعجمى . (٤) ذكر الجواليقى وغيره أنه فارسى معرب .
(٥) معناه : قيام الليل باللغة الحبشية كما أخرجه الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود .
(٦) أى لغة العرب ولغة غيرهم .
(٧) بالراء بعد الجيم المعجمة ؛ فما وقع فى الطبعتين بالباء الموحدة بعد الجيم ، فتحريف .
(٨) فإنه يدل على أن كله عربى ، فليس فيه عربى وغيره ، فلو كان فيه معرب لاشتمل على غير عربى ، فلا يكون كله عربياً .

بوجود المعرب فى القرآن . وأجاب هؤلاء [١] كما فى شرح النقاية [٢] ، بأن هـذه الألفاظ القليلة ، لاتخرجه عن كونه عربياً ، فالقصيدة العربيـة التى فيها كلمة فارسية ، لاتخرج عن كونها عربية ، وبالعكس . قال فى الإتقان : قال أبو عبيد [٣] القاسم بن سلام : والصواب عندى مذهب فيه تصديق للقولين جميعاً ؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، ولـكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها أعجمية فصادق .

ومال إلى هذا القول الجواليقى وابن الجوزى [٤] وآخرون . وقوله (إحذرا) بالألف المنقلبة عن نون التوكيد الخفيفة ، تـكملة ، أى احذرن من أن تقول إن فى القرآن لفظاً غير عربى . والله أعلم .

(قوله ومن قال إنها أعجمية) وقد نظمها العلامة تاج الدين السبكى وجعلها سبعاً وعشرين لفظاً فقال :

السلسبيل وطه كورت بيع — روم وطوبى وسجيل وكافور
والزنجبيل ومشكاة سرادق مع — إستبرق صلوات سندس طور
كذا قراطيس ربانيهم وغسا — ق ثم دينار القسطاس مشهور
كذاك قسورة واليم ناشئة — ويؤت كفلين مذكور ومسطور
له مقاليد فردوس يعد كذا — فيما حكى ابن دريد منه تنور

وزاد ابن حجر فقال :

وزدت حرم ومهل والسجل كذا — السرى والأب ثم الجبت مذكور
وقطنـــا وإناه ثم متكأ — دارست يصهر منه فهو مصهور
وهيت والسكر الأواه مع حصب — وأوبى معه الطاغوت مسطور
صرهن إصرى وغيض الماء مع وزر — ثم الرقيم مناص والسنا النور

وزاد عليها السيوطى فى الإتقان فانظره ، والله أعلم .

---

(١) أى القائلون بوقوع المعرب فى القرآن .

(٢) هذا جواب عن الآية الأولى ، وأما الجواب عن الثانية فإن المعنى من السياق أكلام أعجمى ومخاطب عربى ؟ (٣) ليس بعد الدال المهملة شىء ، فما فى الطبعتين بزيادة تاء مربوطة فى الآخر ، تحريف . (٤) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد تلميذ الجواليقى .

النوع الثالث : المجاز

مِنْهَا اخْتِصَارُ الْحَذْفِ تَرْكُ الْخَبَرِ وَالْفَرْدُ جَمْعٌ إِنْ يُجَزْ عَنْ آخَرِ

النوع الثالث : المجاز

قال فى الإتقان : لاخلاف فى وقوع الحقائق[١] فى القرآن ، وهى كل لفظ بقى على موضوعه ، ولاتقديم ولاتأخير ، وهذا أكثر الكلام . وأما المجاز فالجمهور أيضاً على وقوعه ، وأنكره جماعة ، منهم الظاهرية ، وابن القاصّ من الشافعية ، وابن خُوَيْزِ مَنْدادَ من المالكية . وشبهتهم[٢] أن المجاز أخو[٣] الكذب ، والقرآن منزه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة ، فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى . وهذه شبهة باطلة[٤] ،

النوع الثالث : المجاز

(قوله وهذه شبهة باطلة) الشبهة ما يظن أنها دليل وليست بدليل . ومعنى كونها باطلة أنها غير موافقة للمستدل عليه . ووجه بطلانها من وجهين : الأول أن المجاز فيه قرينة تدل على أن المعنى الأصلى غير مراد بخلاف الكذب ، فإن الكاذب لاينصب قرينة تدل على عدم موافقة كلامه للواقع بل يعمى على سامعه ، ففارق المجاز الكذب بالقرينة كما لا يخفى . والثانى أن حصر عدول المتكلم من الحقيقة إلى المجاز فى ضيق الحقيقة فقط غير مسلم ، بل إن العدول من الحقيقة إلى المجاز يكون لأسباب شتى ، منها قصد المبالغة ، ومنها قبح لفظ

(١) أى الحقائق اللغوية : وهى الألفاظ المستعملة فيما وضعت له فى اللغة ابتداء ، وأما غيرها ففيه خلاف ؛ فالحقائق العرفية الخاصة قال القرافى واقعة جزماً ، والحقائق العرفية العامة والشرعية قال الأكثرون إنها واقعة فى القرآن ، سواء كانت الحقائق الشرعية دينية كالإيمان ، أو فرعية كالصلاة والزكاة .

(٢) أى مستندهم ظناً منهم أنه دليل وليس بدليل فى الواقع .

(٣) أى كذب وفرد من أفراده .

(٤) أما الشبهة الأولى فوجه بطلانها : هو أن الكذب لازم لإرادة المعنى الحقيقى ، ولا كذب فى المجاز ، لإرادة المعنى المجازى وقد نصبت قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقى ، وأيضاً فإن المجاز قد اعتبرت فيه العلاقة ، فلا توهم للكذب ، وحيث لم يفهمها السامع ، فذلك لخلل فيه ، وهو غير معتبر . وأما الشبهة الثانية ، فوجه بطلانها : هو أن العدول إلى المجاز لا ينحصر فى الغرض المذكور ، بل قد يكون لأغراض أخر ، منها بلاغة المجاز أو شهرته ، ومنها إخفاء المراد عن غير المتخاطبين ، الجاهل بالمجاز دون الحقيقة ، إلى غير ذلك من الأغراض .

ولو سقط المجاز فى القرآن ، لسقط منه شطر الحسن[١] . ثم المجاز عندهم ينقسم[٢] إلى قسمين : الأول مجاز فى التركيب ، ويسمى مجازاً فى الإسناد ، ومجازاً عقلياً ، وعلاقته الملابسة ، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة ، لملابسته له ، كقوله تعالى : وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، أسندت الزيادة ، وهى فعل الله ، إلى الآيات ، لكونها سبباً[٣] لها . والثانى مجاز فى المفرد ، ويسمى المجاز اللغوىّ ، والمجاز[٤] المرسَل ، وهو[٥] استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولا ، لعلاقة غير[٦] مشابهة . وقد نظم شيخنا الشيخ على المالكىّ علاقات[٧] المجاز المرسل فى بيتين ، بقوله :

الحقيقة ومنها اختبار فطنة السامع إلى غير ذلك (قوله ينقسم إلى قسمين) والفرق بينهما من وجهين : الأول أن المجاز العقلى من عوارض الإسناد ، والمجاز اللغوى من عوارض الألفاظ ، والثانى أن المجاز العقلى من مباحث علم المعانى ، والمجاز اللفظى من مباحث علم البيان . واعلم أن العلاقة بكسر العين تكون فى المحسوسات وبفتحها فى المعانى وهو المقصود هنا ، ومعنى العلاقة المناسبة بين المعنى الأصلى والمعنى المنقول إليه ، فهى فى باب التشبيه تسمى وجهاً ، وفى باب الاستعارة تسمى جامعاً ، وفى باب المجاز المرسل تسمى علاقة ، وسمى المجاز المرسل مرسلا لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة (قوله علاقات المجاز) ردها بعضهم إلى الخصوص والعموم اقتصاراً ، لكن ما ذكر هنا على طريق التفصيل أوضح .

---

(١) إذ قد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة .

(٢) هذا التقسيم إلى قسمين بناء على قول من أثبت المجاز فى الإسناد ، ومنهم من نفوه . وهؤلاء قد اختلفوا ، فجعل ابن الحاجب المجاز فيما يذكر من ذلك فى المسند ، وقال فى الآية المذكورة معناها ازدادوا بها ، وجعل السكاكى المسند إليه فى ذلك استعارة مكنية ، وقال معنى الآية المذكورة زادهم الله تعالى . فتدبر .

(٣) أى عادة لا حقيقة ، لأن السبب الحقيقى هو الله تعالى .

(٤) أى ويسمى نوع منه مجازاً مرسلا ، وأما النوع الآخر فيسمى استعارة ، والفرق بينهما أن العلاقة فى الاستعارة هى المشابهة ، وفى المجاز المرسل غيرها .

(٥) الضمير راجع للمجاز المرسل ، لا للمجاز فى المفرد ، ولا للمجاز اللغوى .

(٦) قوله غير مشابهة : قيد خرج به الاستعارة ، فلو أريد تعريف المجاز فى المفرد شامل لنوعيه ، اكتفى بقوله لعلاقة ، فافهم . ومن هنا ظهر لك أن الاستعارة مجاز لغوى ، وهو القول الأصح ، لأنها موضوعة للمشبه به ، لا للمشبه ، كما سيأتى فى النوع السادس . (٧) وهى عشرون .

وَاحِدُهَا مِنَ الْمُثَنَّى وَالَّذِى عَقَلَ عَنْ ضِدٍّ لَهُ أَوْ عَكْسُ ذِى

عَلِّق بكل سبب أول بَدَلْ ولازمٍ عمومٍ اطلاقٍ مَحَلّ
مقابلٍ لذى تعلق حَصَلْ جِوارٍ استعدادِ آلةِ العملْ

وللمجاز أيضاً أنواع كثيرة : منها ما ذكره الناظم بقوله (منها) أى من أنواع المجاز (اختصار الحذف) نحو قوله تعالى : فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، أى فأفطر فعدة .. الخ ، ونحو قوله تعالى : أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف ، أى فأرسلوه ، فجاء فقال : يا يوسف ، ثم كونُ الاختصار من أنواع المجاز : على المشهور . وقد أنكره[1] بعضهم ، كما فى الإتقان . ومنها (ترك الخبر) نحو قوله تعالى : فصبر جميل ، أى صبرى صبر جميل . (و) منها (الفرد) و (جمع إن يجز) بالبناء للمجهول ، أى إن يستعمل مجازاً (عن آخر) مثال الجمع عن المفرد قوله تعالى : رب ارجعون ، أى ارجعنى ، ومثال المفرد[2] قوله تعالى : إن الإنسان لفى خسر ، أى الأناسىّ ، بدليل الاستثناء منه ، وقوله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » أى ظاهرون (واحدها من المثنى) أى واجعل واحد الكلمة المستعملة مجازاً عن الأخرى من المثنى ، أى واجعلهما ، أي المفرد والجمع مع المثنى ، ولو عبر به لكان أظهر ، بأن استعمل كل واحد من الثلاثة عن الآخر . مثال المفرد عن المثنى قوله تعالى : « واللهُ ورسولُه أحقُّ أن يُرْضوه» أى يرضوهما ، ومثال المثنى عن المفرد قوله تعالى : «ألقيا فى جهنم» أى ألق . ومثال المثنى عن الجمع قوله تعالى « فارجع البصر كرتين » أى كرة بعد كرة[3] . ومثال الجمع عن المثنى قوله تعالى « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » فإنها تُحجب بالأخوين (و) منها استعمال (الذى عقل عن ضد له) وهو غير العاقل ، نحو قوله تعالى « قالتا أتينا

(قوله أى يرضوهما)وإنما أفرد الضمير فى قوله تعالى أحق أن يرضوه للإشارة إلى أن رضاء الرسول رضاء لله ورضاء الله رضاء للرسول ، فليس فى الحقيقة ثم إلا مرضى واحد (قوله كرة بعد كرة) أى لأن البصر لا يرجع حسيراً من كرتين بل من كرات .

---

(١) لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير موضوعه ، والحذف ليس كذلك .
(٢) أى عن الجمع . (٣) لأن البصر لا يحسر إلا بها .

طائعين » ورأيتهم لى ساجدين . جمع الوصفان بالياء والنون ، وهو من خواص العقلاء ، والموصوف وهو السماء والأرض والكواكب من غيرهم ، والمسوّغ لذلك تنزيله منزلته[١] ، ومنها استعمال لفظ غير العاقل فى العاقل ، كما قال الناظم (أو عكس ذى) أى الاستعمال ، كقوله تعالى : ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض . أطلق سبحانه وتعالى لفظ «ما»[٢] على الملائكة والثقلين[٣] ، وهو موضوع لغير العاقل ، لكن لما اقترن به غُلِّب[٤] لكثرته[٥] ، وإن كان الأكثر[٦] فى مثل هذا تغليب العاقل لشرفه . ومنها (سبب) أى استعماله على مسبب نحو قوله تعالى « يذبح » أى فرعون ، أبناءهم ، أى بنى إسرائيل ، أى يأمرهم بذبحهم ، فأسند إليه ، لأنه[٧] سبب فيه[٨] . ومنها (التفات) وهو الانتقال من واحد من التكلم والخطاب والغَيبة ، إلى الآخر ، وهو عند السكاكى أعم منه عند الجمهور ، إذ لا يُشترط عنده[٩] التعبير بالغير أولاً ، فقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا ، التفاتٌ عنده ، لأنه معدول عن أنا ، لا عندهم ، لعدم تقدم خلافه .

وفى عد الالتفات من أنواع المجاز نظر . والصحيح كما فى الإتقان أنه ليس منها ، بل من أنواع الخطاب ، فإنه حقيقة . قال الشيخ بهاء الدين السبكى : لم أر من ذكره ، هل هو حقيقة أو مجاز ؟ قال : وهو حقيقة ، حيث لم يكن معه تجريد اهـ .

(قوله الالتفات) هو فى اللغة : توجه الإنسان بوجهه إلى غير مواجهته . وفى الاصطلاح عند البيانيين ماذكره المصنف رحمه الله تعالى ، وأقسامه ستة حاصلة من ضرب اثنين من طرق التكلم والخطاب والغيبة فى ثلاثة لأن كل قسم من الثلاثة ينقل إلى قسيميه .

---

(١) هكذا فى جميع النسخ بالإفراد ، ولعل صوابه منزلتهم ، بضمير الجمع ، أى منزلة العقلاء .
(٢) وجاء فى رواية أخرى بمن ، فغلب العاقل لشرفه .
(٣) وهما الإنس والجن .
(٤) أى غير العاقل ، قال فى البرهان : وإنما كان التغليب من باب المجاز ، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له . (٥) أى لكثرة غير العاقل بكثرة أنواعه ، وإلا فالملائكة أكثر من الجميع .
(٦) نحو قوله تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس » عد إبليس منهم بالاستثناء ، تغليباً لكونه كان بينهم . (٧) أى لأن فرعون . (٨) أى فى ذبحهم . (٩) أى عند السكاكى .

مثال الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، قوله تعالى : مالك يوم الدين . إياك نعبد . الأصل : إياه نعبد ، إذ الاسم الظاهر معدود من الغيبة عندهم[١] ، فينتقل منها إلى الخطاب ، وهو إياك . ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : «حتى إذا كنتم فى الفُلك وجَرَيْنَ بهم» . الأصل : وجرين بكم ، ليوافق قوله : كنتم ، فينتقل منه إلى الغيبة ، وهو بهم . ومن المتكلم إلى الخطاب قوله تعالى : «ومالِيَ لاأعبدُ الذى فطرنى وإليه ترجعون» الأصل : وإليه أُرجَعُ ، إذ قوله أعبد وفطرنى ، كلاهما للتكلم ، فينتقل إلى الخطاب ، وهو ترجعون . ومن التكلم إلى الغيبة قوله تعالى : «إنا أعطيناكَ الكوثر ، فصل لربك وانحر» الأصل : فصل لنا : إذ قوله أعطينا للتكلم ، فينتقل منه إلى الغيبة ، وهو لربك . ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : «الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فسُقْناه» الأصل : فساقه ، إذ قوله الذى .. الخ ، للغيبة ، فينتقل منها إلى التكلم ، وهو فسقناه . ومنها (التكرير[٢]) لِلَفظ أو لجملة ، نحو قوله تعالى :

(قوله الأصل فصل لنا) من فوائد الالتفات فى الآية أن فى لفظ الرب حثا على فعل المأمور به لأن من يربيك يستحق العبادة . ذكره الصبان . واعلم أن للالتفات شروطاً : الأول أن يكون التعبير الثانى على خلاف مايقتضيه الظاهر ويترقبه السامع ليخرج مثل قولنا أنا زيد وأنت عمرو ونحن اللذون صبحوا الصباحا وقوله تعالى : وإياك نستعين واهدنا وأنعمت ، فإن الالتفات إنما هو فى إياك نعبد والباقى جار على أسلوبه ، أفاده السعد . والثانى أن يكون فى جملتين . قال السيوطى إن الالتفات لا يكون فى جملة بل فى جملتين صرح به الزمخشرى فى الكشاف وابن السبكى فى شرحه المسمى عروس الأفراح . قال وإلا يلزم أن يكون فى نحو أنت صديق التفات وليس كذلك اهـ . والالتفات من خلاف مقتضى ظاهر الحال ونكتته وفائدته جلب المتكلم نفس السامع لكلام المخاطب به لأن النفس مجبولة على حب التجدد ، فإذا تجدد الكلام إلى أسلوب كان أدعى للإصغاء إليه لأن لكل جديد لذة . فالعرب لما كانوا يلونون الطعام لقوت الأشباح صاروا حريين بتلوين الكلام لقوت الأرواح . وهذا هو السر فى إيراد القصة الواحدة فى القرآن على أساليب متنوعة ، من إيضاح إلى إجمال ومن إيجاز إلى إطناب . وما ذكر من نكتة الالتفات من الاستجلاب للسامع جرى على الغالب ، فلايشكل بما إذا كان الالتفات فى مخاطبة البارى تبارك وتعالى ، فذلك مانع خارجى والكلام فى فائدته بالنسبة إلى نفسه بقطع النظر عن الموانع الخارجية .

(١) أى عند أهل المعانى . (٢) وقد يعبر عنه بالتأكيد .

كلاَّ سيعلمون ، ثم كلاَّ سيعلمون . وفى عدّ هذا من المجاز خلاف ، كما فى الإتقان . والصحيح أنه حقيقة[١] . ومنها (زيادة) أى مجاز بالزيادة ، نحو قوله تعالى : ليس كمثله شىء ، على رأى من قال بزيادة الكاف[٢] ، وفى عده من أنواع المجاز تفصيل ، ذكره فى الإتقان ، نقلا عن الإيضاح ، وهو أنه متى تغير إعراب الكلمة ، بحذف أو زيادة ، فهى مجاز ، نحو واسأل القرية ، وليس كمثله شىء ، وإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الإعراب ، نحو كصيب ، فبما رحمة ، فلاتوصف الكلمة بالمجاز ا هـ . ومنها (تقديم او تأخير) أى وتأخير فأو بمعنى الواو ، نحو قوله تعالى : فضحِكت ، فبشَّرناها بإسحاق ، الآية ، الأصل بشرناها بإسحاق فضحكت ، إذ الضحك مسبب عن التعجب على البشارة بحصول الولد ، وهو إسحاق . وفى عدِّ هذا[٣] أيضاً من المجاز شىء . قال فى الإتقان ، نقلا عن البرهان : والصحيح أنه ليس منه ، إذ المجاز نقل ماوضع إلى ما لم يوضع له ا هـ . والله أعلم .

(قوله وفى عد هذا) قال فى الإتقان قال الطرطوشى فى العمد : ومن سماه مجازا قلنا له إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو عجل عجل ونحوه ، فإن جاز أن يكون الثانى مجازاً جاز فى الأول لأنهما فى لفظ واحد ، وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثانى عليه لأنه مثل الأول ا هـ (قوله نقلا عن الإيضاح) هو اسم كتاب فى علوم البلاغة للعلامة الخطيب القزوينى . قال العلامة فى شرح الحطاب قرة العين : فإن قيل حد المجاز لايصدق على المجاز بالزيادة والنقصان لأنه لم يستعمل اللفظ فى غير موضوعه ، فالجواب أنه منه حيث استعمل نفى مثل المثل فى نفى المثل وسؤال القرية فى سؤال أهلها ، فقد تجوز فى اللفظ وتعدى به عن معناه إلى معنى آخر . وقال صاحب التلخيص إنه مجاز من حيث إن الكلمة نقلت عن إعرابها الأصلى إلى نوع آخر من الإعراب ، فالحكم الأصلى لمثله النصب لأنه خبر ليس وقد تغير بالجر بسبب زيادة الكاف ، والحكم الأصلى للقرية الجر وقد تغير إلى النصب بسبب حذف المضاف ا هـ (قوله وفى عد الخ) شبهة القائلين أنهما من المجاز هى أن تقديم مارتبته التأخير كالمفعول وتأخير مارتبته التقديم كالفاعل نقل لكل واحد منهما عن مرتبته وحقه . وقد ردها صاحب الإتقان ببرهان صاحب البرهان . والله أعلم .

---

(١) لأنه إذا جاز أن يكون الثانى مجازاً جاز فى الأول ، لأنهما فى لفظ واحد ، وإذا بطل حمل الأول على المجاز ، بطل حمل الثانى عليه ، لأنه مثل الأول . (٢) وهو رأى الكثيرين . والحق كما للتفتازانى وغيره ، أنها ليست بزائدة ، لأن ذلك من الكناية التى هى أبلغ من التصريح ، لأنها كدعوى الشىء ببينة حيث أريد من نفى مثل المثل ، نفى المثل ، لاستلزام نفى مثل المثل نفى المثل ، كما فى قولهم : مثلك لايبخل ، مراداً منه أنت لا تبخل ، لاستلزام نفى البخل عن مثله ، نفيه عنه . (٣) أى التقدم والتأخير

النوع الرابع : المشترك

قُرْءٌ وَوَيْلٌ نِدٌّ وَالْمَوْلَى جرَى   تَوَّابٌ اَلْغَيُّ مُضَارِعٌ وَرَا

النوع الرابع : المشترك

المراد بالمشترك هنا : المشترك اللفظىّ ، إذ هو المنصرف إليه عند الإطلاق ، لا المعنوىّ . والفرق بينهما : أن المشتركَ اللفظىَّ : هو ما تعدد فيه الوضْع والمعنى(١) ، دون اللفظ ، كما ستأتى أمثلته . والمشتركَ المعنوىَّ : هو ما اتحد فيه الوضع والمعنى واللفظ ، لـكنه(٢) يشمل أفراداً ، فهو المعنى(٣) بالـكلى عند علماء الميزان ، وذلك كلفظ العين المراد به الباصرة ، فإن لفظه واحد ، وكذلك الوضع والمعنى ، لـكنه يشمل عين زيد وعمرو وبكر وغيرهم ، وكالإنسان فإن لفظه ووضعه ومعناه واحد ، وهو الحيوان الناطق ، لـكنه يشمل أفراداً كزيد وبكر وخالد ، هذا . وأما القدر المشترك(٤) ، فهو القدر الذى يشترك فيه الجزئيات المختلفة الحقائق ، كالحيوانية فى القدر الذى يشترك فيه الإنسان والبقر ، وكالجسمية فى القدر الذى يشترك فيه الإنسان والحجر . وقد اكتفى الناظم عن تعريفه(٥) بذكر(٦) بعض أمثلته .

النوع الرابع : المشترك

(قوله عن تعريفه) مراده أنه اكتفى عن ذكر حده بذكر بعض أمثلته ، إذ التعريف بالمثال رسم ناقص كما لايخفى وهو تعريف على كل (قوله مثال المشترك) اعلم أن المشترك

---

(١) أى وتعدد المعنى بلا تخلل نقل ، وإنما سمى هذا اللفظ مشتركا لفظياً لاشتراك المعنيين فيه . ومن هنا تعلم أن اسم مشترك أصله مشترك فيه ، حذف « فيه » تخفيفاً لـكثرة الاستعمال ، أو لـكونه صار لقباً .

(٢) أى من حيث معناه الواحد له أفراد ، لا من حيث لفظه ، إذ الغرض أن اللفظ واحد ، فافهم .

(٣) أى : المراد والمعبر عنه .   (٤) أى المشترك فيه .

(٥) أى بالحد مطلقاً أو بالرسم التام .

(٦) أى بتعريفه بذكر المثال ، وهـذا رسم ناقص . ومن هذه الأمثلة التى ذكرها الناظم ، وهى مذكورات فى القرآن ، علم أن المشترك اللفظى واقع فى القرآن ، وهو القول الأصح ، وقيل غير واقع ، وما يظن مشتركا لفظياً ، فهو إما حقيقة أو مجاز أو متواطىء ، كالعين حقيقة فى الباصرة ، مجاز فى غيرها كالذهب لصفائه ، والشمس لضيائها .

تتعلق به مباحث سبعة (المبحث الأول) هل هو جائز الوقوع أو واجبه أو ممتنعه ؟ فقيل هو ممتنع مطلقاً لإخلاله بفهم المراد المقصود من الوضع ، وقيل ممتنع بين النقيضين كوجود الشيء وانتفائه إذ لو جاز وضع لفظ لهما لم يفد سماعه غير التردد بينهما وهو حاصل بالعقل ، وقيل إنه واجب الوقوع لأن المعانى أكثر من الألفاظ الدالة عليها ، وذلك إنما هو وقوع المشترك ، والصحيح أنه جائز الوقوع (المبحث الثانى) فى وقوعه ، اختلف فيه هل هو واقع بالفعل أم لا فقيل غير واقع مطلقاً فى القرآن والحديث ولا فى غيرهما ومايظن مشتركاً فهو إما حقيقة أو مجاز أو متواطىء كالعين حقيقة فى الباصرة مجاز فى غيرها ، كالذهب لصفائه والشمس لضيائها ، وكالقرء موضوع للقدر المشترك بين الطهر والحيض وهو الجمع ، من قرأت الماء فى الحوض أى جمعته ، وقيل غير واقع فى القرآن قيل وفى الحديث إذ لو وقع لوقع إما مبيناً فيطول بلا فائدة أولا فلا يفيد والقرآن والحديث منزهان عن ذلك . والصحيح وقوعه مطلقاً ويفيد فى القرآن والحديث أحد معنييه فنعلم أن الله ورسوله أرادا أحد المعنيين معيناً عندهما وإن لم نعلمه نحن وذلك كاف فى الإفادة ، فنه قوله تعالى « والليل إذا عسعس » فإنه بمعنى أقبل وأدبر وقوله ثلاثة قروء إذ القرء يطلق على الطهر وعلى الحيض . (المبحث الثالث) فى سببه ، التنبيه على الاجتهاد فى معرفة المراد من المعنيين أو على صحة حمله عليهما عند من يراه (المبحث الرابع) فى أقسامه ، المشترك قسمان لفظى ومعنوى كما هو مشهور (المبحث الخامس) فى جواز استعماله فى معانيه . قد اختلف فى ذلك فقيل يصح لغة إطلاقه على معنييه مثلا معاً بأن يرادا به من متكلم واحد فى وقت واحد كقولك عندى عين وتريد الباصرة والجارية مثلا وهذا على سبيل المجاز لأنه لم يوضع لهما معاً أى لكل منهما وهو ظاهر فيهما عند التجرد عن القرائن المعينة لأحدهما فيحمل عليهما . وقال الغزالى لايصح فى اللغة استعماله فى معنييه لا حقيقة ولا مجازاً ، وإنما يصح أن يراد به ماذكر من المعانى عقلا لالغة ، وقيل يصح لغة أن يراد به ذلك فى النفى لا الإثبات . فنحو لاعين عندى يجوز أن يراد به الباصرة والذهب مثلا ، بخلاف عندى عين فلايجوز أن يراد به إلا معنى واحد (المبحث السادس) فى تعيين مراد اللافظ به وهو المتكلم به وذلك بالقرينة كما علم مما مر ، فإن لم تكن أو كان مصحوباً بالقرائن المعممة لها حمل عليهما كما سبق ، والمراد بحمله عليهما اعتقاد السامع أن اللفظ مراد ذلك . (المبحث السابع) فى جواز جمعه باعتبار معناه أو معانيه ، رجح ابن مالك جواز ذلك كقولك عندى عيون وتريد باصرة وجارية وذهباً ، وهل يصح ذلك لغة حقيقة أو مجازاً مطلقاً أو فى النفى لا الإثبات ، أو لايصح لغة بل عقلا ؟ خلاف مبنى على الخلاف المتقدم فى المفرد . أفاد جميع هذه المباحث العلامة الأبيارى رحمه الله . والله أعلم .

النوع الخامس : المترادف

مِنْ ذَاكَ مَاقَدْ جَاءَ كَالْإِنْسَانِ وَبَشَرٍ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

فقال (قرء) أى مثال المشترك اللفظى قرء ، فإنه للحيض والطهر . (وويل) فإنها لـكلمة عذاب ، ولواد فى جهنم ، كما رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى . و (ند) : بكسر النون ، فإنه للمثل والضد . (والمولى) فإنه للسيد والعبد . وقوله (جَرَى) أى جرى فى المذكورات إطلاق اسم المشترك و (توابٌ) فإنه للتائب ، والقابل للتوبة[١] . و (الغَىّ) بفتح الغين ، فإنه اسم لواد فى جهنم ، ولضد الرشد ، كما قاله ابن مسعود فى قوله تعالى : « فسوف يلقون غيا » و (مضارع) فإنه يستعمل للحال والاستقبال . و (وَرا) بالقصر : لغة فى وراء ، فإنه للخَلف والأمام ، كما فى قوله تعالى : « وكان وراءهم ملك » أى : أمامهم . والله أعلم .

النوع الخامس : المترادف

وهو لفظان أو أكثر بإزاء معنى واحد . وفى القرآن[٢] كثير ، وأشار الناظم إلى بعض أمثلته ، فقال : (من ذاك) أى : المترادف (ما) أى : لفظان[٣] ، (قد جاء) مجيئاً (ك) مجىء (الإنسان وبَشَر) فى كون معناهما واحداً ، وهو الحيوان الناطق ، سمى

النوع الخامس : المترادف

(قوله وفى القرآن كثير) وأنكر بعضهم الترادف فى اللغة ، وقال ما يظن مترادفاً فبباين بالصفة ، فالإنسان مثلا باعتبار النسيان أو أنه يأنس ، والبشر باعتبار أنه بادى البشرة أى ظاهر الجلد ، وقيل لافى الأسماء الشرعية لأنه ثبت على خلاف الأصل للحاجة إليه فى نحو النظم والسجع وذلك منتف فى كلام الشارع . والله أعلم .

---

(١) ومن هذا قوله تعالى : « إنه كان توابا » .

(٢) وأنكره بعضهم لغة وقال : مايظن مترادفاً فباين بالصفة ، والإنسان باعتبار النسيان أو الإيناس ، والبشر باعتبار أنه بادى البشرة ، أى ظاهر الجلد ، ليس عليه شعر ، كغالب الحيوانات .

(٣) أى أو أكثر .

وَالْيَمِّ وَالْبَحْرِ كَذَا الْعَذَابُ رِجْسٌ وَرِجْزٌ جَاءَ يَا أَوَّابُ ٣

النوع السادس : الاستعارة

وَهِيَ تَشْــبِيهٌ بِلاَ أَدَاةِ وَذَاكَ كَالْمَوْتِ وَكَالْحَيَــاةِ

بالأول لنسيانه ، و بالثانى لظهور بشرته ، أى ظاهر جلده ، خلاف غـيره من سائر الحيوانات ، و يتعلق بجاء قوله (فى مُحْـكم القرآن . و) كمجىء (اليَمّ والبحر) بالجر ، عطفاً على الإنسان ، فإن معناهما واحد (كذا العذابُ) و (رجس ، ورجز) في كونها من المترادف ، إذ معناها واحد . وقوله (جاء يا أوابُ) أى : كثير الأو بة[١] والتو بة ، تكملة . والله أعلم .

النوع السادس : الاستعارة

المناسب[٢] تأخير هـذا الباب عن باب التشبيه ، إذ الا ستعارة متولدة بين المجاز والتشبيه ، كما قيل : زوج مجازك على تشبيهك ، يلد لك استعارة ، فهى[٣] من أنواع المجاز ، إلا أنها تفارق سائر أنواعه ، ببنائها على التشبيه[٤] . (وهى) أى الاستعارة (تشبيه) لشىء بشىء (بلا أداة) أى : مع حذف وجه الشبه ، وأحد[٥] المشبه والمشبه به أيضاً . (وذاك) التشبيه المذكور (كالموت) المستعار للضلال ، (وكالحياة) المستعارة للهداية ، كما

النوع السادس : الاستعارة

(قوله المناسب تأخير هذا الباب) ماذكره من المناسبة صحيح . غير أنه قد يعتذر عن المصنف رحمه الله تعالى بأنه قدم الاستعارة على التشبيه لأنها أبلغ منه كما لايخفى ، والنكات لاتتزاحم (قوله متولدة الخ) لكنها مبنية على تناسى التشبيه بادعاء أن المشبه به له فردان

---

(١) أى الرجوع .
(٢) وقد يقال إن الناظم قدم الاستعارة لكونها أبلغ ، ومعلوم أن النكات لا تتزاحم .
(٣) أى فهى مجاز علاقته المشابهة ، ولذا قيل فى تعريفه هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى .
(٤) أى أولا ، ثم على تناسيه ، بادعاء أن المشبه به له فردان : فرد حقيق ، وفرد ادعائى . ٤
(٥) أى ومع حذف المشبه فى الاستعارة التصريحية ، أو حذف المشبه به فى الاستعارة المكنية .

فِى مُهْتَدٍ وَضِـــدِّهِ كَمِثْلِ   هٰذَيْنِ مَا جَاء كَسَلْخِ اللَّيْلِ

قال الناظم (فى مهتد وضده) ، وذلك فى قوله تعالى : أومن كان ميتاً فأحييناه ، أى : ضالا فهديناه . استعير لفظ الموت للضلال والكفر ، والإحياء للايمان والهداية ، بجامع عدم الفوز فى الأول ، والفوز فى الثانى . و (كمثل هذين) التشبيهين (ما) أى : التشبيه الذى (جاء كـ) مجىء (سلخ الليل) فى قوله تعالى : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار . استعير السلخ من سلخ الشاة ، وهو كشط جلدها ، لكشف الضوء عن مكان الليل . والجامع : مايعقل من ترتب أمر على آخر ، وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكشط ، وظهور الظلمة على كشف الضوء ، عن مكان الليل . ثم للاستعارة أنواع كثيرة ، محل بسطها فن البيان .

﴿ فائدة ﴾ اختلفوا فى الاستعارة : هل هى مجاز لغوى أو عقلى ، على قولين . والصحيح(١) الأول ، لأنها موضوعة للمشبه به ، لا للمشبه ، ولا للأعم منهما ، فأسد مثلا

فرد حقيق وفرد ادعائى (قوله كإطلاق الحيوان عليهما) وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعاً فإطلاقه على الرجل الشجاع إطلاق على غير ماوضع له مع قرينة مانعة من إرادة ماوضع له فيكون مجازاً لغوياً . وفى هذا دلالة على أن لفظ العام إذا أطلق على الخاص لا باعتبار خصوصه بل باعتبار تحقق العام فيه فهو ليس من المجاز فى شىء ، كما إذا لقيت زيداً فقلت لقيت رجلا أو إنساناً أو حيواناً ، بل هو حقيقة إذ لم يستعمل اللفظ إلا فى معناه الموضوع له اه ملخصاً من الدسوقى . ومعنى كون الاستعارة مجازاً عقلياً على مذهب من قال به ، هو أن العقل جعل بعض المعانى العقلية نفس بعضها الآخر ، وإن لم يكن كذلك فى نفس الأمر وأدخل بعضه تحت جنس غيره على وجه التقدير والاعتقاد الباطل وحسنه وجود المشابهة فى نفس الأمر . فالمتكلم لم ينقل اللفظ إلى غير معناه ، وإنما استعمله فى معناه بعد أن تصرف فى تلك المعانى وصير بعضها نفس غيره ، وبعد تصيير المعنى معنى آخر جىء باللفظ وأطلق على معناه بالفعل ولو لم يكن معناه فى الأصل ، وجعل ماليس بواقع واقعاً فى التقدير والاعتقاد المبنى على المشابهة أمر عقلى . والله أعلم .

---

(١) وقيل إنه مجاز عقلى . بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى ، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ، فكان استعمالها فيما وضعت له ، فيكون حقيقة لغوية .

وَمَا عَلَى اشْتِرَاكِ أَمْرٍ دَلاَّ   مَعَ غَيْرِهِ ٱلتَّشْبِيهُ حَيْثُ حَلاَّ

فى قولك رأيت أسداً يرمى ، موضوع للسبع ، لا للرجل الشجاع ، ولا للأعم منهما ، كالحيوان الجرىء ، ليكون إطلاقه عليهما حقيقة ، كإطلاق الحيوان عليهما . والله أعلم .

النوع السابع : التشبيه

قال فى الإتقان : والتشبيه من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها . قال المبرد فى الكامل : لو قال قائل : هو أكثر كلام العرب لم يبعد ، وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم[1] بن البندار البغدادى . واختلفوا فى تعريفه ، فعرفه جماعة منهم السكاكى ، بأنه : مادل على اشتراك أمر لأمر فى معنى بينهما[2] . وإليه أشار الناظم بقوله (وما) : خبر مقدم عن قوله بعد التشبيه ، وهى واقعة على الكلام . وقوله (على اشتراك أمر) يتعلق بقوله (دلا) ، بألف الإطلاق . ويتعلق باشتراك قوله (معَ غيره التشبيه) . والمعنى : التشبيه ، أى تعريفه : هو الكلام الدال على اشتراك أمر مع غيره فى معنى بينهما (حيث حلاّ) أى فى أى وقت ومكان حل ونزل ، فالحيثية للإطلاق . وهذا الحد اشتمل على ثلاثة من أركان التشبيه : الطرفان[3] والوجه[4] ، وبقى الرابع ، وهى الآلة[5] : وقال ابن أبى الإصبع

النوع السابع : التشبيه

(قوله من أشرف الخ) وأشرف منه المجاز (قوله المبرد) هو الإمام الأديب محمد بن يزيد الثمالى ، والكامل اسم كتاب له من أمهات كتب الأدب (قوله خبر مقدم الخ) فيه تقديم التعريف على المعرف لفظاً والممتنع تقديمه عليه وجوداً (قوله وبقى الرابع الخ) وأجمع منه تعريف صاحب الجوهر المكنون فى قوله :

تشبيهنا دلالة على اشتراك   أمرين فى معنى بآلة أتاك

(١) اسم كتابه الجمان .
(٢) يسمى الأمر الأول مشبهاً ، والأمر الثانى مشبهاً به ، ويسمى المعنى وجه الشبه .
(٣) المشبه والمشبه به .
(٤) أى وجه الشبه ، وهو الوصف الجامع بين الطرفين .
(٥) وتسمى الأداة أيضاً .

وَالشَّرْطُ هٰهُنَا اقْتِرَانُهُ مَعَا   أَدَاتِهِ وَهْوَ كَثِيراً وَقَعَا

فى تعريفه : هو إخراج الأغمض[١] إلى الأظهر . وقال[٢] غيره : هو إلحاق شيء بذى وصف فى وصفه . وقيل غير ذلك . (والشرط ههنا) أى فى التشبيه (اقترانه) أى التشبيه (معا) بألف الإطلاق (أداته) بالجر : مضاف إليه . ثم الاقتران المذكور إما لفظاً أو تقديراً . قال أهل البيان : مافقد الأداة لفظاً إن قدرت فيه الأداة فهو تشبيه ، وإلا فاستعارة ، وبذلك[٣] يفترقان[٤] . ومثلوه بقوله تعالى[٥] : صم بكم عمى فهم لا يرجعون . وأداته كثيرة منها الكاف ، ومثل بالسكون . ومثل بالتحريك[٦] ، وكأن ونحوها ، وكلها تدخل على المشبه به[٧] ، إلا كأن ، فتدخل على المشبه . (وهو) أى التشبيه (كثيراً) صفة مقدمة

(قوله إلحاق شيء) هو المشبه ، وقوله بذى وصف مراده به ، المشبه به وقوله فى وصفه هو الوجه (قوله وبذلك يفترقان الخ) حاصله أن الاستعارة لابد فيها من حذف أحد الطرفين ، فإن حذف المستعار له وذكر المستعار فهى تصريحية ، وإن ذكر المستعار له وحذف المستعار ورمز له بشيء من لوازمه فهى مكنية ، بخلاف التشبيه فإنه لابد فيه من الجمع بين الطرفين وتجويز السعد جعل قوله فى حديث البسملة أو الحمدلة فهو أبتر من باب الاستعارة مع ذكر الطرفين فمبنى على أن المشبه عام والمذكور فرد من أفراده فلم يحصل الجمع الممتنع ، على أن الأرجح عند الجمهور فى مثل هذا التركيب أنه تشبيه بليغ . والله أعلم .

(١) أى الأخفى . (٢) هذا التعريف قريب من تعريف السكاكى ، فقوله شيء : هو المشبه ، وقوله بذى وصف : مراد به المشبه به ، وقوله فى وصفه : هو وجه الشبه .

(٣) أى بما قاله أهل البيان من تقدير الأداة وعدمه .

(٤) أى الاستعارة والتشبيه ، فإن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه ، فتقدير الأداة لايجوز فيها ، والتشبيه بغير الأداة على خلاف ذلك ، لأن تقدير الأداة واجب فيه .

(٥) قال الزمخشرى : المحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً ، لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام . انتهى .

(٦) لاتستعمل مثل محرك المثلثة إلا فى حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة ، نحو : « مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر » .

(٧) هذا فى الأصل ، وإلا فقد تدخل على المشبه لقصد المبالغة ، فتقلب التشبيه وتجعل المشبه هو الأصل ، نحو « قالوا : إنما البيع مثل الربا » كان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع ، لأن الكلام فى الربا لا فى البيع ، فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلا ملحقاً به البيع فى الجواز ، وأنه الخليق بالحل . كذا فى الإتقان .

لمفعول[1] مقدر لقوله (وقعا) بألف الإطلاق أى وهو وقع فى القرآن وقوعاً كثيراً ، منه قوله تعالى : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . . . الآية . شبهت زهرة الحياة الدنيا ، ثم فناؤها ، بزهرة النبات فى أول طلوعها ، ثم تكسره وتفتته بعد يبسه ، بجامع عدم الاستقرار فى كل منهما[2] .

﴿ فائدة ﴾ : مع كثرة وقوع التشبيه فى القرآن لم يقع فيه تشبيه شيئين بشيئين ، ولا أكثر من ذلك ، كما فى الإتقان ، و إنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد . والله أعلم .

---

(١) أى مفعول مطلق .

(٢) أى من الزهرتين .

العقد الخامس

مايرجع إلى مباحث المعانى المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعاً

النوع الأول : العام الباقى على عمومه

وَعَـزَّ إلاَّ قَوْلَهُ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ أَىْ عَلِيمٌ ذَا هُو

العقد الخامس

مايرجع إلى مباحث المعانى المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعاً

النوع الأول : العام الباقى على عمومه

العام : هو ماعم[1] شيئين فصاعداً ، من غير حصر[2] ، وضده الخاص ، وهو : ما لا يتناول شيئين فصاعداً من غير حصر (وعز[3]) أى : العام الباقى على عمومه ، إذ ما من عام إلا وخص[4] (إلا قولَه) تعـالى (والله بكل شىء أى عليمٌ) ، فإنه باق على عمومه ، إذ الشىء عام غير مخصوص . فالله سبحانه وتعالى عليم بكل شىء : من الـكليات

العقد الخامس

مايرجع إلى مباحث المعانى المتعلقة بالأحكام وهو أربعة عشر نوعاً

النوع الأول : العام الباقى على عمومه

(قوله العام) هو فى اللغة مأخوذ من قولهم عممت الناس بالعطاء أى شملتهم ، ففى العـام بالمعنى الاصطلاحى شمول ، فهذا وجه المنـاسبة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى . وأما فى الاصطلاح فقد ذكره الشارح بقوله ماعم شيئين فصاعداً من غير حصر ومابمعنى لفظ . وهذا بناء على الراجح من أن العموم من عوارض الألفاظ دون المعانى . ولذا قال صاحب اللب فى

---

(١) أى تناول دفعة . من العموم بمعنى التناول ، وإفادة اللفظ للشىء .

(٢) أى فى دلالة اللفظ والعبارة ، لا فى الواقع . قال فى التلويح : معنى كون الـكثير غير محصور : أن لا يكون فى اللفظ دلالة على انحصاره ، وإلا فالـكثير المتحقق محصور لا محالة . انتهى .

(٣) أى قل وندر .

(٤) أى ويتخيل فيه التخصيص .

تعريفه لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ، وهو أحسن من تعريف الشارح رحمه الله تعالى لأن قوله ماعم الخ فيه أخذ المعرف فى التعريف وهو دور ، وقد يجاب عنه بما فيه تكلف فالأولى أن يقول هو مايتناول شيئين فصاعداً . المعنى العام هو لفظ يتناول جميع أفراده دفعة واحدة ، فإن استعمل اللفظ فى معناه الحقيقى كان العبرة بأفراد المعنى الحقيقى ، أو المعنى المجازى كان العبرة بأفراده ، أو فيهما كان العبرة بأفرادهما . مثال العام : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فالصالحين لفظ عام يتناول كل عبد صالح لله فى السماء والأرض دفعة واحدة من غير حصر ، فقولنا لفظ خرج به المعنى فلا يقال فيه معنى عام ، والمراد بالمعنى هنا ما كان معنى مستقلا كالمقتضى والمفهوم ، لا المعنى المدلول للفظ العام إذ لاخلاف فى عمومه تبعاً للفظه ضرورة اتحاد الدال ومدلوله كالا يخفى . فيقال فى الاصطلاح لفظ عام وخاص ومعنى أعم وأخص تفرقة بين الدال والمدلول . وقولنا شيئين فصاعدا خرج به النكرة فى سياق الإثبات مفردة ومثناة ومجموعة واسم الجمع كقوم واسم العدد لامن حيث الآحاد فإنها تتناول ما يصلح لها بدلا لااستغراقاً ، نحو أكرم رجلا وتصدق بخمسة دراهم . وقولنا من غير حصر خرج به اسم العدد والنكرة المثناة من حيث الآحاد كعشرة ورجلين . واعلم أنه يدخل فى العام الصورة النادرة كالفيل فى حديث أبى داود وغيره : لاسبق إلافى خف أو حافر أونصل فإنه ذو خف والمسابقة عليه نادرة والأصح جوازها عليه ، ويدخل فيه أيضاً الصورة غير المقصودة وإن لم تكن نادرة نظراً للعموم وتدرك بالقرينة ، مثالها لو وكله بشراء عبيد فلان وفيهم من يعتق عليه أى الموكل ولم يعلم به ، والصحيح صحة شرائه ويعتق على الموكل ولا خيار له ، فإن قامت قرينة على قصد النادرة دخلت مطلقاً أو قصد انتفاء صورة لم تدخل قطعاً ، ويدخل فيه أيضاً المشترك المستعمل فى أفراد معنى واحد لأنه مع قرينة الواحد لايصلح لغيره ، ثم إن مدلول لفظ العام من حيث الحكم عليه كلية ، أى محكوم فيه على كل فرد فرد مطابقة إثباتاً وسلباً أمراً ونهياً نحو جاء عبيدى فإنه فى قوة قولك جاء فلان وفلان وهكذا . ولم يزل العلماء يستدلون بالعام فى النهى على كل فرد ، فلو كان النهى للمجموع لحصل الامتثال بانتهاء البعض وليس كذلك ، فدلالة العام كلية وليست كلياً أى محكوماً فيه على الماهية من حيث هى من غير نظر إلى الأفراد لأن النظر فى العام إلى الأفراد ، وليست كلا أى محكوماً فيه على مجموع الأفراد من حيث هو مجموع نحو كل رجل فى البلد يحمل الصخرة العظيمة أى مجموعهم . وألفاظ العام : كل والذى والتى وأى ، وما الشرطيتان والاستفهاميتان والموصولتان ، ومتى للزمان استفهامية أوشرطية وأين وحيثما للمكان شرطيتين . وأين استفهامية أيضاً ، ومن استفهامية وشرطية وموصولة ، والذين واللاتى وجميع والجمع المعرف باللام أو الإضافة حيث لاعهد ، والنكرة فى سياق النفى للعموم وضعاً عند الجمهور :

وَقَوْلَهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ   وَاحِدَةٍ فَخُذْهُ دُونَ لَبْسٍ

والجزئيات (ذا هو) أى هذا هو العام الباقى على عمومه . (وقولَه) بالنصب ، عطفاً على قوله المتقدم (خلقكم من نفس واحدة ، فخذه دون لبس) أى فإن الخطاب بقوله خلقكم لجميع البشر ، وكلهم من ذرية آدم بلا تخصيص . ثم ظاهر كلام الناظم حصر العام الباقى على عمومه فى هذين فقط ، تبعاً للنقاية إذ قال فيها : ولم يوجد لذلك مثال ، مما لا يتخيل فيه تخصيص[1] ، إلا قوله تعالى ، وذكر الآيتين ، وليس كذلك ، فإن الأصوليين ذكروا أمثلة لهذا العام غير ماذكر ، بل السيوطى نفسه نقل فى الإتقان عن الزركشى آيات ، عمومها لم يخص ، منها قوله تعالى : « إن الله لايظلم الناس شيئاً » . ومنها قوله تعالى : « ولا يظلم ربك أحداً » . ومنها قوله تعالى : « الله الذى جعل لكم الأرض قراراً » . فإن قيل : إن هذه الآيات فى غير الأحكام الفرعية ، ومراد الناظم بالحصر المذكور ، آيات الأحكام الفرعية ، قلنا : ماذكره[2] فى النظم أيضاً ليس منها ، وأما هى[3] كما

(قوله والجزئيات) قصد بذلك الرد على الفلاسفة حيث أنكروا علم الله بالجزئيات ، والمسائل التى كفروا بها ثلاثة : قدم العالم ، إنكار الحشر ، نفى العلم بالجزئيات . ونظمها بعضهم فقال :

بثلاثة كفر الفلاسفة العدا   إذ أنكروها وهى حقاً مثبته

علم بجزئى حدوث عوالم   حشر لأجساد وكانت ميته

(قوله ذا هو) إعلم أن العام ثلاثة أقسام : عام باق على عمومه ، وعام مخصوص ، وعام أريد به الخصوص ، وقد ذكرها المصنف مرتبة هكذا فى النوع الأول والثانى والثالث من هذا العقد (قوله مما لا يتخيل) أى مما لا يظن فيه (قوله فإن قيل) أصل هذا السؤال والجواب للعلامة السيوطى فى الإتقان . ومراده بذلك جعل الخلاف بين البلقينى والزركشى لفظياً لا حقيقياً . والله أعلم .

(١) التخصيص : هو قصر العام على بعض أفراده ، بأن لا يراد منه البعض الآخر .

(٢) أى من الآيتين .   (٣) أى آية فى الأحكام الفرعية ، وهى عامة لم تخص .

النوع الثانى والثالث : العام المخصوص ، والعام الذى أريد به الخصوص

وَأَوَّلٌ شَاعَ لِمَنْ أَقَامَا وَالثَّانِ نَحْوُ يَحْسُدُونَ النَّاسَا

استخرجها[1] فى الإتقان ، فقوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم . . » الآية ، فإنه لاتخصيص فيها . والله أعلم .

النوع الثانى والثالث : العام المخصوص والعام الذى أريد به الخصوص

(وأولٌ) أى العام المخصوص (شاع) أى : كثر[2] (لمن أقاسا) بألف الإطلاق أى : تتبع ، وذلك كتخصيص قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »

النوع الثانى والثالث : العام المخصوص والعام الذى أريد به الخصوص

(قوله شاع لمن أقاسا) فأمثلته فى القرآن كثيرة جداً وهى أكثر من المنسوخ إذ مامن عام إلا وقدخصص . والمخصص متصل أو منفصل ، فالمتصل خمسة : الأول الاستثناء كقوله تعالى كل شىء هالك إلا وجهه ، والثانى الوصف كقوله تعالى : وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، والثالث : الشرط كقوله تعالى : فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، والرابع الغاية كقوله تعالى : حتى يعطوا الجزية عن يد ، والخامس بدل البعض من الكل نحو ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . وأما المخصص المنفصل فهو آية أخرى فى محل آخر أو حديث أو إجماع أو قياس ، فمثال ما خص بالآية آية : والمطلقات يتربصن كما فى الشرح ، ومثال ماخص بالحديث آية وأحل الله البيع ، خص منه البيع الفاسد بالسنة ، وحرم الربا خص منه العرايا بالسنة . ومثال ماخص بالإجماع آية المواريث ، خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع . ومثال ماخص بالقياس : آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة فى قوله تعالى : فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، المخصص لعموم الآية .

(قوله والمطلقات يتربصن الخ) الحاصل أن الآية لها مخصصات خمسة : الأول غير المدخول بها لا عدة عليها لآية : إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها ، الثانى الصغيرة عدتها ثلاثة أشهر لآية : واللائى لم يحضن ،

---

(١) أى من القرآن بعد الفكر والتأمل .
(٢) وأمثلته فى القرآن كثيرة جداً ، وهى أكثر من المنسوخ .

أى : الحامل ، والآيسة ، والصغيرة ، بقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . . . » الآية . و بقوله تعالى : « واللائى يئسن . . » الآية . (والثانى) أى : العام الذى أريد به الخصوص (نحو) قوله تعالى : (يحسدون الناس) أى النبى ﷺ ، لجمعه ما فى الناس من الخصال الحميدة ، ونحو قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم . . . » الآية ، والمراد بالناس الأول نُعيم[١] بن مسعود الأشجعى . لقيامه[٢] مقام كثير فى تثبيط[٣] المؤمنين عن الخروج[٤] بما قاله ، وبالناس الثانى : أبو سفيان ،

والثالث الآيسة عدتها ثلاثة أشهر لآية : واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ، والرابع الحامل عدتها وضع حملها لآية : وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ، والخامس الأمة عدتها قرآن بالسنة ، ولذا قال بعضهم :

عدة من طلقت صغيرة ثلاث أشهر كذا الكبيرة
وبثلاثة من الأطهار عدة من تحيض قل للقارى
وعدة الحامل وضع حملها سوا من الوفاة أو طلاقها
وإن يك الطلاق من قبل المسس فما عليها عدة فتلتمس

(قوله نعيم بن مسعود) أسلم رضى الله تعالى عنه عام الخندق وحسن إسلامه . ومما يقوى أن المراد بالناس هنا واحد قوله إنما ذلكم الشيطان فوقعت الإشارة بقوله ذلكم إلى واحد ولو كان المعنى به جمعاً لقال إنما أولئكم الشيطان ، فهذه دلالة ظاهرة فى اللفظ .

واعلم أن العام الذى أريد به الخصوص أمثلته قليلة جداً ، ومن أمثلته قوله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » .

أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « من حيث أفاض الناس » قال إبراهيم : ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير رضى الله عنه من حيث أفاض الناسِ يعنى آدم لقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزماً ، ومن أمثلته أيضاً « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب » هو جبريل عليه السلام كما فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه

---

(١) أو أعرابى من خزاعة كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبى رافع . ومما يقوى أن المراد به ليس جمعاً قوله إنما ذلكم الشيطان ، فوقعت الإشارة بقوله ذلكم إلى واحد بعينه ولو كان المعنى به غير واحد لقال : إنما أولئكم الشيطان ، فهذه دلالة ظاهرة فى اللفظ .

(٢) علة لمحذوف ، أى وإنما صح إطلاقه عليه لقيامه .

(٣) أى تخذيلهم وتخويفهم . (٤) لملاقاة أبى سفيان وأصحابه .

وَأَوَّلٌ حَقِيقَـــةٌ وَالثَّانِى مَجَازٌ ٱلْفَرْقُ لِمَنْ يُعَانِى

لقيامه مقام كثير أيضاً فى تحريض الكفار على محاربة النبى ﷺ . ثم أراد الناظم أن يفرق بين العامَّين المذكورين ، بثلاثة أمور ، أشار لأولها بقوله (وأولٌ) أى : العام المخصوص (حقيقة[1]) لأنه إنما استعمل فيما وضع له ، ثم خص منه البعض بمخصص . (والثانى) أى العام الذى أريد به الخصوص : (مجاز[2]) لأنه استعمل ابتداء فى بعض ماوضع له ، وهذا البعض غير الموضوع له[3] . (الفرق) المذكور ظاهر (لمن يعانى) أى

(قوله وأول حقيقة) توضيح المقام فى الفرق بين العام المخصوص والعام الذى أريد به الخصوص من خمسه أوجه : الفرق الأول بالنسبة إلى مدلولها وهو أن العام المخصوص عمومه ، أى شموله لجميع أفراده مقصود للمتكلم صدقا وتناولا لاحكما ، لأن بعض الأفراد لايشمله الحكم نظراً للمخصص ، والعام الذى أريد به الخصوص عمومه ليس بمراد للمتكلم لا تناولا ولا حكما ، بل هو كلى استعمل فى جزئى أى فرد من أفراده . الفرق الثانى بالنظر إلى حكمهما ، فالعام الذى أريد به الخصوص مجاز قطعاً لأنه استعمل ابتداء فى بعض ماوضع له وهذا البعض غير الموضوع له ، والعام المخصوص فيه خلاف . قال فى شرح جمع الجوامع : الأشبه أنه حقيقة فى البعض الباقى بعد التخصيص ، وفاقاً للشيخ الإمام وفقهاء الحنابلة وكثير من الحنفية وأكثر الشافعية ، لأن تناول اللفظ للبعض الباقى فى التخصيص كتناوله له بلا تخصيص ، وذلك التناول حقيق اتفاقاً فليكن هذا التناول حقيقياً أيضاً ، وقال الرازى من الحنفية : حقيقة إن كان الباقى غير منحصر لبقاء خاصة العموم ، وإلا فمجاز . وقال قوم حقيقة إن خص بما لا يستقل أى بمتصل مما يأتى . وقال إمام الحرمين : حقيقة ومجاز باعتبارين ، تناوله والاقتصار عليه ، أى هو باعتبار تناول البعض حقيقة وباعتبار الاقتصار عليه مجاز . والأكثر مجاز مطلقاً لاستعماله فى بعض ماوضع له أولا ، والتناول لهذا البعض حيث لاتخصيص إنما كان حقيقياً

(١) أى فى البعض الباقى بعد التخصيص . وهذا هو مذهب الشافعى وأصحابه ، وبه قال كثير من الحنفية ، وجميع الحنابلة ، وصححه التاج السبكى ، لأن تناول اللفظ للبعض الباقى بعد التخصيص ، كتناوله له بلا تخصيص ، وذلك التناول حقيق اتفاقاً ، فليكن هذا التناول حقيقياً أيضاً .

(٢) أى مجاز مرسل قطعاً ، علاقته الكلية والجزئية ، أى أن القضية كلية ، استعملت فى جزئية . ويصح أن تكون علاقته المشابهة .

(٣) لأن ماوضع العام له : معنى كلى يشمل جميع الأفراد ، ولايخص بعضها .

قَرِينَةُ الثَّانِي تُرَى عَقْلِيَّهْ وَأَوَّلٌ قَطْعاً تُرَى لَفْظِيَّهْ
وَالثَّانِ جَازَ أَنْ يُرَادَ الْوَاحِدُ فِيـهِ وَأَوَّلٌ لِهٰذَا فَاقِدُ

يعتنى به(١) . وأشار إلى ثانيهما بقوله (قرينة الثانى) أى : العام الذى أريد به الخصوص . (ترى(٢) عقليهْ(٣)) إذ هى حالية مثلا (وأولٌ) أى : العام المخصوص ، أي قرينته (قطعاً) أى جزماً (ترى لفظيهْ) ، وذلك كالاستثناء ، والشرط ، والصفة ، وغيرها من المخصصات المتصلة والمنفصلة . وأشار إلى ثالثها بقوله (والثان) بحذف الياء للوزن ، وهو العام المراد به الخصوص (جاز) بلا خلاف (أن يراد) به الفرد (الواحد) ، فقوله (فيه) أى : به ، متعلق بيراد . (وأولٌ) وهو العام المخصوص (لهذا) الجواز المذكور(٤) (فاقد)

لمصاحبتـه للبعض الآخر ، وقيل مجاز إن استثنى منه لأنه يتبين بالاستثناء أنه أريد بالمستثنى منه ماعـدا المستثنى ، بخلاف غير الاستثناء من الصفة وغيرها ، فإنه يفهم ابتداء أن العموم بالنظر إليه فقط ، وقيل مجاز إن خص بغير لفظ كالعقل ، نحو الله خالق كل شيء ، بخلاف اللفظ ، فالعموم بالنظر إليه فقط . الفرق الثالث بالنظر إلى قرينتهما ، فالعام المخصوص قرينته لفظية مـن شرط أو صفة أو استثناء أو غير ذلك ، والعام الذى أريد به الخصوص قرينته عقلية ، وكذا قرينة العام المخصوص قد تنفك عنه كما إذا تراخى المخصوص عن وقت الخطاب بالعام إلى وقت الحاجة ، وقد لا تنفك كما فى الاستثناء ، وأما قرينة العام الذى أريد به الخصوص فلا تنفك عنه أصلا . الفرق الرابع بالنظر إلى صحة مايراد بكل : فالعام الذى أريد به الخصوص يجوز أن يراد به واحد اتفاقاً . والعام المخصوص اختلف فيه ، فالأصح والراجح بجواز التخصيص فيه إلى واحد إن لم يكن لفظ العام جمعاً كمن والمفرد المحلى باللام ، وإلى أقل الجمع ثلاثة أو اثنين إن كان جمعاً كالمسلمين والمسلمات . وقيل يجوز إلى واحد مطلقاً نظراً فى الجمع إلى أن آحاده أفراد كثيرة ، وشذ المنع إلى واحد مطلقاً بأن لايجوز إلا إلى أقل الجمع مطلقاً ، وقيل بالمنع إلى أن يبقى غير محصور فيجوز حينئذ . الفرق الخامس العام المخصوص حجة ، والذى أريد به الخصوص ليس حجة إلا فيما أريد به فقط . والله أعلم .

---

(١) أى بالفرق . (٢) أى تعلم .

(٣) هذا فى الغالب ، وإلا فقد تـكون قرينته لفظية ، كما فى آية : « الذين قال لهم الناس » فإن المراد بالناس واحد وهو نعيم كما تقدم ، والقرينة على ذلك قوله تعالى : « إنما ذلـكم الشيطان » فتدبر .

(٤) أى جواز إرادة الواحد .

النوع الرابع : ماخُصَّ منه ، أى من الكتاب ، بالسُّنة

تَخْصِيصُهُ بِسُنَّةٍ قَدْ وَقَعَا فَلاَ تَمِلْ لِقَوْلِ مَنْ قَدْ مَنَعَا

أى : فلا يجوز فيه قصر العام على فرد واحد من أفراده ، جوازاً متفقاً عليه ، بل على خلاف[١] . والأصح[٢] ، كما فى اللب وغيره : جوازه[٣] ، إلى أن يبقى أقل الجمع إن كان جمعاً[٤] ، وإلى واحد إن كان مفرداً[٥] — والله أعلم .

النوع الرابع : ماخص منه ، أى من الكتاب ، بالسنة

(تخصيصه) أى الكتاب (بسنة) صحيحة أو ماهو[٦] بمنزلتها (قد وقعا) بألف الإطلاق ، أى وقع وقوعاً كثيراً . وذلك كتخصيص قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم » بحديث « أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد ، والكبد والطحال » رواه الحاكم وابن ماجه ، من حديث ابن عمر مرفوعاً ، وكتخصيص آيات المواريث بغير القاتل ، والمخالف فى الدين ، المأخوذ من الأحاديث[٧] الصحيحة . إذا عرفت ذلك (فلا تمل) بفتح

النوع الرابع : ماخص منه بالسنة

(قوله فلا تمل الخ) حاصله أن تخصيص الكتاب بالكتاب والسنة المتواترة بالسنة المتواترة ، والسنة خبر الآحاد بخبر الآحاد ، والسنة مطلقاً بالكتاب متفق عليه . وأما تخصيص

(١) وبسبب هذا الفرق أن العام المخصوص مستعمل فى معناه حقيقة ولو خصص إلى الواحد كان نسخاً لا تخصيصاً ، بخلاف المراد به الخصوص . وحاصله أن العام المخصوص عمومه مراد تناولا ، والتخصيص لايرفع إلا العموم العارض ، فلا بد أن يبقى أصل معناه ، بخلاف المراد به الخصوص . انتهى .

(٢) وقيل يجوز التخصيص فيه ، ومنتهاه واحد مطلقاً ، نظراً فى الجمع إلى أن أفراده آحاد كغيره لاجموع . وقيل لايجوز ، ومنتهاه أقل الجمع مطلقاً ولا يجوز دونه ، وهذا القول شاذ ، وقيل غير ذلك .

(٣) أى جواز التخصيص منتهياً إلى أقل الجمع ثلاثة أو اثنين .

(٤) سواء كان جمع قلة أو جمع كثرة ، ومثل الجمع فى هذا الحكم ، اسم الجمع كنساء وقوم ورهط .

(٥) أى مفرداً محلى بالألف واللام ، ومثله من .

(٦) أراد به خبر الواحد الذى أجمعوا على العمل به كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ميراث لقاتل ، ولا وصية لوارث » ونهيه عن الجمع بين المرأة وأختها ، فإنه يجوز تخصيص العموم به بلا خلاف ، لأن هذه الأخبار بمنزلة المتواترة لانعقاد الإجماع على حكمها وإن لم ينعقد على روايتها . نبه عليه ابن السمعانى .

(٧) وهى قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس للقاتل من تركة المقتول شىء » . صححه ابن عبد البر ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم » . متفق عليه .

آحَادُهَا وَغَيْرُهَا سَــوَاء   فَبِالْعَرَايَا خُصَّتِ الرِّبَاء

التاء ، وكسر الميم ، من الميل (لقول من قد منعا) بألف الإطلاق ، كأبى حنيفة وغيره ، مستدلين بأن الـكتاب قطعى ، والسنة ظنية ، والقطعى لايخصص بالظنى ، كما أنه لاينسخ به ، إذ التخصيص نسخ الحـكم عن بعض الأفراد[(١)] ، ويجاب بأن النسخ أشد من التخصيص ، إذ هو رفع الحـكم عن المحـكوم به ، رأساً[(٢)] ، بخلاف التخصيص ، فإنه قصر[(٣)] الحـكم على البعض ، و بأن محل التخصيص إنما هو دلالته[(٤)] لامتنه وثبوته ، ودلالة العام على كل فرد بخصوصه ظنية[(٥)] ، بخلاف ثبوت ذلك العام ومتنه فى القرآن ، فإنه قطعى ، وليس الـكلام فيه[(٦)] .

ثم قال : (آحادها) أى السنة (وغيرها) أى الآحاد (سواء) أى : مستو فى جواز تخصيص الـكتاب بها ؛ فإذا علمت ذلك[(٧)] (فب) حديث (العرايا) ، وهو ماروا الشيخان ،

الـكتاب بالسنة خبر الآحاد فممنوع عند الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وجائز عند الجمهور ، وهو أصح لما ذكره المصنف بعد (قوله ويجاب الخ) حاصله أنه أجاب بوجهين : الوجه الأول منع قياس التخصيص على النسخ لأنه رفع للحكم بالكلية ، والتخصيص رفع البعض دون البعض ، والوجه الثانى بيان أن القطعى إنما هو المتن والثبوت ، والتخصيص هنا للدلالة وهى ظنية (قوله العرايا) جمع عرية كمطايا جمع مطية مأخوذة من التعرى وهو التجرد ، وسميت النخلة بذلك لتخلى صاحبها الأول عنها من بين سائر نخيله ، أو لأنها عريت من جملة التحريم أى خرجت منها ، وهى عند الشافعى رحمه الله تعالى بيع الرطب على رؤوس النخل بقدر كيله من التمر خرصاً فيما دون خمسة أوسق ، وعند الإمام مالك رحمه الله تعالى صورته أن يعرى الرجل أى يهب تمر نخلة أو نخلات ثم يتضرر بمداخلة الموهوب فيشتريها منه بخرصها تمراً ، ولا يجوز ذلك لأنه يضر رب البستان ، فهذا الحديث مخصص لآية الربا ، ثم اختلفوا فى القدر المخصص ، وتفصيل ذلك فى كتب الأصول والفروع ، والله أعلم .

(١) أى بعض أفراد العام . (٢) أى بالـكلية .
(٣) أى رفع الحـكم عن البعض دون البعض . (٤) أى مدلول العام .
(٥) والعمل بالظنين أولى من إلغاء أحدهما .
(٦) أى فى الثبوت . (٧) أى الاستواء .

النوع الخامس : ماخُصَّ به من السنة

وَعَزَّ لَمْ يُوجَدْ سِوَى أَرْبَعَةِ كَـآيَةِ الْأَصْوَافِ أَوْ كَالْجِزْيَةِ

أنه ﷺ رخص بيع العرايا ، والعرايا : هو بيع تمر برطب ، فيما دون خمسة أوسق ، قد (خصت الرباء) أى : آية الربا ، وهى قوله تعالى « وحرم الربا . . . » الآية ، فإنها شاملة للعرايا ولغيرها ، فأخرج العرايا من التحريم ، بالحديث المذكور ، وهو آحاد . والله أعلم .

النوع الخامس : ماخص به من السنة

(وعز) أى قل (لم يوجد) تخصيص السنة[1] بالكتاب (سوى أربعة[2]) من الآيات ، قد خص بها أربعة أحاديث . وذلك (كآية الأصواف) فى سورة النحل ، عند قوله تعالى : « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً[3] ومتاعاً إلى حين . . . » الآية . (أو) هى بمعنى الواو (كـ) آية (الجزية) فى سورة التوبة ، عند قوله تعالى : « قاتلوا

النوع الخامس : ماخص به من السنة

(قوله تخصيص السنة بالكتاب) هو جائز عقلا وواقع سمعاً إلا أنه عزيز جداً ، ومنعه البعض محتجاً بآية لتبين للناس مانزل إليهم ، والبيان لا يكون مبيناً ، وأجيب بأنه قد وقع فعلا وبأن بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق ببيان مانزل عليه من الكتاب لآية : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » . والله أعلم (قوله سوى أربعة) وكذا قوله تعالى : « فقاتلوا التى تبغى » خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . والله أعلم .

---

(١) هذا أعنى جواز تخصيص السنة بالكتاب هو القول الأصح ، لقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » ، والسنة شيء من جملة ذلك فتكون داخلة فيه ، وقيل لا يجوز لقوله تعالى : « لتبين للناس مانزل إليهم » جعله مبيناً للقرآن ، فلا يكون القرآن مبيناً للسنة . قلنا لا مانع من ذلك ، لأنهما من عند الله . قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى » .

(٢) قد ذكر السيوطى فى الإتقان آية خامسة ، وهى قوله تعالى : « فقاتلوا التى تبغى » ، قد خص بها عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول فى النار » .

(٣) أى لبيوتكم ، كبسط وأكسية .

وَالصَّلَوَاتِ حَافِظُوا عَلَيْهَا ... وَالْعَـــامِلِينَ ضُمَّهَا إِلَيْهَا
حَدِيثُ مَا أُبِينَ فِي أُولاَهَا ... خُصَّ وَأَيْضاً خَصَّ مَا تَلاَهَا
لِقَوْلِهِ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلاَ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمَا أَرَدْتُ قَابِلاَ
وَخَصَّتِ الْبَاقِيَةُ النَّهْيَ عَنِ ... حِلِّ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ لِلْغَنِي

الذين لايؤمنون » . . . إلى قوله تعالى : «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . (و) آية (الصلوات حافظوا عليها) فى سورة البقرة ، عند قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (و) آية (العاملين) فى سورة التوبة ، عند قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء . . » إلى قوله : والعاملين عليها . وقوله (ضمها) أى آية العاملين (إليها) أى : إلى الثلاث المتقدمة ، تكملة . ثم بين الأحاديث المخصصة بتلك الآيات[١] فقال : (حديث ما أبين) من حى فهو ميت . رواه الحاكم ، عن أبى سعيد ، وصححه على شرط الشيخين (فى أولاها) أى : أولى الآيات[٢] ، وهى آية الأصواف (خُص) أى : عموم ذلك الحديث ، فإنه دال على أن ماانفصل من حى ، فحكمه حكم الميت ، سواء كان صوفاً أو وَبَراً أو غيرهما ، بآية[٣] الأصواف الدالة على طهارة الصوف والوبر ، وإن انفصلا من حى (وأيضاً) أى : وكما خص ذلك (خَص) بالبناء للفاعل (ماتلاها) أى : تلا الآية الأولى ، وهى آية الجزية (لقوله) ﷺ (أمرت أن أقاتلا) بألف الإطلاق (من لم يكن لما أردت) من النطق بالشهادتين (قابلا) وناطقاً بهما . وذلك مارواه الشيخان ، من قوله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، فإنه عام شامل لمن أعطى الجزية ومن لم يعطها ، فخص بالآية المتقدمة ، الدالة على عدم جواز مقاتلة من أعطى الجزية (وخَصت الباقيةُ) من الآيتين ، وهما آية حافظوا على الصلوات ، وآية العاملين (النهيَ) بالنصب مفعول به (عن حل الصلاة) : راجع لآية حافظوا ،

---

(١) وفى النسختين المطبوعتين : بتلك الآية .
(٢) فى المطبوعتين : أولى الآية .
(٣) متعلق بخص .

النوع السادس : المُجمل

مَالَمْ يَكُنْ بِوَاضِحِ الدَّلاَلَةِ كَالْقُرْءِ إِذْ بَيَانُهُ بِالسُّنَّةِ

(والزكاة للغنى) راجع لآية العاملين . والمعنى : أن قوله تعالى : حافظوا على الصلوات مخصصة لنهى النبي ﷺ عن الصلاة فى الأوقات المكروهة ، المروى فى الصحيحين وغيرهما ، فإنه عام للصلوات المكتوبة وغيرها ، نخصته الآية فى غيرها . وأما هى فمأمور بمحافظتها مطلقاً ، وأن قوله تعالى : « والعاملين عليها » مخصصة لنهيه ﷺ عن إعطاء الزكاة للغنى ، وهو كما رواه النسائى وغيره بلفظ « لاتحل الصدقة للغنى » فإنه عام شامل للعاملين وغيرهم . نخصته الآية بغيرهم فقط . أما هؤلاء[1] فيحل لهم أخذها ، لأنها أجرة لهم . والله أعلم .

النوع السادس : المجمل

وهو[2] مالم تتضح[3] دلالته على معناه . وإليه أشار الناظم بقوله (ما) أى : لفظ (لم يكن بواضح الدلالة) ، بسبب من أسبابه ، كالاشتراك مثلا ، وذلك (كـ) لفظ (القُرْء)

النوع السادس : المجمل

(قوله هو مالم تتضح الخ) خرج المبين لاتضاح دلالته ، والمهمل إذ لادلالة له أصلا فلذا قال شيخنا فى شرحه متع الله به : والمراد ماكان له دلالة فى الأصل ولم تتضح فلا يرد المهمل (قوله القرء الخ) حاصل المقام وتوضيحه أن القرء يطلق فى كلام العرب على الطهر وعلى الحيض حقيقة فهو من الأضداد . وأصل القرء الاجتماع ، وسمى الحيض قرءاً لاجتماع الدم فى الرحم ، وسمى الطهر قرءاً لاجتماع الدم فى البدن ، وقد يطلق القرء أيضاً على الوقت لمجىء الشىء المعتاد مجيئه لوقت معلوم ولإدبار الشىء المعتاد إدباره لوقت معلوم . يقال : أقرأت حاجة فلان عندى أى جاء وقت قضائها ، وأقرأ النجم إذا جاء وقت أفوله ، وأقرأت الريح إذا هبت لوقتها . قال الهذلى : هبت لقارئها الرياح . أى هبت لوقتها . ولما كان الحيض معتاداً

---

(١) أى العاملون .

(٢) أى فى الاصطلاح ، وأما معناه فى اللغة : فالمجموع .

(٣) أى ما له دلالة وهى غير واضحة ، نخرج المهمل ، إذ لا دلالة له ، وخرج المبين ، إذ دلالته واضحة .

مجيئة فى وقت معلوم سمت العرب وقت مجيئه قرءاً . ومن مجيء القرء بمعنى الحيض قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبى حبيش : دعى الصلاة أيام أقرائك . ومن مجيئه بمعنى الطهر قول الأعشى :

فى كل عام أنت جاشم غزوة   تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مجداً وفى الذكر رفعة   لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقد اختلف فى المراد من القروء فى الآية . فذهب مالك والشافعى وابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة وربيعة وأحمد إلى أنها الأطهار . وذهب على وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثورى والأوزاعى وابن أبى ليلى وابن شبرمة وأحمد فى رواية أخرى عنه إلى أنها الحيض . (وفائدة الخلاف) أنه إذا طلقها فى طهر خرجت عن عدتها عند الأولين بمجىء الحيضة الثالثة لأنها يحسب لها الطهر الذى طلقت فيه . ولا تخرج من عدتها إلا بانقضاء الحيضة الثالثة عند الآخرين . وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلى رضى الله عنهما أنهما قالا : لا يحل لزوجها الرجعة إليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة . وقد احتجوا لترجيح المذهب الأول بأمور : منها أنه أثبت التاء فى العدد (ثلاثة) فدل ذلك على أن المعدود مذكر ، وهو لا يكون مذكراً إلا إذا كان المراد الطهر ، وإذا كان المراد الحيضة كان مؤنثاً . ومنها قوله تعالى : فطلقوهن لعدتهن ، ومعناه فى وقت عدتهن ، لكن الطلاق فى زمن الحيض منهى عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض . وأجيب بأن معنى الآية مستقبلات لعدتهن . وقد احتجوا لترجيح المذهب الثانى بأمور : منها أننا أجمعنا على أن الاستبراء فى شراء الجوارى يكون بالحيضة فكذا العدة تكون بالحيضة ، لأن الغرض منهما واحد . ومنها أن العدة شرعت لبراءة الرحم والذى يدل على براءته إنما هو الحيض لا الطهر . ومنها قوله ﷺ : طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان . ومن المعلوم أن عدة الأمة نصف عدة الحرة ، فإذا اعتبرت عدة الأمة بالحيض كانت عدة الحرة كذلك . والمسألة كما ترى محتملة ، ولكن مذهب الفريق الثانى أرجح من جهة المعنى . وقد زعم بعضهم أن قوله تعالى : والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، خبر فى معنى الأمر لئلا يلزم الكذب فى خبره تعالى إذا لم تتربص بعض المطلقات ، وهذا غير لازم ، لأن الله أخبر عن حكم الشرع فإن وجدت امرأة لا تتربص لم يكن لها هذا الحكم بل لها حكم آخر . على أن الآية مخصصة كما تقدم ويتربصن بمعنى ليتربصن فافهم .

. . . .

بفتح القاف وضمها ، وهو مشترك بين الطهر والحيض . (إذ بيانه) أى القرء (بالسنة) ، وهى التى تبين أن المراد به الطهر أو الحيض ، فما يبين أن المراد به الطهر مافى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه طلق زوجته[١] وهى حائض ، فذكر[٢] لرسول الله ﷺ ذلك[٣] ، فتغيظ ، ثم قال : « مره[٤] فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء » أى فى قوله تعالى : فطلقوهن لعدتهن ، يعنى فى الوقت[٥] الذى يشرعن فى العدة ، فدل على أن زمان العدة هو الطهر . ومما يبين أن المراد به الحيض ماأخرجه النسائى من أن فاطمة ابنة أبى حبيش قالت : يارسول الله ، إنى امرأة أستحاض فلا أطهر[٦] ، أفأدع الصلاة[٧] ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا ، دعى الصلاة أيام أقرائك . وهذا الثانى هو مذهب أبى حنيفة وأحمد[٨] رحمهما الله . والأول هو ماعليه إمامنا الشافعى والإمام مالك[٩] رحمهما الله ، وأجابوا عما استدل به الثانى ، على فرض تسليم صحة الحديث المذكور ، بأن القرء فى الحديث ، غيره فى الآية ، فإن الذى فى الآية يجمع على قروء ، وفى الحديث يجمع على أقراء ، وقد قيل إنه إذا جمع على أقراء ، معناه الحيض ، وإذا جمع على قروء معناه الطهر ، وبأن الحديث الثانى لايقاوم الحديث الأول ، كما هو معلوم عند أرباب الحديث .

قال فى الإتقان : واختلف فى وقوع المجمل فى القرآن ؟ فالجمهور على أنه واقع ، خلافاً

---

(١) اسمها آمنة بنت غفار .
(٢) الذاكر : هو أبوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
(٣) أى تطليقها وهى حائض .
(٤) خطاب لعمر بن الخطاب ، بأن يأمر ابنه عبد الله .
(٥) وهو الطهر ، إذ الطلاق فى الحيض محرم . وقد قرىء : لقبل عدتهن .
(٦) أى فلا ينقطع عنى الدم . (٧) أى أأترك الصلاة بالكلية .
(٨) أى فى آخر أمره . (٩) أى والإمام أحمد فى أول أمره .

لداود الظاهرى[١]، وفى جواز بقائه مجملا[٢] أيضاً أقوال، ذكرها الأصوليون، أصحها: لا يبقى المكلف بالعمل به إلا مبيناً[٣]، بخلاف غيره. وللإجمال أسباب كثيرة: منها الاشتراك، وعليه اقتصر الناظم. ومنها الحذف، نحو قوله تعالى: «وترغبون أن تنكحوهن» فيحتمل هنا تقدير فى، وعن. ومنها احتمال العطف، نحو قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون...» الآية. فيحتمل[٤] العطف والاستئناف. ومنها غير ذلك.

﴿ تنبيه ﴾: الفرق بين المجمل[٥] والمحتمل كما فى الإتقان: أن المجمل هو اللفظ المبهم الذى[٦] لا يفهم المراد منه، وأن المحتمل هو اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعداً[٧]. والله أعلم.

(قوله منها الاشتراك) ومثاله أيضاً «والليل إذا عسعس» فإنه موضوع لأقبل وأدبر، ويعفو الذى بيده عقدة النكاح الزوج أو الولى (قوله ومنها غير ذلك) كغرابة اللفظ نحو: فلا تعضلوهن، ومنها عدم كثرة الاستعمال نحو ثانى عطفه أى متكبراً، والتقديم والتأخير نحو: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى، أى ولولا كلمة وأجل مسمى. واعلم أن بيان المجمل يكون متصلا نحو من الفجر بعد قوله الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ومنفصلا فى آية أخرى نحو: ربنا ظلمنا أنفسنا الآية، مبينة للكلمات فى قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات. وقد اختلف فى آيات هل هى من قبيل المجمل أم لا ذكرها صاحب الإتقان بغاية التحرير والإتقان.

(قوله الفرق الخ) أصل الفرق لابن الحصار كما نقله فى الإتقان، وفيه أيضاً والفرق بينهما أن المحتمل يدل على أمور معروفة واللفظ مشترك متردد بينها. والمبهم لا يدل على معروف مع القطع بأن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل. والله أعلم.

---

(١) فإنه منع وقوعه فى القرآن غير مبين لا مطلقاً، فلا يرد الاعتراض عليه بأنه كيف يمنع وقوعه مع الوقوع فى آيات كثيرة. (٢) أى لم يبين.

(٣) سواء كان هذا المكلف أريد منه فهمه للمجمل أم لا، فالأول كآية الصلاة بالنسبة إلى العلماء، فإنها محتاجة إلى البيان، لكون المراد من الصلاة شرعاً، ليس المعنى اللغوى، وقد أراد الله تعالى منهم أن يفهموا مراده بها، والثانى كآية الحيض بالنسبة للنساء، فإنها محتاجة إلى البيان عما هو المراد منها، ولم يرد الله منهن فهمهن مراده بها، وإنما أراد فهم العلماء لعملهن، فإنهن يعملن بموجب فتواهم.

(٤) أى قوله الراسخون، ويتردد بين العطف والابتداء، وحمله الجمهور على الابتداء، لما قدم عندهم.

(٥) وأيضاً أن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل قطعاً، بخلاف المحتمل.

(٦) فلا يدل على أمر معروف.

(٧) سواء كان حقيقة فى كلها أو بعضها، فيدل على أمور معروفة، ويكون مشتركا متردداً بينها اهـ.

النوع السابع : المُؤول

عَنْ ظَاهِرٍ مَا بِالدَّلِيلِ نُزِلاَ   كالْيَدِ لِلهِ هُوَ اللَّذْ أُوِّلاَ

النوع السابع : المؤول

ويعرَّف بأنه : ماترك[١] ظاهره لدليل[٢] . وإليه أشار الناظم بقوله (عن ظاهر) متعلق بنزل . (ما) أى : لفظ (بالدليل) القطعى (نُزِلا) بألف الإطلاق ، مبنياً المجهول ، أى ترك ، كقولك نزلتُ عن الحق إذا تركته . والمعنى : لفظ ترك ظاهره بسبب الدليل القطعى المانع من ذلك . وذلك (كاليد لله) فى قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » وفى قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد » (هو اللذ) لغة فى الذى (أُوِّلا) بألف الإطلاق. مبنياً للمجهول . والمعنى : اللفظ الذى ترك ظاهره ، بسبب الدليل القطعى المانع من ذلك ، هو المؤول ، إذ ظاهر اليد : الجارحة ، ولكن لما استحالت على الله تعالى ، ترك ذلك الظاهر إلى المعنى غير الظاهر لها وهى القدرة ، للدليل القاطع على تنزيه الله تعالى عن ظاهره[٣] .

﴿ واعلم ﴾ أن الذى عليه أهل السنة[٤] الإيمان بآيات الصفات ، كاليد والوجه وغيرهما ، وتفويض[٥] معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نفسرها ، مع تنزيهنا[٦]

النوع السابع : المؤول

(قوله وتفويض معناها الخ) قال تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم»

---

(١) أى صرف عن ظاهره ، وحمل على المعنى المرجوح .

(٢) خرج بهذا القيد ما حمل على المعنى المرجوح ، لما يظن دليلا ، وليس بدليل فى الواقع ، وكذا ما حمل عليه لا لشىء .   (٣) أى ظاهر لفظ اليد .

(٤) قال الترمذى : المذهب عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم ، أنهم قالوا نؤمن بها كما جاءت ، ولا يقال ولا كيف ولا نفسر ولا نتوهم . وذهبت طائفة من أهل السنة إلى أننا نؤولها على مايليق بجلاله تعالى ، وهذا مذهب الخلف ، وكان إمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه . وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها ، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها . انتهى .   (٥) ولأجل هذا المعنى يسمى هذا بمذهب بمذهب المفوضة بكسر الواو وتشديدها ، كما يسمى مذهب السلف .

(٦) أى صرفنا عن ظواهرها المستحيلة على الله ، فنعتقد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعاً .

لله تعالى عن حقيقتها ؛ ففى الإتقان : أخرج أبو القاسم اللالـكائى فى السنة عن أم سلمة ، فى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » قالت : الـكيف[١] غير معقول ، والاستواء غير[٢] مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر . وعن مالك : أنه سئل عن الآية ، فقال : الـكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة[٣] . وعن محمد بن الحسن أنه قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بآيات الصفات ، من غير تفسير ولاتشبيه . انتهى . والله أعلم .

يقولون آمنا به » . فالآية دلت على ذم متبعى المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة ، وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه ، كما مدح الله المؤمنين بالغيب . وأخرج الدارمى، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . والله أعلم .

---

(١) أى مجهول ، يعنى أن تعيين مراد الشارع مجهول لنا ، لا دليل عندنا عليه ، ولاسلطان لنا به .

(٢) أى معلوم الظاهر بحسب ماتدل عليه الأوضاع اللغوية ، ولـكن هذا الظاهر غير مراد قطعاً ، لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله ، بالدليل القاطع .

(٣) أى الاستفسار عن تعين هذا المراد ، على اعتقاد أنه مما شرعه الله بدعة ، لأنه طريقة فى الدين مخترعة ، مخالفة لما أرشدنا إليه الشارع ، من وجوب تقديم المحكمات ، وعدم اتباع المتشابهات ، وماجزاء المبتدع إلا أن يطرد ويبعد عن الناس ، خوف أن يفتنهم ، لأنه رجل سوء .

النوع الثامن : المفهوم

مُوَافِقٌ مَنْطُوقَهُ كَأُفٍّ   وَمِنْهُ ذُو تَخَالُفٍ فى الْوَصْفِ

النوع الثامن : المفهوم

وهو معنى[١] دل عليه اللفظ لافى[٢] محل النطق . وينقسم إلى موافق ومخالف ، كما قال الناظم (موافق) بالتنوين (منطوقه) بالنصب ، وهو ما يوافق[٣] حكمه المنطوق ، وذلك (كـ) مفهوم (أُفٍّ) فى قوله تعالى : ولاتقل لهما أفٍّ ، فإنه يفهم منه تحريم الضرب[٤] من باب أولى[٥] . (ومنه) أى : ومن المفهوم (ذو تخالف) وهو ما يخالف

النوع الثامن : المفهوم

(قوله لا فى محل النطق) أى بل فى محل السكوت . وحاصله أن الألفاظ قوالب للمعانى المستفادة منها ، فتارة تستفاد منها من جهة النطق تصريحاً وتارة من جهته تلويحاً فالأول المنطوق والثانى المفهوم ، فالمنطوق حكم للفظ المذكور وحال من أحواله ، والمفهوم ليس حكما للفظ المذكور ولا حالا من أحواله (قوله موافق) وهو قسمان : فحوى خطاب وهو ماكان المفهوم أولى من المنطوق بالحكم كتحريم الضرب فإنه أولى من تحريم التأفيف لشدة الإيذاء ، ولحن خطاب إن كان المفهوم مساوياً للمنطوق كتحريم إحراق مال اليتيم الدال عليه نظراً لمساواته لتحريم أكله ظلماً فى الإتلاف (قوله ذو تخالف) ويسمى دليل الخطاب وهو أقسام : مفهوم صفة والمراد بها كما فى اللب لفظ مقيد لآخر وليس بشرط ولا غاية

(١) المراد بالمعنى مايعنى من اللفظ ويقصد ، وليس المراد به ماقابل الذات ، فافهم .

(٢) أى ليست الدلالة فيه وضعية ، بل انتقالية ، فإن الذهن ينتقل من تحريم التأفيف مثلا إلى تحريم الضرب ، بطريق التنبيه بالأول على الثانى . وهذا قيد خرج به المنطوق ، وهو ما دل عليه اللفظ فى محل النطق ، أى فى مقام إيراد اللفظ ، فالمحل اعتبارى .

(٣) أى مايوافق حكمه المشتمل هو عليه الحكم المنطوق به ، ومن هنا ظهر أن المفهوم يطلق على الحكم ومحله معاً ، لا انفراداً ، وهذا هو الكثير ، وقد يطلق قليلا على محل الحكم فقط ، فلا تغفل .

(٤) أى تحريم ضرب الوالدين .

(٥) أى أن ثبوت التحريم فى هـــذا المفهوم ، أولى من ثبوته فى المنطوق ، لأشدية الضرب من التأفيف فى الإيذاء . ويسمى مثل هذا المفهوم عندهم فحوى الخطاب ، فهو ما كان الحكم فيه أولى منه فى المنطوق ، وأما إذا كان مساوياً له فيسمى لحن الخطاب أى معناه ، كدلالة قوله تعالى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » على تحريم الإحراق لأنه مساو للأكل فى الإتلاف .

وَمِثْلُ ذَا شَرْطٌ وَغَايَةٌ عَدَدْ   وَنَبَأُ الْفَاسِقِ لِلْوَصْفِ وَرَدْ
وَالشَّرْطُ إِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلِ   وَغَايَةٌ جَاءَتْ بِنَفْيِ حِلّْ

حكمه المنطوق[١] ، وذلك (فى) مفهوم (الوصف[٢] ، ومثل ذا) أى مثل مفهوم الوصف مفهوم (شرط) ، (و)مفهوم (غاية) ، ومفهوم (عدد ، ونبأ الفاسق) فى قوله تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » فيجب التبين فى خبر الفاسق . ومفهومه لايجب فى خبر غيره[٣] ، (لـ) مفهوم (الوصف) وجملة قوله (ورد) أى جاء مثالا له ، خبر لقوله أولاً ونبأ الفاسق (و) مفهوم (الشرط) نحو قوله تعالى : « و (إن كن[٤] أولات حمل) فأنفقوا عليهن » ، فيجب الإنفاق على أولات الحمل ، مفهومه أنه لايجب[٥] على غيرهن (و) مفهوم (غاية

ولا استثناء ، ولا يريدون بها النعت النحوى فقط . وبمفهوم الصفة ، قال الجمهور وخالف فى ذلك الإمام أبو حنيفة وبعض أهل العلم فقالوا لايؤخذ به ولا يعمل (قوله ثم اختلفوا الخ) أما مفهوم الموافقة فاتفقوا على بحيثه ، وإن اختلفوا فى طريق الدلالة عليه هل هو لفظى أو قياسى . وأما مفهوم المخالفة فهذا الذى وقع الاختلاف فيه . والأصح أنه حجة بشروطه المعتبرة عندهم ، وهى أن لايكون خرج مخرج الغالب كقوله تعالى: وربائبكم اللاتى فى حجوركم ، وأن لا يكون للامتنان نحو لحماً طرياً لإباحة ماليس بطرى كذلك ، وأن لايعارضه معارض أقوى وإلا قدم اتفاقاً ، كخبر إنما الربا فى النسيئة فإنه معارض بالإجماع ، وأن لايكون قصد به التفخيم كآية « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » لأن المعتكف ممنوع من المباشرة مطلقاً ، وأن لا يكون المنطوق خرج جواباً عن سؤال عن المذكور أو لبيان حكم حادثة تتعلق به أو لجهل بحكمه دون حكم المسكوت أو عكسه نحو « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » فلا مفهوم لقوله أضعافاً لكونه جواباً عن سؤال خاص والربا محرم مطلقاً ، وألا يكون موافقاً للواقع ، ومن ثم لا مفهوم لقوله تعالى : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به » والله أعلم .

---

(١) أى الحكم المنطوق به .
(٢) المراد بالوصف هنا لفظ مقيد لآخر ، ليس بشرط ولاغاية ولا استثناء ولاعدد ، لا النعت فقط .
(٣) فيجب قبول خبر الواحد العدل .
(٤) أى وإن كانت المطلقات الرجعيات والبائنات ، وأما الحوامل المتوفى عنهن ، فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث .
(٥) أى لا يجب الإنفاق على غير أولات الحمل .

لِزَوْجِهاَ قَبْلَ نِـكاحِ غَيْرِهِ   وَكَالثَّمَانِينَ لِعَدٍّ أَجْــرِهِ

جاءت بنفى حِل لزوجها) أى المطلقة بالثلاث (قبل نكاح غيره) أى لها ، وذلك فى قوله تعالى : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، فينتهى عدم حل نكاحها لزوجها الأول ، إلى نكاح غيره لها ، أى : فإذا نكحته تحل للأول ، بشروطه المقررة[١] فى كتب الفقه ، (و ك) مفهوم (الثمانين لعدٍّ) أى لمفهوم عدد (أجره) : صيغة أمر من الإجراء ، وذلك فى قوله تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » أى لا أقل[٢] ولا أكثر[٣] . وماذكره الناظم بعض أنواع مفهومى الموافقة والمخالفة ، ولـكل منهما تفاصيل مذكورة فى كتب الأصول . ثم اختلفوا فى الاحتجاج بمفهوم المخالفة على أقوال كثيرة ، والأصح منها أنه يحتج به[٤] ، بشروطه المعتبرة[٥] عندهم . والله أعلم .

---

(١) وهى خمسة : انقضاء عدتها من المطلق ، وتزويجها بغيره ، ودخول الغير بها ، وبينونتها منه ، وانقضاء عدتها منه .

(٢) أى لا يجوز الاكتفاء بأقل ، وإلا فالأقل مطلوب فى حد ذاته ، إذ الواحدة والثنتان من الضرب إلى الثمانين ، مطلوبة فى حد ذاتها .

(٣) أى لا يجوز الجلد بأكثر منها ، والا فالمقام مقام زجر ، وهو يوهم الـكثرة ، ويقتضيها .

(٤) أى بجميع أنواع مفهوم المخالفة الا اللقب ، فأصحية الاحتجاج إنما هو فى الجملة فتدبر . وأما مفهوم اللقب فليس بحجة عند الجمهور . نعم قد احتج به الدقاق والصيمرى من الشافعية ، وابن خويزمنداد من المالـكية وبعض الحنابلة .

(٥) أى بشروط الاحتجاج به ، منها أن لايكون المذكور خرج للغالب ، ومن ثم لم يعتبر الأكثرون مفهوم قوله تعالى : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم » فإن الغالب كون الربائب فى حجور الأزواج ، أى تربيتهم . ومنها أن لا يكون موافقاً للواقع ، ومن ثم لا مفهوم لقوله تعالى: « لايتخذ المؤمنون الـكافرين أولياء من دون المؤمنين » فإنها نزلت كما قال الواحدى وغيره فى قوم من المؤمنين والوا اليهود ، أى دون المؤمنين .

النوع التاسع والعاشر: المطلق والمقيد

وَحَمْلُ مُطْلَقٍ عَلَى الضِّدِّ إِذَا أَمْكَنَ وَالْحُكْمُ لَهُ قَدْ أُخِذَا

النوع التاسع والعاشر: المطلق والمقيد

المطلق: هو اللفظ الدال على الماهية(١) بلا قيد(٢). وهو المسمى عند النحاة باسم الجنس(٣)، وذلك كإنسان. وأسد وذئب، والمقيد ضده، وهو مادل على جزئى من الجزئيات، أو فرد من الأفراد، كزيد و بكر. وذكر الناظم حكمهما إذا تعارضا، فقال: (وحمل مطلق على الضد) أى المقيد (إذا أمكن) ذلك الحمل، بأن اتحد الحكم(٤) والسبب(٥) أو أحدهما، ولم يكن ثم مقيدٌ فى محلين متنافيين، أو كان ثم مقيد كذلك(٦) ولكن المطلق أولى(٧) بالتقييد بأحدهما من الآخر، (و) حينئذ (الحكم له) أى المقيد

النوع التاسع والعاشر: المطلق والمقيد

(قوله على الماهية) الماهية هى حقيقة الشىء الذهنية، وسميت ماهية لأنها تقع جواباً لقول السائل ماهى حقيقة هذا الشىء مثلا. وحاصل الفرق بين المطلق والعام هو أن المطلق موضوع للماهية فقط بقطع النظر عن أفرادها، فعمومه بدلى كأسد. والعام موضوع الماهية المتحققة فى جميع الأفراد، فعمومه شمولى كمن. والكلى هو العام معنى، إلا أن الاستعمال العرفى إطلاق العام على اللفظ فيقال لفظ عام، والكلى على المعنى فيقال معنى كلى، والخاص هو الجزئى

(١) الماهية: هى الحقيقة الذهنية للشىء، أو حقيقة الشىء الذهنية.

(٢) حال من الماهية، على حذف مضاف، أى بلا اعتبار قيد فى الواقع، من وحدة وكثرة، فالنفى اعتباره لاوجوده فى الواقع، إذ لابد منه لامتناع تحقيق الماهية بدونه.

(٣) إذ اسم الجنس عندهم ماوضع للماهية، بلا قيد أصلا، من حضور أو غيره، بخلاف علم الجنس فإنه وضع للماهية باعتبار حضورها، أى تشخصها فى الذهن. وبخلاف النكرة، فإنها وضعت للماهية باعتبار وجودها فى فرد ما، وهذا هو معنى قولهم: النكرة مادل على شائع فى جنسه. ومن هنا يعلم أن اللفظ فى المطلق واسم الجنس والنكرة واحد، وأن الفرق باعتبار الواضع، وكل من أسد وذئب إن اعتبر دلالته على الماهية بلا قيد، سمى مطلقاً واسم جنس عند النحاة، أو بقيد الوحدة الشائعة سمى نكرة.

(٤) المراد بالحكم هنا: المحكوم به.

(٥) أى وسبب الحكم.

(٦) أى فى محلين متنافيين.

(٧) بأن وجد جامع بين المطلق وبين مقيد بأحد القيدين المتنافيين، دون المقيد الآخر.

(قد أُخذا) بألف الإطلاق ، مبنياً للمجهول ، أى فلا يبقى المطلق على إطلاقه ، بل الحكم للمقيد . مثال ما إذا اتحد الحكم والسبب ، أن يقال فى كفارة اليمين مثلا ، فى محل أعتق رقبة ، وفى محل آخر أعتق رقبة مؤمنة ، فيحمل الأول المطلق ، على الثانى المقيد . ومثال ما إذا اتحد الحكم دون السبب ، قوله تعالى فى كفارة الظهار : « فتحرير رقبة » ، وفى كفارة القتل : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، وحكمهما(١) واحد ، وهو وجوب الكفارة ، والسبب مختلف ، وهو القتل والظهار : فيحمل الأول أيضا على الثانى قياساً(٢) ، بجامع حرمة سببهما ، من الظهار والقتل . وإلى هذا أشار الناظم بقوله (كـ) كفارة (القتل و) كفارة

معنى وغيره استعمالا ، فالخاص لفظ والجزئى معنى ؛ وبهذا ظهر الفرق بين المطلق والعام والخاص والمقيد والكلى والجزئى فتدبر (قوله إذا تعارضا) توضيح المقام أن الخطاب إن ورد مطلقاً لامقيد له أصلا حمل على إطلاقه ، وإن ورد مقيداً حمل على تقييده ، وإن ورد مطلقاً فى موضع ومقيداً فى موضع آخر فذلك ثلاثة أقسام ﴿الأول﴾ ما لا يحمل فيه المطلق على المقيد اتفاقاً ﴿ والثانى ﴾ ما يحمل فيه المطلق على المقيد اتفاقاً ﴿والثالث﴾ ما وقع فيه خلاف وتحته صورتان ، فالأول هو ما اختلف فيه سبب المطلق والمقيد وحكمهما كتقييد الشاهد بالعدالة وإطلاق الرقبة فى الكفارة ، فلا يحمل فيه المطلق على المقيد اتفاقاً ، والثانى هو ما اتحد فيه حكمهما وسببهما كأن يقال فى الظهار أعتق رقبة أعتق رقبة مؤمنة ، فيحمل المطلق على المقيد اتفاقاً ، والثالث ما إذا اتحد حكمهما واختلف سببهما ، أو اختلف حكمهما واتحد سببهما فهذا فيه خلاف . وقد أشار المصنف لذلك بقوله : وحمل مطلق الخ .

(قوله كفارة الظهار الخ) اعلم أن الكفارات سبع : كفارة القتل ، وكفارة الظهار ، وكفارة التمتع ، وهذه يجب فيها الترتيب ، وكفارة الصوم ، وكفارة الصيد ، وكفارة الفدية ، وهذه على التخيير ، وكفارة اليمين فيها التخيير أولا ثم الترتيب ثانيا . وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

ظهاراً وقتلا رتبوا وتمتعا — كما خيروا فى الصوم والصيد والأذى
وفى حالف بالله خير ورتبن — فدونك نظما إن حفظت فحبذا

---

(١) أى حكم الظهار والقتل .

(٢) هـذا قول إمامنا الشافعى . وقال أبو حنيفة : لا يحمل الأول على الثانى ، لاختلاف سببهما ، فيبقى المطلق على إطلاقه . وقيل : يحمل الأول على الثانى لفظاً ، أى بمجرد ورود اللفظ المقيد ، من غير حاجة إلى جامع .

كَالْقَتْلِ وَالظِّهَارِ حَيْثُ قَيَّدَتْ أُولاَهُمَا مُؤْمِنَةٌ إِذْ وَرَدَتْ

(الظهار حيث قيدت) بالبناء للفاعل (أولاهما) وهى كفارة القتل (مؤمنةٌ) بالرفع على الفاعلية لقيدت (إذ وردت) أى مؤمنة ، وذلك فى قوله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة » . . . الآية . ومثال ما إذا اتحد السبب دون الحكم ، قوله تعالى فى التيمم : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » ، وفى الوضوء : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » ، وسببهما واحد ، وهو الحدث مع القيام إلى الصلاة ، وحكمهما مختلف ، وهو المسح[١] والغسل ، فيحمل أيضاً الأول على الثانى قياساً[٢] ، بجامع موجب الطهر فى كل ، ويقيد المسح فى التيمم بكونه إلى المرافق . ومثال ما إذا كان ثم مقيد بمتنافيين ، وأحدهما أولى[٣] ، قوله تعالى فى كفارة اليمين : « فصيام ثلاثة أيام » أى مطلقاً عن التتابع وعن التفريق ، وفى كفارة الظهار : « فصيام شهرين متتابعين » ، مقيداً بالتتابع ، وفى صيام التمتع : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة إذا رجعتم » مقيداً بالتفريق ، فحمل الأول وهو صوم كفارة اليمين ، على الثانى وهو كفارة الظهار قياساً ، بجامع[٤] النهى عن اليمين والظهار ، وحمله عليه فى التتابع ، أولى من حمله على صوم التمتع فى التفريق ، لاتحادهما[٥] فى الجامع ، ثم التمثيل بهذا إنما هو على القول القديم[٦] لإمامنا الشافعى رحمه الله تعالى ،

(قوله بجامع موجب) خلافاً للمالكية فى ذلك ، فإنهم نظروا إلى اختلاف السبب هنا مع ضعف التيمم لكونه عبادة ترابية نائبة والنائب لايسمو سمو الأصل ، فجعلوا فرض التيمم فى المسح إلى الكوع فقط . والله أعلم .

---

(١) أى مسح المطلق وغسل المقيد بالمرافق .
(٢) وقيل يحمل لفظاً ، وقيل لا يحمل ، فيكتفى فى التيمم بالمسح إلى الكوعين .
(٣) أى وكان المطلق أولى بالتقييد بأحدهما من التقييد بالآخر .
(٤) أى وأن كلا كفارة . قال الإمام حمل الكفارة على الكفارة أولى .
(٥) ويؤيده قراءة ابن مسعود ثلاثة أيام متتابعات ، والقراءة الشاذة كخبر الواحد فى وجوب العمل .
(٦) وأما القول الجديد ، وهو الأظهر ، فإنه لا يجب تتابعها ، لإطلاق الآية .

وَحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ كالْقَضاَءِ فى شَهْرِ الصِّيَامِ حُكْمَهُ لاَ تَقْتَفِى

النوع الحادى عشر والثانى عشر : الناسخ والمنسوخ

كَمْ صَنَّفُوا فى ذَيْنِ مِنْ أَسْفَارِ وَاشْتَهَرَتْ فى الضَّخْمِ وَالْإِكْثَارِ

(وحيث لايمكن) أى حمل المطلق على المقيد ، بأن كان ثم مقيد فى محلين بمتنافيين ، ولم يكن المطلق أولى بالتقييد بأحدهما ، وذلك (كالقضاء فى شهر الصيام) فى قوله تعالى : « فعدة من أيام أخر » ، أى مطلقاً عن التتابع ، وعن التفريق . وقوله تعالى فى كفارة الظهار : « فصيام شهرين متتابعين » مقيداً بالتتابع ، وقوله تعالى فى صوم التمتع : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم » مقيداً بالتفريق ، فيبقى المطلق على إطلاقه ، لامتناع تقييده بهما ، لتنافيهما[1] ، وبواحد منهما ، لانتفاء مرجحه على الآخر ، فحينئذ لايجب[2] فى قضاء رمضان تتابع ولاتفريق ، وهو[3] معنى قول الناظم (حكمه) أى حكم الحمل المذكور ، وهو[4] بالنصب مفعول مقدم لقوله (لاتقتفى) أى لاتتبع . والله أعلم .

النوع الحادى عشر والثانى عشر : الناسخ والمنسوخ

النسخ لغة : الإزالة[5] أو النقل[6] ، من نسخت[7] الشمس الظل ، أو من نسخت[8]

النوع الحادى عشر والثانى عشر : الناسخ والمنسوخ

(قوله لغة الإزالة) اعلم أن النسخ فى اللغة يطلق بإطلاقين . يطلق تارة ويراد منه الإبطال والإزالة ، ومنه نسخت الشمس الظل أزالته ونسخت الريح آثاره : أعدمتها ، وقال تعالى « إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان » أى يزيله ويبطله ، ويقال تارة ويراد

---

(١) أى لتنافى القيدين . (٢) إلا أنه يستحب فيه أن يقضيه متتابعاً ، كما فى مغنى المحتاج .
(٣) أى بقاء المطلق على إطلاقه . (٤) أى قوله حكمه .
(٥) أى إزالة الشىء وإعدامه (٦) أى نقل الشىء وتحويله مع بقائه فى نفسه .
(٧) ومنه قوله تعالى : « وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله مايلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته » .
(٨) أى نقلت مافيه حاكياً للفظه وخطه ، ومنه قوله تعالى : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » ، والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف ، ومن الصحف إلى غيرها .

مافى الـكتاب . واصطلاحاً : رفع[١] الحـكم الثابت بالخطاب المتقـدم ، على وجه[٢] لولاه[٣] لثبت مع تراخيه عنه ، وهما[٤] فى القرآن كثير[٥] . (كم) أى عدداً كثيراً (صنفوا) أى العلمـاء (فى ذين) أى الناسخ والمنسوخ (من أسفار) أى من كتب (واشتهرت) تلك الأسفار (فى الضخم) أى الحجم (والإكثار) أى الـكثرة . قال فى

منه النقل والتحويل ومنه نسخت الـكتاب أى نقلته من كتاب آخر ، ومنه تناسخ الأرواح وتناسخ القرون قرناً بعد قرن وتناسخ المواريث ، ومنه قوله تعالى « هذا كتابنا ينطق عليـكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » وفى صحيح مسلم : لم تـكن نبوة قط إلا تناسخت . فأنت ترى أنه قد ورد النسخ بالمعنيين جميعاً ، فقال الجمهو ر إنه حقيقة فى الأول مجاز فى الثانى . وقال القفال بالعكس وزعم قوم الاشتراك ، قال العضد فى شرحه لابن الحاجب ولا يتعلق بهذا النزاع غرض علمى . ولله در الإمام القصبى حيث قال مشيراً إلى الفرق بين الفىء والظل :

قل للذى تاه مذ غرته غرته ... بطلعـة أرج الأرجا تضمخهـا
شمس المحيا لظل الجسم إن نسخت ... فسوف يأتيك فىء الشعر ينسخهـا

والفىء ما نسخ الشمس ، من الفىء وهو الرجوع لأنه فاء أى رجع عند زوال الشمس من جانب إلى جانب (قوله رفع الحـكم الخ) خرج بالرفع الشرعى رفع البراءة الأصلية المأخوذة من العقل فإنه لا يسمى نسخاً ، وخرج بقيد الرفع بخطاب شرعى ، الرفع بالموت والجنون والغفلة .فلا يسمى شىء من ذلك نسخاً اصطلاحاً ، وخرج بقيد التراخى ، المقترن كالشرط والصفة فلا يسمى ذلك نسخاً بل تخصيصاً ، وخرج بقوله على وجه لولاه الخ ما لو كان الخطاب مغياً بغاية ، فإن الخطاب الوارد بعده بيان للغاية لا نسخ ، نحو : « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً » مع قوله : « فإذا حللتم فاصطادوا » فإنه مبين غاية التحريم ولم ينسخ شيئاً ، ورفع الحـكم بالموت والجنون بالعقل وجاء الشرع مؤيداً له ، والأرجح أن الرفع بالموت ونحوه بدليل شرعى ، ولـكن لعدم قابلية الميت والغافل والمجنون للتكليف ، والنسخ رفع الحـكم لحـكمة التسهيل مع بقاء المـكلف قابلا للتكليف (قوله أى عدداً) أشار

---

(١) معنى رفع الحـكم : قطع تعلقه بأفعال المـكلفين ، لا رفعه هو ، فإنه أمر واقع ، والواقع لا يرتفع ، فقوله رفع : جنس خرج عنه ماليس برفع كالتخصيص ، فإنه لا يرفع الحـكم ، وإنما يقصره على بعض أفراده ، وقوله الحـكم والمراد به الحـكم الشرعى : قيد أول خرج به ابتداء إيجاب العبادات فى الشرع ، فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة : كإيجاب الصلاة ، فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها ، قبل ورود الشرع بها .

(٢) قيد ثان ، المراد به أن الرفع بدليل شرعى ، خرج به رفع حكم شرعى بدليل عقلى ، كسقوط التـكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته ، فإن سقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل على العقل . (٣) أى لولا الرفع . (٤) أى الناسخ والمنسوخ . (٥) المناسب : كثيران ، بالتثنية .

وَنَاسِخٌ مِنْ بَعْدِ مَنْسُوخٍ أَتَى ... تَرْتِيبُهُ إِلاَّ الَّذِى قَدْ ثَبَتَا

مِنْ آيَةِ الْعِدَّةِ لاَ يَحِلُّ ... لَكَ النِّسَاءَ صَحَّ فِيهِ النَّقْلُ

الإتقان : أفرده بالتصنيف خلائق[1] لايحصون ، ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ . (وناسخ) من الآيات (من بعد منسوخ) منها (أتى ترتيبه) فى القرآن العزيز (إلا الذى قد ثبتا[2]) بألف الإطلاق (من آية العدة) : بيان للذى ، وهى قوله تعالى : «والذين[3] يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم ، متاعاً[4] إلى الحول غيرَ إخراج » . . . الآية ، نسختها الآية التى قبلها ، وهى: «والذين[5] يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » . . . الآية[6] ، كلتاهما فى البقرة . ومن قوله تعالى (لايحل لك النساء) . . . الآية ، وهى فى سورة الأحزاب ، نسختها آية قبلها فى سورة المجادلة ، وهى « إنا أحللنا لك أزواجك » . . . الآية (صح فيه النقل) : تكملة . ﴿ فائدة ﴾ قال فى الإتقان عن ابن العربى : كل ما فى

بهذا إلى أن كم خبرية منصوبة لا استفهامية (قوله لا يحصون) منهم أبو القاسم بن سلام وأبو داود السجستانى وأبو جعفر النحاس وابن الأنبارى ومكى وابن العربى وآخرون (قوله صح فيه النقل) جعله الشارح تكملة ، والأولى أن يكون احترازاً عما اختلف فيه وهى آية الحشر فى الفىء على رأى من قال إنها منسوخة بآية الأنفال ، وهى : واعلموا أنما غنمتم من شىء وكذا آية خذ العفو يعنى الفضل من أموالهم على رأى من قال إنها منسوخة بآية الزكاة (قوله عن ابن العربى) نقل المحقق الدراكة الشيخ نجا الأبيارى فى كتابه سعود المطالع عن مكى أنه قال ذكر جماعة أن ماورد من الخطاب مشعراً بالتوقيت والغاية كقوله : «فاعفوا واصفحوا

---

(١) منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو داود السجستانى ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنبارى ومكى ، وابن العربى وآخرون . (٢) أى فى آيتين فقط ، وزاد بعضهم ثالثة ، وهى آية الحشر فى الفىء ، على رأى من قال إنها منسوخة بآية الأنفال «واعلموا أنما غنمتم من شىء » ، وزاد قوم رابعة ، وهى قوله «خذ العفو» ، أى الفضل من أموالهم ، على رأى من قال إنها منسوخة بآية الزكاة .

(٣) أى وزوجات الذين يتوفون ، فهو على حذف مضاف .

(٤) أى يوصى لها بنفقة سنة ، وبسكنى مدة حول ، مالم تخرج ، فإن خرجت فلا شىء لها .

(٥) فهذه الآية الثانية متقدمة فى التلاوة ، ولـكنها متأخرة فى النزول عن الأولى كما قال أهل التفسير .

(٦) وهى مفيدة وجوب انتظارها أربعة أشهر وعشرا ، ولازم هذا أنه لا يجوز لها أن تخرج فى هذه المدة ، أو تتزوج .

القرآن من الأمر بالصفح عن الكفار والتولى والإعراض والكف عنهم ، منسوخ بآية السيف ، وهى قوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين » . . الآية ، فإنها

حتى يأتى الله بأمره، محكم غيرمنسوخ لأنه مؤجل بأجل . والمؤجل لا نسخ فيه ، وبذلك يرد على ابن العربى قوله كل مافى القرآن منالصفح وسرد عبارته إلى آخرها ، ثم قال : إن الأمر بالصبر والصفح كان لسبب قلة المسلمين وضعفهم ، ثم زال بزوال تلك العلة ، فهو من المنسأ لا المنسوخ . وقسم هو من المخصوص لامن قسم المنسوخ كقوله تعالى « إنالانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا » ونحو ذلك من الآيات التى خصت باستثناء أو غاية ، ومنه « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » قيل نسخ بقوله « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » وإنما هو مخصوص به . وقسم رفع ماكان عليه الأمر فى الجاهلية أو شرائع من قبلنا أو أول الإسلام كإبطال نكاح نساء الآباء وحصر الطلاق فى الثلاث ، فلا يعد من المنسوخ إلا أن تكون آية نسخت آية . وقسم هو من الإخبار ومنه الوعد والوعيد ، ولا يقع النسخ إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر . أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، فما فعله كثير من إدخال كثير من آيات الأخبار فى كتب النسخ ففاسد اه . واعلم أن النسخ جائز عقلا بإجماع أهل الشرائع طراً ولم يخالف فى ذلك إلا اليهود ، ثم هو واقع بإجماع المسلمين لم يخالف فيه إلا أبو مسلم الأصفهانى . أما الجواز فأمر مفروغ منه لأنا نقطع به لأنه لو وقع لم يترتب على فرض وقوعه محال ولا معنى للجواز إلا هذا ، ذلك بفرض إن لم نعتبر المصالح فى التشريع . أما لو راعينا التشريع قائماً على أساس المصالح فالمصالح تختلف باختلاف الأوقات ، فما يكون صالحاً فى وقت قد لايكون صالحاً فى كل الأوقات كشرب دواء فى وقت دون وقت ، فلا بعد فى أن تكون المصلحة فى وقت تقتضى شرع حكم ثم رفعه بعد ذلك الوقت والأمثلة فى ذلك كثيرة ومشاهدة . وأما الوقوع فقد حصل النسخ فى الشرائع السابقة وفى نفس شريعة اليهود ، فإنه جاء فى التوراة أن آدم عليه السلام أمر بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك باتفاق . وأما الرد على الأصفهانى فقد أجمعت الأمة أن شريعتنا ناسخة لما يخالفها من الأحكام التى كانت فى الشرائع السابقة ، وقد وقع النسخ فى نفس شريعتنا فقد كانت القبلة فى الصلاة أولا إلى بيت المقدس ثم تحولت إلى الكعبة . وكانت الوصية للوالدين والأقربين واجبة وقد نسخت بآيات المواريث وبالحديث : لاوصية لوارث . وعدة المتوفى عنها زوجها كانت متاعاً إلى الحول غير إخراج ثم نسخت بآية « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » وإذا ثبت أن النسخ جائز وواقع فلنرجع إلى مانحن بصدده من أقسام النسخ (قوله

وَالنَّسْخُ لِلْحُكْمِ أَوِ التِّلَاوَةِ　　أَوْ لَهُمَا كَآيَةِ الرَّضَاعَةِ

نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية . ثم شرع الناظم فى بيان أقسام[1] النسخ ، فقال : (والنسخ للحكم) أى[2] دون التلاوة ، كآية العدة[3] المتقدمة .

والحكمة فى رفع الحكم ، و بقاء التلاوة ، كما فى الإتقان ، من وجهين :

أحدهما : أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم والعمل به ، كذلك يتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه ، فأبقيت التلاوة لهذه الحكمة .

والنسخ للحكم) وهذا هو الذى فيه الكتب المؤلفة . قال السيوطى : وهو على الحقيقة قليل جداً وإن أكثر الناس من تعديد الآيات فيه ، فإن الذى أورده المكثرون أقسام : قسم ليس من النسخ ولا من التخصيص : أى قصر الحكم على بعض الأفراد وذلك كقوله تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون » وأنفقوا مما رزقناكم ونحو ذلك . قالوا إنه منسوخ بآية الزكاة وليس كذلك بل هو باق ، أما الأولى فإنها خبر فى معرض الثناء عليهم بالإنفاق وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإنفاق على الأهل وفى الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة ، وليس فى الآية ما يدل على أنها نفقة واجبة غير الزكاة ، والآية الثانية يصلح حملها على الزكاة وقد فسرت بذلك ، وكذا قوله : « أليس الله بأحكم الحاكمين » قيل إنها مما نسخ بآية السيف ، وليس كذلك لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبداً ، وإن كان معنى الكلام الأمر بالتفويض وترك المعاقبة ونحو ذلك من الآيات الواردة فى الصفح والعفو والصبر عن قتال الكفار مما ذكروا أنه منسوخ بآية السيف ، بل هذا من المنسأ الذى ذكره الله تعالى بقوله ما ننسخ من آية أو ننسأها أى نؤخر حكمها إلى وقت معلوم ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما فعله يقتضى ذلك الحكم ثم تنتقل تلك العلة

---

(١) تقدم أن النسخ رفع الحكم ، فلا يتوجه إلا إلى الحكم . وعليه فتقسيمهم النسخ إلى نسخ تلاوة ونسخ حكم تقسيم صورى للايضاح فحسب ، لأن ما أسموه نسخ تلاوة لم يخرج عن كونه نسخ حكم ، إذ أن نسخ تلاوة الآية لا معنى له فى الحقيقة ، إلا نسخ حكم من أحكامها ، وهو رفع الإثابة على مجرد ترتيلها وصحة الصلاة بها ونحوها .

(٢) هذا القسم الأول أعنى نسخ الحكم دون التلاوة ، قد أجمع القائلون بالنسخ من المسلمين على وقوعه ويدل عليه آيات كثيرة . قال السيوطى : وهو الذى فيه الكتب المؤلفة ، وهو على الحقيقة قليل جداً ، وإن أكثر الناس من تعديد الآيات فيه ، فإن المحققين منهم ، كالقاضى أبى بكر بن العربى بين ذلك وأتقنه ، ثم قال السيوطى وقد أفردته بأدلته فى تأليف لطيف . وأورده محرراً فى الإتقان وهى عشرون آية فقط .

(٣) أى الآية التى فيها أن النفقة والسكنى مدة حول مالم تخرج ، فإن حكمها منسوخ بحكم الآية الثانية التى فيها أن العدة أربعة أشهر وعشر ، مع أن تلاوة كلتيهما باقية .

والثانى : أن النسخ غالباً يكون للتخفيف ، فأبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ، ورفعاً للمشقة . (أو التلاوة) عطفاً على الحكم[١] ، كآية الرجم . وهى[٢] : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » ، كانت فى سورة[٣] الأحزاب ، فنسخت . رواه الحاكم وغيره عن عمر رضى الله عنه .

﴿ فائدة ﴾ ذكر فى نشر البنود عن القاضى عياض : أن هذه الألفاظ معنى ما كان يتلى لا أنها بعينها كانت تتلى ، لأن[٤] فصاحة القرآن تأبى ذلك[٥] (أو لها) أى للحكم

إلى حكم آخر . اه ابيارى (قوله أو التلاوة) وحكمته ظهور مقدار طاعة هذه الأمة فى المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شىء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام وهو أدنى طريق الوحى . ومن هذا الضرب ما روى عن زر ابن حبيش قال قال لى أبى بن كعب : كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلت : اثنين وسبعين آية أو ثلاثاً وسبعين آية . قال : إن كانت لتعدل سورة البقرة وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم ؟ قال : إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم . وفى نسخ تلاوتها من الإشارة إلى الستر ما لا يستتر . وعن أبى موسى الأشعرى قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها : إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب . وعن عمر رضى الله عنه قال: كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم . وفى المستدرك عن حذيفة قال :

---

(١) يعنى أن النسخ هنا للتلاوة فقط مع بقاء الحكم ، وذلك كما فى آية الرجم الآتية .

(٢) أى : كما فى حديث الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال : كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف ، فمرا على هذه الآية ، فقال زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، فقال عمر : لما نزلت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم، فقلت : أكتبها ؟ فكأنه كره ذلك . فقال ياعمر: ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد، وأن الشاب اذا زنى وقد أحصن رجم ؟ . قال ابن حجر فى شرح المنهاج : فيستفاد من هذا الحديث السبب فى نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها .

(٣) وروى فى الإتقان عن زر بن حبيش قال : قال لى أبى بن كعب كأى تعد سورة الأحزاب ؟ قلت اثنين وسبعين آية أو ثلاثا وسبعين آية . قال : إن كانت لتعدل سورة البقرة ، وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم ؟ قال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم .

(٤) أى : أسلوبه البالغ حد الإعجاز .

(٥) أى تأبى أن تكون هذه الألفاظ بعينها هى التى أنزلت على النبى صلى الله عليه وسلم .

والتلاوة معاً ، وذلك (كآية الرضاعة) ، وهى ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها : « كان فيما أنزل[١] : عشر رضعات معلومات يحرمن[٢] ، فنسخن[٣] بخمس رضعات معلومات يحرمن » ، فتوفى رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن ، أى[٤] يقرؤهن من لم يبلغه نسخهن ، دون من بلغه نسخهن . ولكن الآن الآيتان كلتاهما منسوختان ؛ فالأولى تلاوة وحكماً ، وهو محل الشاهد ، والثانية تلاوة فقط ، فإنها محكمة عندنا[٥] معاشر الشافعية ، إذ لا يثبت الرضاع عندنا إلا بخمس رضعات عرفاً . والله أعلم .

ماتقرؤون ربعها يعنى براءة . واستشكل هذا الضرب بأنه كيف يقع النسخ إلى غير بدل وقد قال تعالى : نأت بخير منها أو مثلها ، وهذا إخبار لايدخله خلف . وأجيب بأن كل ماثبت الآن فى القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته ، فكل ما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد أبدله مما علمناه وتواتر إلينا لفظه ومعناه . واعلم أن النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم : منها التيسير وهل ينسخ القرآن بالسنة ؟ خلاف والشافعى رحمه الله تعالى على أنه إن وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها أو نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ، ليتبين توافق القرآن والسنة ﴿تنبيه﴾ سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ على مانقل عن بعضهم أربعة أقسام : قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلاث واربعون سورة : الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار ، وثلاث بعدها والفجر ومابعدها إلى آخر القرآن ، إلا التين والعصر والكافرون . وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون البقرة وثلاث بعدها والأنفال والتوبة وإبراهيم ومريم والأنبياء والحج والنور وتالياها والأحزاب وسبأ والمؤمن وشورى والذاريات والطور والواقعة

---

(١) أى : من القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) أى يحرمن ماتحرم الولادة ، فيحرمن النكاح ابتداء ودواما . وتنتشر الحرمة من المرضعة وصاحب اللبن الى أصولهما وفروعهما من النسب والرضاع ولإخوتهما وأخواتهما كذلك . وتنتشر الحرمة من الرضيع الى أولاده فقط .

(٣) أى العشر رضعات ، حكماً وتلاوة

(٤) يعنى أن التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوفى وبعض الناس يقرأها . وقال مكى : هذا المثال فيه المنسوخ غير متلو والناسخ أيضاً غير متلو ولا أعلم له نظيراً .

(٥) يعنى أن التحريم عند الشافعية لايثبت إلا بخمس رضعات ، خلافاً لمالك وأبى حنيفة والمشهور من مذهب أحمد ، فإنه يثبت عندهم برضعة واحدة .

والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر . وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى . وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون الباقية . وهذا بناء على عد المنسأ والمخصوص من المنسوخ وقد عرفت مافيه ﴿فائدة﴾ ذكر السيوطى منسوخ الحكم دون التلاوة فى كتابه الإتقان وحرر ذلك تحريراً بديعاً يعلم بالوقوف عليه ، وقد نظم ذلك العلامة نجا الدين الابيارى ذاكراً كل منسوخ وناسخه فقال :

الحمد لله ربى والصلاة مع الـ ... سلام للمصطفى والمقتفى الأثرا
وهاك نظماً لمنسوخ وناسخه ... من القران يفوق الدر منتثرا
منسوخ آياته عشرون حررها الـ ... شيخ السيوطى لما أمعن النظرا
آى الوصية للقربى ومطلقها ... بالإرث أو بحديث صح مشتهرا
تشبيه آية صوم جا أحل لكم ... من بعده ناسخاً للذ به حظرا
شهر حرام قتال فيه ينسخه ... وقاتلوا المشركين الآية اعتبرا
كذا التوجه حيث المرء كان بما ... فى ول وجهك شطر البيت مقتصرا
وحق تقواه منسوخ بآية ما اسـ ... تطعتم فيه قد صححوا الخبرا
متاع حول بما فى آى أربعة ... من الشهور له نسخ كما اشتهرا
وصح نسخ ولا تخفوا يحاسبكم ... بلا يكلف ختم السورة استطرا
والذى عقدت منسوخة بأولو الـ ... أرحام ثم بآى النور قد دسرا
واللات يأتين فحشاً قوله أو اعـ ... رض عنهمو بوأن احكم كما أثرا
أو آخران غدت منسوخة بذوى ... عدل وعشرون منكم من اصطبرا
مابعدها ناسخ والنفر فى وثقا ... لا نسخه لاح من آيات من عذرا
لا ينكح الزان إلا من زنت بوأنـ ... كحوا الأيامى إذا ناجيتم خفرا
بآية بعده ولا تحل لك النسا ... بإنا حللنا منك من أجرا
ودفع مهر نساء جئن قد ذهبت ... أزواجهن بما فى الغنم قد ذكرا
وصدر مزمل نسخ بآخرها ... وانسخه بالصلوات الخمس معتبرا
وماعدا ذا من المعدود فيه على ... أقوالهم ليس منه عند من بصرا
بل منسأ هو أو مخصوص او خبر ... والنسخ عندهمو لا يدخل الخبرا

النوع الثالث عشر والرابع عشر :
المعمول به مدة معينة ، وما عمل به واحد

كَآيَةِ النَّجْوَى الَّتِي لَمْ يَعْمَلِ ... مِنْهُمْ بِهَا مُذْ نَزَلَتْ إِلاَّ عَلِيْ
وَسَاعَةً قَدْ بَقِيَتْ تَمَامَا ... وَقِيلَ لاَ بَلْ عَشْرَةً أَيَّامَا

النوع الثالث عشر والرابع عشر
المعمول به مدة معينة ، وماعمل به واحد

وذلك (كآية النجوى) وهى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا[١] بين يدَى نجواكم صدقة » . الآية فى سورة المجادلة ، وهى (التى لم يعمل منهم) أى من الصحابة (بها) أى بهذه الآية (مذ نزلت) إلى أن نُسِخت (إلا) سيدنا (على) ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، كما رواه الترمذى[٢] (وساعة[٣]) ظرف لما بعده (قد بقيت) أى تلك الآية بقاء (تماما) أى لازيادة ولانقص (وقيل لا) أى لم تبق ساعة (بل) بقيت إلى أن نسخت[٤] (عشرة أياما[٥]) أى عشرة من الأيام ، والقول الأول[٦] كما فى شرح النقاية هو الظاهر ، إذ ثبت أنه لم يعمل بها غير على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فيبعد أن تكون الصحابة مكثوا تلك المدة[٧] لم يكلموا النبى ﷺ و يناجوه . والله أعلم .

---

(١) هذا الأمر اختلف فيه ، فقيل للوجوب ، وقيل للندب ، أى فتصدقوا قبلها .

(٢) أخرج الترمذى وحسنه وجماعة عن على قال : لما نزلت «ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم» . قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : ماترى فى دينار ؟ قلت : لايطيقونه . قال : نصف دينار ؟ قلت : لايطيقونه . قال : فكم ؟ قلت: شعيرة . قال: فإنك لزهيد . فلما نزلت أأشفقتم ، الآية ، قال صلى الله عليه وسلم : خفف الله عن هذه الأمة . وأخرج الحاكم وصححه وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم عن على قال : إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى ، آية النجوى : « ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول » الخ . كان عندى دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكنت كلما ناجيت النبى صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدى نجواى درهما ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ، فنزلت أأشفقتم . . . الآية . فآية أأشفقتم وإن كانت متصلة بآية النجوى تلاوة ، لكنها غير متصلة بها نزولا . (٣) أى من نهار . وهذا هو قول قتادة .

(٤) أى بقوله تعالى : « أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات » .

(٥) وهذا قول مقاتل . وهناك قول ثالث بأنها نسخت قبل العمل بها وامتثالها ، وهذا غير صحيح ، لما صح آنفاً من حديث الترمذى وجماعة . (٦) أى بقاؤها ساعة من نهار . (٧) أى مدة بقاء حكمها .

العقد السادس

مايرجع إلى المعانى المتعلقة بالألفاظ ، وهى ستة

الأول والثانى : الفصل والوصل

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ وَفِى الْمَعَانِى   بَحْثُهُمَا وَمِنْهُ يُطْلَبَانِ

العقد السادس

مايرجع إلى المعانى المتعلقة بالألفاظ ، وهى ستة أنواع

النوع الأول والثانى : الفصل والوصل

الوصل[1] هو عطف جملة على أخرى ، والفصل ترك[2] ما ذكر ، على تفصيل مبين فى فن المعانى ، وذكر الناظم مثالا لهما فقال : (الفصل والوصل وفى) فن (المعانى بحثهما) بالرفع مبتدأ مؤخر ، أى بحث الفصل والوصل (ومنه) أى من فن المعانى (يطلبان) إذ هناك[3] محلهما (مثال أول) أى الفصل قوله تعالى : (إذا خلوا إلى آخرها) أى الآية ،

العقد السادس

مايرجع إلى المعانى المتعلقة بالألفاظ ، وهى ستة

الأول والثانى : الفصل والوصل

(قوله وهو عطف الخ) سواء كان بالواو أو بغيرها ، وسواء كان بين جملتين أو مفردين ، لكن المصطلح عليه اختصاص الفصل والوصل بالجمل وإنما يكون الوصل بين متناسبين لامتحدين ولا متباينين (قوله مثال أول) وعلة الفصل هو أن الجملة الأولى لها حكم لم يقصد

---

(١) ظاهر تعريف الشارح لهما أنهما لا يجريان فى المفردات ، وليس كذلك ، بل هما كما يجريان فى الجمل يجريان فى المفردات ، فالوصل نحو قوله تعالى : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» وذلك لرفع توهم عدم اجتماعها ، والفصل نحو قوله تعالى : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » وذلك لعدم الجامع بينها .

(٢) أى ترك عطف جملة على جملة ، لا ترك العطف مطلقاً ، وهذا يفهم منه عرفاً وجود ما يمكن أن يعطف ويعطف عليه ، فترك فيه العطف .   (٣) أى فى فن المعانى .

مِثَالُ أَوَّلٍ إِذَا خَـلَوْا إِلَى   آخِرِهَا وَذَاكَ حَيْثُ فُصِلاَ

مَا بَعْدَهَا عَنْهَا وَتِلْكَ اللّٰهُ   إِذْ فُصِلَتْ عَنْهَا كَمَا تَرَاهُ

وَإِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمِ   فِي الْوَصْلِ وَالْفُجَّارَ فِي جَحِيمِ

وهو قوله تعالى : « وإذا خلوا[1] إلى شياطينهم قالوا[2] إنا معكم إنما نحن مستهزئون[3] . الله يستهزىء[4] بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون» ففُصِل[5] قوله تعالى : « الله يستهزىء بهم» إلى آخرها ، عما قبله ، وهو قوله : « إنما نحن مستهزئون» ، لما بينهما من كمال الانقطاع ، لأن قوله إنما .. الخ ، من مقول المنافقين ، وقوله الله يستهزىء .. الخ من مقول[6] الله رداً عليهم ، فلو عُطِف[7] ووصل ، لَتُوُهِّمَ أنه من مقولهم أيضاً . وهذا معنى قول الناظم : (وذاك) أى قوله إذا خلوا إلى آخرها ، (حيث فصلا) بألف الإطلاق (مابعدها) أى بعد آية وإذا خلوا إلى آخرها ، (عنها) أى عن آية وإذا خلوا . (وتلك) أى مابعدها (الله) يستهزىء بهم الخ (إذ فصلت) أى الله يستهزىء بهم (عنها) أى آية : وإذا خلوا (كما تراه) فى القرآن ، (و) قوله تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم) مع مابعدها وهو قوله تعالى : « وإن الفجار لفى جحيم » ، مثال (فى الوصل) ، إذ وصل أحدهما[8] على الآخر بالعطف لما بينهما من شبه التضاد[9] المقتضى للوصل ، كما بين فى محله . وأشار الناظم إلى تمام الآية بقوله (والفجار فى جحيم) . والله أعلم .

إعطاؤه للثانية لمانع وهو اختلاف القائل فيهما (قوله إن الابرار) وعلة الوصل أن بين الجملتين اتحاداً فى المعنى خبراً وإنشاء لأنهما خبريتان لفظاً ومعنى . والله أعلم .

---

(١) أى وإذا أفضى المنافقون إلى شياطينهم من الكافرين فى خلوة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢) أى قالوا لشياطينهم إنا معكم بقلوبنا من حيث الثبات على الكفر وعداوة المسلمين .
(٣) أى بالمسلمين فيما نظهر لهم من المداراة .
(٤) أى يجازيهم بالطرد عن رحمته ، فى مقابلة استهزائهم بالمؤمنين ودين الإسلام .
(٥) أى بترك العطف . (٦) أى وليس من مقولهم حتى يعطف على مقولهم .
(٧) أى قوله : الله يستهزىء بهم .
(٨) أى وهما جملتان خبريتان لفظاً ومعنى .
(٩) أى للجامع بينهما ، وهو شبه التضاد بين الأبرار والفجار اللذين هما المسند إليهما ، وبين الكون فى النعيم والكون فى الجحيم ، اللذين هما المسندان .

النوع الثالث والرابع والخامس : الإيجاز والإطناب والمساوة

وَلَكُمُ الْحَيَاةُ فِى الْقِصَاصِ قُلْ   مِثَالُ الأيجَازِ وَلاَ تَخْفَى الْمُثُلْ

النوع الثالث والرابع والخامس : الإيجاز والإطناب والمساواة

أما الإيجاز فهو كون اللفظ أقل[1] من المراد ، بدون[2] إخلال ، وله أقسام كثيرة ، محلها فن المعانى ، وأما الإطناب فهو تأدية المعنى بلفظ أزيد[3] منه لفائدة ، فهو عكس الإيجاز ، وأما المساواة فهى كون اللفظ بقدر[4] المعنى المراد . وقد اكتفى الناظم عن تعريفها بالمثال ، فقال : (ولكم الحياة فى) آية (القصاص) أى فى قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب » ، (قل) هى (مثال الايجاز) فإن معناه[5] كثير ، ولفظه يسير ، لأنه قائم مقام قولنا إذا علم الإنسان أنه إذا قتل يُقتص منه[6] ، كان ذلك[7] داعياً قوياً مانعاً له من

النوع الثالث والرابع والخامس : الإيجاز والإطناب والمساواة

(قوله الإيجاز) وهو قسمان إيجاز قصر وإيجاز حذف . فالأول تقليل اللفظ وتكثير المعنى بلا حذف ، والثانى كقوله تعالى واسأل القرية (قوله لفائدة) فإن لم يكن لفائدة كان تطويلا إن لم يتعين الزائد وإلا كان حشواً (قوله وأما المساواة) فهى بحسب متعارف الأوساط الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء ولم ينحطوا إلى حد الحصر والعى ، فهى الحد الأوسط والميزان الفيصل فما زاد عليها فإطناب وما نقص فإيجاز (قوله ولكم الحياة) إشارة إلى قوله تعالى : ولكم فى القصاص حياة ، وذلك أبلغ من قولهم القتل ، أنفى للقتل فيفضله بقلة حروفه أعنى قوله فى القصاص حياة وبتعظيم الحياة بالتنكير بالنص على المطلوب . والله أعلم .

---

(١) بأن يؤدى بأقل مما وضع لأجزائه مطابقة ، قال مولانا عبد الحكيم : أى ناقصاً عن مقدار أصل المراد ، إما بإسقاط لفظ منه ، أو التعبير عن كله بلفظ ناقص عن ذلك المقدار ، فيشمل إيجاز القصر وإيجاز الحذف . (٢) أى أن هذا اللفظ الناقص عن المراد واف به ، إما باعتبار اللزوم إذا لم يكن هناك حذف ، أو باعتبار الحذف الذى توصل إليه بسهولة ومن غير تكلف ، فخرج الإخلال ، فإن التوصل إلى المحذوف فيه بتكلف (٣) بأن يكون أكثر مما وضع لأجزائه مطابقة لفائدة .

(٤) بأن يؤدى بما وضع لأجزائه مطابقة .

(٥) أى ماعنى وقصد أن يفيده ، ولو بالالتزام .

(٦) أى يقتل وحده . ولا يقتل غيره فيه . (٧) أى العلم .

لِمَا بَقِي كلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ ... وَلَكَ فى إِكْمَالِ هَذِى أَجْرُ
نَحْوُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ الإِطْنَابُ ... وَهْيَ لَهَا لَدَى الْمَعَانِى بَابُ

القتل[١] ، فارتفع بالقتل الذى هو قصاص ، كثير[٢] من قتل الناس بعضهم بعضاً ، فكان ارتفاع القتل هو حياة[٣] لهم (ولا تخف المثل) جمع مثال (لما بقى) من الإطناب والمساواة ، فمثال المساواة (كـ) قوله تعالى : (لا يحيق[٤] المكر) السيء[٥] إلا بأهله[٦] ، فإن معناه مطابق[٧] للفظه ، قوله (ولك فى إكمال هذى) أى هذه الآية (أجر) تكملة . ثم قال : (نحو ألم أقل لك) خبر مقدم لقوله (الإطناب) يعنى أن الإطناب ، أى مثاله قوله تعالى : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معىَ صبراً ، ونحوه من كل معنى أُدِّىَ بلفظ أزيد منه لفائدة ، والزيادة[٨] فى الآية لفظ لك توكيداً[٩] لتكرر القول الصادر من الخضر وموسى (وهى) أى هذه الثلاثة (لها لدى) فن (المعانى باب) مستقل . والله أعلم .

(١) أى لم يترخص فى أن يفعل مايتمف به نفسه ، فحينئذ ينكف عن القتل فتحصل له الحياة ، وتحصل معه للذى يعزم على قتله . (٢) قوله كثير بالرفع فاعل ارتفع .
(٣) أى إبقاء لحياتهم . (٤) أى لا ينزل .
(٥) وهو فى جانب الله أن يفعل بالعبد مايهلكه .
(٦) أى بما يستحقه بعصيانه وكفره .
(٧) حيث أدى بما يستحقه من التركيب الأصلى ، والمقام يقتضى ذلك ، لأنه لامقتضى للعدول عنه إلى الإيجاز والإطناب . (٨) أى المزيدة .
(٩) أى زيادة فى المكافحة على رفض الوصية ، وقلة التثبت والصبر ، لما تكرر من موسى الاشمئزاز والاستنكار ، ولم يرعو بالتذكير ، حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية .

النوع السادس : القصر

وَذَاكَ فِى الْمَعَانِ بَحْثُهُ كَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ عُلِمَا

النوع السادس : القصر

وهو تخصيص أمر بآخر[١] بطريق مخصوص[٢] ، كتخصيص القيام بزيد فى قولك : ماقائم إلا زيد ، وله أقسام مبسوطة فى محله ، كما قال الناظم : (وذاك) أى القصر (فى) فن (المعا ن بحثه) ، وذلك (كـ) قوله تعالى : و (مامحمد إلا رسول) فإنه قصر[٣] محمداً صلى الله عليه وسلم على الرسالة ، فلا يتعدى إلى التبرى[٤] من الموت ، الذى هو شأن الإله . قوله (علما) تـكملة . والله أعلم .

النوع السادس : القصر

(قوله وهو تخصيص) ومعناه لغة : الحبس ومنه « حور مقصورات فى الخيام » وهو فى العرف قسمان حقيقى وإضافى ، وكل منهما قصر صفة على موصوف وعكسه . وللقصر طرق وأقسام تطلب فى محلها .

---

(١) أى تخصيص موصوف بصفة ، أو صفة بموصوف ، فالباء داخلة على المقصور ، والأمر إن أريد به الموصوف كان المراد بالآخر الصفة والعكس . والمراد بتخصيص أمر بآخر : الإخبار بثبوت الآخر للأمر دون غيره ، فالقصر مطلقاً يستلزم النفى والإثبات .

(٢) أى معهود معين من الطرق المصطلح عليها عندهم . وهو واحد من الأربع الطرق ، وهى العطف وما وإلا والتقديم أو توسط ضمير الفصل وتعريف المسند إليه أو المسند بلام الجنس .

(٣) من قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد .

(٤) وهو الخلود ، كما عليه المخاطبون وهم الصحابة ، ومعلوم أن اعتقاد المشاركة المنفى بهذا الطريق ، لم يوجد منهم ، للعلم بأنهم لايعتقدون أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يموت ابداً ، وأنهم لايثبتون ذلك كما أثبتوا الرسالة ، لـكنهم لمـا كانوا يعدون موته أمراً عظيما لحرصهم على بقائه بين أظهرهم ، حتى لا يكاد يخطر ببالهم الموت ، نزل استعظامهم موته منزلة إنكارهم إياه ، ويلزم من ذلك تنزيل علمهم منزلة جهلهم.

الخــاتمة

اشتملت على أربعة أنواع : الأسماء ، والـكُنَى ، والألقاب ، والُمبهمات

إِسْحَاقُ يُوسُفُ وَلُوطٌ عِيسَى هُودٌ وَصَالِحٌ شُعَيْبٌ مُوسَى

الخــاتمة

« نسأل الله تعالى حسنها »

اشتملت على أربعة أنواع : الأسماء ، والـكنى ، والألقاب ، والمبهمات

وهذه الخاتمة كالذيل والتتمة لما تقدم[١] ، فالأسماء الموجودة فى القرآن من أسماء الأنبياء ، خمسة وعشرون ، وهم (إسحاق) بن إبراهيم ، وُلِدَ بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وعاش مئة وثمانين سنة[٢] و (يوسف) بن يعقوب عاش مئة وعشرين سنة ، وكان قد أُعْطِيَ[٣]

الخاتمـة

نسأل الله تبارك و تعالى حسنها

(قوله الأسماء) مراد المصنف أن يذكر أسماء الأنبياء والمرسلين الواقعة فى القرآن والـكنى لهم ولغيرهم والمبهمات . والاسم ما وضع وضعاً أولياً ودل على مسماه . والـكنية ماوضعت وضعاً ثانوياً وصدرت بأب أو أم أو نحوهما . واللقب ما أشعر بمدح أو ذم ووضع وضعاً ثانوياً .

---

(١) أى من الأنواع .

(٢) وكان قبل المسيح بنحو ألفى عام . قيل وهو الذى رأى والده فى النوم أنه يذبحه ، ففداه الله بذبح عظيم . وقيل ذاك إسمعيل جد رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا ومعنى إسحاق بالعبرانية الضاحك ، ورزق بيعقوب وهو ابن ستين سنة .

(٣) كما ثبت فى الصحيح ، وجاء فى المستدرك عن الحسن ، أنه ألقى فى الجب وهو ابن ١٢ سنة ، واجتمع به أبوه وإخوته جميعاً بمصر وعاش معهم مجتمعين ١٧ سنة ، ومات أبوه يعقوب ، وأوصى إليه أن يدفنه مع أبيه إسحق ، ففعل يوسف ذلك ، وسار به إلى الشام ودفنه عند أبيه ، ثم عاد إلى مصر ، وتوفى ودفن بها ، فى ملك قابوس بن مصعب من العمالقة .

شطر الحسن (ولوط) بن هاران[١]، وكان أشبه الناس بآدم و(عيسى)[٢] بن مريم، وكانت مدة حمله ساعة، ونُبِّئ كإخوانه الأنبياء على رأس الأربعين، ورفع وله مئة وعشرون سنة، وجاء في جملة أحاديث أنه ينزل ويقتل الدجال، ويتزوج ويُولد له ويَحج ويمكث في الأرض سبع سنين، ويدفن عند النبي ﷺ. وفي الصحيح أنه ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس أي حَمَّام. وكان بينه وبين موسى عليهما الصلاة والسلام ألف وتسع مئة وخمس وعشرون سنة، وبين مولده والهجرة ست مئة وثلاثون سنة. و(هود) بن عبد الله[٣] (وصالح) بن عبيد[٤]، عاش ثمانياً وخمسين سنة، و(شعيب) بن ميكائيل[٥] و(موسى) بن عمران[٦] عاش مئة وعشرين سنة و(هارون) شقيق موسى على الصحيح، وقيل لأمه، وقيل لأبيه. كان أطول من موسى، فصيحاً جداً، مات في التيه قبل موسى، وكان ولد قبله بسنة، قيل معناه بالعبرانية: المحبب. وفي حديث الإسراء: فقلت[٧] ياجبريل، من هذا؟ فقال: المحبب في قومه هارون. و(داود) بن إيْشَا[٨] بكسر الهمزة، كان أعبد الناس، وحَسَن

---

(١) هاران هذا: هو ابن آزر، فهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام، كان ممن آمن بعمه إبراهيم، وهاجر معه إلى مصر، وعاد الى لشام، أرسله الله تعالى الى أهل سدوم، فظل يدعوهم الى الحق، وينهاهم عن الفحشاء.

(٢) ولد بقرية بيت لحم من قرى فلسطين في سنة ٤٠٠٤ من عمر الدنيا، على قول اليهود، وفي ٢٥ ديسمبر على قول المسيحيين. حملت به أمه مريم من غير أب، على سبيل المعجزة. (٣) وعبد الله هذا هو ابن رباح بن حاوز بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح. قال كعب كان هود أشبه الناس بآدم، وقل ابن مسعود كان رجلا جلدا.

(٤) عبيد هذا هو ابن حاير بن ثمود بن حابر بن سام بن نوح. بعثه الله الى قومه وهو شاب، وكانوا عرباً منازلهم بين الحجاز والشام، فأقام فيهم ٢٠ سنة، ومات بمكة.

(٥) وميكائيل هذا هو ابن يشجن بن مدين بن إبراهيم الخليل، كان يقال له خطيب الأنبياء. وبعث رسولا الى أمتين: مدين وأصحاب الأيكة، وقد تزوج موسى عليه السلام ابنته بمدين.

(٦) عمران هذا هو ابن يصهر بن قهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولد في سنة ١٥٧١ قبل الميلاد، وكان آدم طوالا جعداً كأنه من رجال شنوءة، أرسله الله تعالى رسولا بشريعة بنى إسرائيل، ولما كان عمره ثمانين سنة، خرج ببني اسرائيل من مصر، وأقام في التيه أربعين سنة، وتوفى على جبل بنبو من بلاد العرب سنة ١٤٥١ (ق م)، فيكون قد عمر ١٢٠ سنة.

(٧) قبله: قال صلى الله عليه وسلم صعدت الى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء، ونصفها أسود، تكاد لحيته تضرب سرته من طولها، فقلت... الخ.

(٨) وإيشا هذا هو ابن عوبد بن باعر بن سلمون بن يخشون بن عمى بن يارب بن دام بن خضرون ابن فارس بن يهودا بن يعقوب.

هَارُونُ دَاوُدُ ابْنُهُ أَيُّوبُ ذوالْكِفْلِ يُونُسٌ كَذَا يَعْقُوبُ

الصوت والخلق ، عاش[١] مئة سنة و (ابنه) أى سليمان ، كان أبيض جسيا وسيا ، وكان أبوه يشاوره فى كثير[٢] ، وعاش ثلاثاً وخمسين سنة ، و (أيوب)[٣] بن أبيض ، وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ، و (ذوالكفل) قيل هو ابن أيوب واسمه بشر[٤] ، وعاش خمساً وسبعين سنة ، و (يونس) بن متى ، بفتح الميم مع تشديد التاء ، ومتى أبوه لا أمه ، كما جاء فى الصحيح[٥] ، وفى لفظ يونس ست لغات : تثليث النون مع الهمز وعدمه . قال العلامة ابن حجر ، كما نقله عنه السجاعى : ولم أقف فى شىء من الأخبار على اتصال نسبه ، وقيل إنه[٦] كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس ، و (كذا يعقوب)[٧] بن إسحاق عاش مئة وسبعاً وأربعين سنة ، و (آدم) أبو البشر ، سمى آدم لأنه خلق[٨] من أديم الأرض ، عاش[٩] تسع مئة وستين

(١) وقد تولى ملك بنى إسرائيل منها أربعين سنة ، وأسس بيت المقدس فى القرن العاشر قبل الميلاد وكان له اثنا عشر ابناً .

(٢) مع صغر سنه ، لوفور عقله وعلمه ، وخلف أباه داود على ملك بنى إسرائيل،فملك وهو ابن ١٣ سنة ، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ، على ما أسسه أبوه توفى سنة ٩٢٩ قبل الميلاد .

(٣) قال ابن جرير : هو أيوب بن أموص بن روح بن عيص بن إسحاق . وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط وأن أباه ممن آمن بإبراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى وقد امتحنه الله بالأمراض الجثمانية سبع سنين ، وقيل ٣ سنين ، وقيل ١٣ سنة فصبر عليها صبر الكرام ، فعافاه الله منها .

(٤) بعثه الله نبياً ، وسماه ذا الكفل ، وأمره بالدعاء إلى توحيده وكان مقيما بالشام عمره .

(٥) ووقع فى تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه . قال أبو الفداء ولم يشتهر نبى بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام . (٦) بعثه الله إلى أهل نينوى قبالة الموصل ، بينهما دجلة ، وذلك بعد يوثم بن عزيا أحد ملوك بنى إسرائيل ، وكانت وفاة يوثم سنة ٨١٥ لوفاة موسى عليه السلام .

(٧) يقال ليعقوب إسرائيل تزوج ليا بنت لابان بن بتويل بن ناحور بن آزر والد ابراهيم ،فولدت له روبيل وهو أكبر أولاده ، ثم ولدت شمعون ولاوى ويهوذا،ثم تزوج يعقوب عليها أختها راحيل،فولدت له يوسف وبنيامين ، وكذلك ولد ليعقوب من سريتين كانتا له ستة أولاد وهم يساخر ، زيولون ،دان ، نفتالى ، كاذ ، وأشار ، فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا هم آباء الأسباط .

(٨) قالوا إنه خلق قبل نحو ستة آلاف سنة ، فقد جاء فى الكتب المسيحية أن المدة التى بين الطوفان وعيسى عليه السلام ، هى ٣٣٠٨ سنوات ، وما بين عيسى وآدم ٤٠٠٤ سنوات ، فيكون ما بيننا وبين آدم لا يزيد على ٥٩١٤ سنة .

(٩) هكذا قال ابن أبى خيثمة ، واشتهر فى كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة .

آدَمُ إِدْرِيسُ وَنُوحٌ يَحْيَي وَالْيَسَعُ أُبْرَاهِيمُ أَيْضاً إلْيَا

سنة ، و (إدريس) بن يراد[١] ، رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة ، (ونوح) بن لَمَك[٢] بفتح اللام مع سكون الميم ، لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، وهو آدم الأصغر ، لأن ذريته هم الباقون ، وهو الجد السادس لهود ، والتاسع لإبراهيم الخليل ، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبى إلا هود وصالح ، و (يحيى) بن زكريا ، ولد قبل عيسى بستة أشهر ، ونبىء صغيراً ، وقتل ظلماً[٣] ، (واليسع)[٤] بن جُبير و (أُبراهيم[٥] أيضاً) هو ابن آزر[٦] ، اختتن بعد مئة وعشرين سنة ، وعاش مئتى سنة ، و (إليا) ترخيم إلياس ، هو ابن إلياسين[٧] . قال وهب : عُمِّرَ كما عُمِّرَ الخضر ، وإنه يبقى إلى آخر الزمان .

﴿تنبيه﴾ الترخيم : لضرورة الشعر جائز كما فى الخلاصة : «ولاضطرار رخموا دون ندا» البيت ، (وزكريا أيضاً) كان من ذرية سليمان بن داود ، وقُتل[٨] بعد قتل ولده ، وكان له

(١) ويراد بن مهلاييل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم قال وهب بن منبه إدريس جد نوح قال ابن عباس كان فيما بين نوح وإدريس ألف سنة قيل هو أول من أعطى النبوة من ولد آدم وبعث بالجهاد .

(٢) ولمك هذا هو ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام فيما يقال .

(٣) حاصل القصة أن عيسى بن مريم حرم نكاح بنت الأخ وكان لهرذوس ، وهو الحاكم على بنى إسرائيل بنت أخ ، وأراد أن يتزوجها ، حسبما هو جائز فى دين اليهود ، فنهاه يحيى عن ذلك ، فطلبت أم البنت من هرذوس أن يقتل يحيى فلم يجبها الى ذلك ، فعاودته وسألته البنت أيضاً وألحتا عليه فأجابها إلى ذلك وأمر بيحيى فذبح ولديهما وكان قبل رفع المسيح بمدة يسيرة .

(٤) هكذا فى جميع النسخ وصوابه كما فى الإتقان : قال ابن جبير : هو ابن أخطوب بن العجوز .

(٥) ولد إبراهيم عليه السلام فى بلدة أور من بلاد بابل ، قبل ميلاد عيسى عليه السلام بألفى عام وتزوج بسارة ثم بهاجر جارية سارة وهبتها له فولدت له إسماعيل وهو الذى هاجر الى بلاد العرب وبنى مع أبيه إبراهيم الكعبة ثم رحل أبوه إبراهيم إلى الشام وتوفى بها بعد أن عاش ١٧٥ سنة كما فى بعض الروايات .

(٦) اسم آزر : تارخ بن ناحور بن شاروخ بن راغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرخشذ بن سام ابن نوح .

(٧) إلياسين : هو ابن فنحاص بن العيزار بن هرون أخى موسى بن عمران قاله ابن إسحق .

(٨) حاصل القصة : أن اليهود لما علموا أن مريم ولدت عيسى من غير بعل اتهموا زكرياء بها ، وطلبوه فهرب ، واختفى فى شجرة عظيمة ، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكرياء معها ، وكان عمر زكرياء حينئذ نحو مئة سنة .

وَزَكَرِيَّا أَيْضًا أَسْمَاعِيلُ   وَجَاءَ فِى مُحَمَّدٍ تَكْمِيلُ
هَارُوتُ مَارُوتٌ وَجِبْرَائِيلُ   قَعِيدٌ السِّجِلُّ مِيكَائِيلُ

يومَ بُشِّرَ بولده اثنتان وتسعون سنة ، و (اسماعيل)[١] بن إبراهيم ، هو أكبر ولد إبراهيم ، (وجاء فى) سيدنا (محمد) ﷺ (تكميل) للأنبياء الخمسة والعشرين الذين ذكروا فى القرآن ، وهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، عاش ثلاثاً وستين سنة ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ثم شرع الناظم يذكر أسماء غير الأنبياء ، فقال : (هاروت ماروت) اسما مَلَكين[٢] ، وقد أفرد السيوطى جزءاً فى قصتهما (وجبرائيل) هو أحد[٣] رؤساء الملك وموكَّل[٤] بالوحى ، و (قعيد) هو كاتب[٥] السيئات ، كما فى الإتقان ، و (السِّجل) قيل[٦] إنه ملك ، وكان موكلا بالصحف[٧] ، و (ميكائيل) هو أحد رؤساء الملك أيضاً ، وقيل كان موكلا بالمطر ، وفى الإتقان أن معناه : عبيد[٨] الله ، و (لقمان)[٩] قيل إنه كان[١٠] نبياً ،

---

(١) هاجر به والده مع أمه هاجر سريته إلى مكة ، قبل المسيح بنحو ألفى عام ، وتزوج رعلة بنت مضاض من بنى جرهم بن قحطان فولد له منها اثنا عشر ذكراً ، فكان هو وجرهم الجدين الأولين للعرب المستعربة . توفى عليه السلام ودفن بجانب أمه .

(٢) من ملائكة السماء ، أنزلهما الله إلى الأرض ببابل لتعليم السحر ، ابتلاء منه تعالى للناس ، فمن تعلم وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان . ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء ، كما امتحن قوم طالوت بالنهر ، وكان اسمهما قبل : عزا ، وعزايا ، فلما أنزلا وعلما السحر سميا بذلك .

(٣) بل هو أفضلهم . أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أخبركم بأفضل الملائكة ؟ جبرائيل» وأخرج أبو الشيخ عن موسى بن عائشة ، قال : بلغنى أن جبريل إمام أهل السماء .

(٤) أى بإنزال الوحى والعلم ، وهو مادة الأرواح بخلاف ميكائيل ، فإنه موكل بالخصب والأمطار ، وهى مادة الأبدان .

(٥) كما ذكره مجاهد وأخرجه أبو نعيم فى الحلية . هذا والمشهور أنه ليس اسماً بل صفة الملكين الموكلين بالإنسان ، يكتبان أعماله ، فصاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات .

(٦) قاله على كرم الله وجهه .

(٧) فإذا مات الإنسان وقع كتابه إليه فطواه ، فرفعه إلى يوم القيامة .

(٨) مصغراً كما قال ابن عباس . وقال أيضاً : جبريل معناه ، عبد الله ، أى : مكبرا .

(٩) هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب ، أوابن خالته ، أو من أولاد آزر . قيل عاش إلى مبعث داود ، فلما بعث قطع الفتوى ، فسئل فى سبب امتناعه ، فقال : ألا أكتفى إذا كفيت .

(١٠) أى قال عكرمة والشعبى .

لُقْمَانُ تُبَّعٌ كَذَا طَالُوتُ إِبْلِيسُ قَارُونٌ كَذَا جَالُوتُ
وَمَرْيَمٌ عِمْرَانُ أَىْ أَبُوهَا أَيْضًا كَذَا هَارُونُ أَىْ أَخُوهَا

والأكثر على خلافه ، وعن ابن عباس : كان لقمان[١] عبداً حبشياً نجاراً ، و(تبع) بضم التاء المثناة فوق مع تشديد الباء ، قيل إنه نبى ، والأصح أنه رجل[٢] صالح ، كما رواه الحاكم ، وسمى به لكثرة من تبعه ، (كذا طالوت) وهو اسم رجل صالح ، جعله الله ملكا على بنى إسرائيل ، لقتال جالوت ، و (إبليس) لعنه الله وكان اسمه عزازيل[٣] ، وسمى إبليس لأن الله أبلسه من الخير كله ، أى آيسه منه ، و (قارون) بن يصهر ، وهو ابن عم موسى ، وكان كافراً[٤] ، و (كذا) ممن ذكر باسمه فى القرآن (جالوت) اسم ملك من ملوك الكفار الذين تجبروا فى الأرض ، وسلط الله عليه طالوت فقتله داود ، كما فى الآية[٥] ، ولايخفى حسن وضع الناظم هنا حيث جمع المسلمين فى نصف بيت ، والكفار فى نصف آخر ، و (مريم)[٦] بنت عمران ، كما قال الناظم بعد . ﴿تنبيه﴾ لعل الحكمة في أن الله لم يذكر فى القرآن امرأة باسمها إلا هى ، الإشارة بطرفٍ خفيٍّ إلى رد ماقاله الكفار من أنها زوجته ، فإن العظيم عليّ الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس ، فكأن الله يقول : لو كانت زوجة لى ، لما صرحت

(١) أى لم يكن نبياً ولا ملكا ، ولكن كان راعياً أسود ، فرزقه الله العتق ، ورضى قوله ووصيته ، وحكاها فى القرآن .

(٢) قيل كان اسمه أسعد بن الملكى كرب ، وقيل إنه لقب ملوك اليمن ، سمى كل واحد منهم تبعاً ، أى يتبع صاحبه ، كالخليفة يخلف غيره .

(٣) هذا الاسم على قول من قال إنه كان من الملائكة . وقيل إنه من الجن ، وكان اسمه الحارث ، وكنيته أبو مرة . قال بعضهم اسم الحارث هو معنى عزازيل .

(٤) مقدم جنود فرعون ، كما أن هامان كان وزير فرعون ، وذكرهما الله بين أتباع فرعون ، لمكانتهما فى الكفر ، وكونهما أشهر الأتباع .

(٥) وهى قوله تعالى : « فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء » .

(٦) هى أم عيسى عليه السلام . واسم أمها حنة زوج عمران . كانت حنة لا تلد ، واشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ذرية ، ونذرت إن رزقها الله ولداً جعلته من سدنة بيت المقدس ، فحملت حنة ، ومات زوجها عمران وهى حامل ، فولدت بنتاً ، وسمتها مريم ، فأخذها زكريا ، وضمها إلى إيساع خالتها فلما كبرت مريم ، أفرد لها زكريا غرفة ، وأرسل الله الملك جبريل ، فنفخ فى مريم ، فحبلت بعيسى ، وولدته فى بيت لحم .

مِنْ غَيْرِ زَيْدٍ مِنْ صِحَابٍ عَزَّا ثُمَّ الْكُنَى فِيهِ كَعَبْدِ الْعُزَّى
كُنِّى أَبَا لَهَبٍ الْأَلْقَابُ قَدْ جَاءَ ذُو الْقَرْنَيْنِ يَا أَوَّابُ

باسمها ، ومعنى مريم بلغتهم[١] : العابدة ، وخادمة الرب ، و (عمران) بكسر العين (أى أبوها) أى مريم ، لا أبو موسى (أيضاً كذا) ممن ذكر فى القرآن (هارون) بن عمران (أى أخوها) أى مريم ، لا أخو موسى ؛ قيل إنه كلما ذكر اسم هارون ، فالمراد به أخو موسى ، إلا عند قوله تعالى : يا أخت هارون ، حيث كان ، فالمراد به أخو مريم ، ففى الترمذى ، عن المغيرة ابن شعبة ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران ، فقالوا : ألستم تقرءون : يا أخت هارون وقد كان بين موسى وعيسى ما كان[٢] ؟ فلم أدر ما أجيبهم . فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم ، والصالحين قبلهم ؟ وترك الناظم ذكر « عُزَيْر »[٣] وهو مذكور فى النقاية . ثم قال : (من غير زيد) بن حارثة (من) أسماء (صحاب) للنبى ﷺ (عزّا) وقلّ ، فإنه ذكر فى سورة الأحزاب فى قوله تعالى : «فلما قضى زيد منها وطراً » .. الآية . ثم شرع الناظم يذكر الكُنَى ، فقال : (ثم الكنى فيه) أى فى القرآن (كعبد العزى . كُنِّى أبا لهب) ولم يكن فى القرآن غيره ، وعبد العزى[٤] اسمه ولهذا لم يذكر باسمه ، لأنه حرام شرعاً ، وقيل للإشارة إلى أن مصيره إلى اللهب[٥] ، وكان كُنِّىَ به[٦] لإشراق وجهه . ثم أشار إلى الألقاب ، فقال : (الألقاب قد جاء) فيه (ذو القرنين يا أواب[٧]) ولقب بذلك لأنه ملك فارس[٨] والروم[٩] ، وقيل لأنه دخل النور والظلمة ،

(١) أى بلغة العبرية . وقيل معناها : المرأة التى تغازل الفتيان .
(٢) أى من الزمان ، وهو ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة ، كما تقدم .
(٣) نبى من أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام ، قال تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله » . اهـ .
(٤) هو ابن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) أى اللهب الحقيقى ، وهو لهب جهنم . (٦) قال مقاتل كان يكنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما . (٧) أى يا كثير التوبة والرجوع إلى الله تعالى .
(٨) أى فتح أعظم مملكة فى العالم ، هى مملكة الفرس . وبدأ سنة ٣٣٤ ق م وسنه إذ ذاك ٢٢ سنة ، ولم يصحب معه غير ٣٠٠٠٠ من المشاة و ٤٥٠٠ فرس ، ومن الذخيرة ما يكفيهم شهراً ، وسقطت كلها فى يده سنة ٣٣١ ق م . (٩) أى ملك الروم خلفاً عن أبيه .

وَإِسْمُهُ إِسْكَنْدَرُ الْمَسِيحُ ... عِيسَى وَذَا مِنْ أَجْلِ مَايَسِيحُ
فِرْعَوْنُ ذَا الْوَلِيدُ ثُمَّ الْمُبْهَمُ ... مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِى قَدْ يَكْتُمُ

وقيل لأنه كان برأسه شبْه القرنين[١]، وقيل كان له ذؤابتان ، وقيل رأى فى النوم أنه أخذ بقرْنى الشمس[٢] (وإسمه إسكندر[٣]) على الأشهر[٤] ، و (المسيح) بفتح الميم وكسر السين المخففة على المشهور ، وقد تشدد لقب لسيدنا (عيسى) بن مريم عليه الصلاة والسلام (وذا) اللقب (من أجل مايسيح[٥]) أى سياحته فى الأرض ، أو لأنه كان لايمسح ذا عاهة إلا برئ ، أو لأنه كان مسيح القدمين ، أى لا أخمص[٦] لها . ﴿ تنبيه ﴾ يقال للدجال أيضاً مسيح ، إما لأنه يمسح الأرض فى الزمن القليل ، لإضلال الناس ، أو لأنه ممسوح العين ، أو لأن أحد شِقَّىْ وجهه خُلِقَ ممسوحاً ، لا عين فيه ولاحاجب . وأما من قاله بالخاء المعجمة ، ليفرق بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، فقد صَحَّفَ . قال ابن العربى : وقد فرق النبى ﷺ بينهما بقوله فى الدجال مسيح الضلالة . فدل على أن عيسى مسيح الهدى . و (فرعون) اسم (ذا) الفرعون (الوليد) بن مصعب[٧] . ثم أشار إلى الأسماء المبهمة ، فقال : (ثم المبهم) فى القرآن (من آل فرعون الذى قد يكتم إيمانه) فى سورة غافر ، عند قوله تعالى : « وقال

(قوله بقرنى الشمس) وأولت بأنه يملك المشرق والمغرب وقد ملك الدنيا بأسرها كما ملكها سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ، قيل وقد ملكها كافران بختنصر وفرعون ، وسيملكها الدجال والمهدى وعيسى المسيح عليه الصلاة والسلام

(١) وهما صفيران تواريهما العمامة . (٢) وقيل لأنه بلغ قرنى الأرض : المشرق والمغرب .

(٣) الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا وأشهر قائد حربى فى العالم القديم ، وهو ابن فليب ، ولد بمدينة بلا سنة ٣٥٦ ق م ، وقد ظهرت عليه مخايل الفتوة الملكية من صغره ، وكان هينا ليناً حاذقاً جريئاً مقداماً ؛ وكانت ألاعيبه التى يفضلها الرياضات الشاقة للصيد والقنص ، ولما بلغ عمره عشرين سنة مات أبوه ، نخلفه على مقدونيا سنة ٣٣٢ ق م ، بعد أن قرأ على الفيلسوف أرسطو كل المعارف الإنسانية المعروفة إذ ذاك ، ومات ولم يترك إلا طفلا صغيراً . (٤) وقيل عبد الله بن الضحاك بن سعد .

(٥) أى يذهب ويمشى . (٦) الأخمص : ما دخل من باطن القدم ، فلم يصب الأرض .

(٧) قال ابن اسحاق وأكثر المفسرين : وقيل أبوه مصعب بن الريان . حكاه ابن جرير ، وكنيته . أبو العباس ، وقيل أبو الوليد ، وقيل أبو مرة . روى أنه من أهل اصطخر وقيل كان عطاراً بأصفهان ، ركبته الديون ، فدخل مصر ، فصار بها ملكا ، والصحيح : أنه غير فرعون يوسف ، وكان اسمه على المشهور الريان بن الوليد ، وقد آمن بيوسف ومات فى حياته ، وهو من أجداد فرعون المذكور على قول.

إِيمَانَهُ وَإِسْمُـهُ حِزْقِيلُ ... وَمَنْ عَلَى يس قَدْ يُحِيلُ
أَعْنِي الَّذِي يَسْعَى اسْمُهُ حَبِيبُ ... وَيُوشَعُ بْنُ نُونَ يَا لَبِيبُ
وَهْوَ فَتَى مُوسَى لَدَى السَّفِينَةِ ... وَمَنْ هُمَا فِى سُورَةِ الْمَائِدَةِ
كَالِبُ مَعْ يُوشَعَ أُمُّ مُوسَى ... يُوحَانِذُ اسْمُهَا كُفِيتَ الْبُوسَا

رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » الآية (وإسمه حزقيل) بكسر[1] الحاء المهملة بعده زاى (ومن على) أى فى سورة (يس قد يُحيل) أى يُسْلِم . وفى الحديث : « من أحال دخل الجنة» أفاده فى تاج العروس . (أعنى) به (الذى يسعى) عند قوله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى»... الآية (اسمه حبيب) بن موسى[2] النجار . (ويوشع بن نون[3] يالبيب[4] وهو) اسم (فتى[5] موسى لدى السفينة) فى سورة الكهف ، عند قوله تعالى : « وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حُقُبا . فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا » الآية . (ومن هما في سورة المائدة) عند قوله تعالى : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » الآية ، اسمهما (كالب[6] مع يوشع[7]) و (أم موسى) فى سورة القصص عند قوله تعالى : «فأصبح فؤاد أم موسى فارغاً...» الآية (يوحانذ[8] اسمها) بضم الياء و بالحاء المهملة وكسر النون و بالذال المعجمة ، وقوله (كفيت البوسا) جملة دعائية ، أى كفاك الله وحفظك الله من البؤس

---

(١) ضبط الشارح لما جاء فى نسخته : وصوابه خربيل بخاء معجمة مكسورة وراء مهملة ساكنة ، وقيل : حزبيل ، بحاء مهملة ، وزاى معجمة .

(٢) هكذا فى جميع النسخ ، ولعل الصواب كما قال الثورى ، عن عاصم الأحول ، عن أبى مجلز ، كان اسمه حبيب بن مرى ، بميم ثم راء ، آخره ياء تحتية ، كان على المشهور نجاراً ، وقيل كان حراثاً ، وقيل قصاراً ، وقيل إسكافاً . وقيل نحاتاً للأصنام .

(٣) ونون هذا : ابن إفرائيم بن يوسف عليه السلام . (٤) أى : يا عاقل .

(٥) كان يوشع يخدم موسى ويتعلم منه ولذا أضيف إليه ، والعرب تسمى الخادم فتى ، لأن الخدم أكثر ما يكونون فى سن الفتوة ، وكان فيما يقال ابن أخت موسى عليه السلام .

(٦) ابن يوقنا من سبط يهوذا . (٧) هو ابن نون المتقدم آنفاً .

(٨) بنت يصهر بن لاوى . وقيل اسمها . محيانة . وقيل يارخا . وقيل يارخت .

وَمَنْ هُوَ الْعَبْدُ لَدَى الْكَهْفِ الْخَضِرْ ‏ ‏ وَمَنْ لَهُ الدَّمُ لَدَيهَا قَدْ هُدِرْ
أَعْنِي الْغُلَامَ وَهْوَ حَيْسُورُ الْمَلِكْ ‏ ‏ فِي قَوْلِهِ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكْ
هُدَدُ وَالصَّاحِبُ لِلرَّسُولِ فِي ‏ ‏ غَارٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَعْنِي الْمُقْتَفِي

والشدة فى أمورك . (ومن هو العبد لدى) سورة (الكهف) عند قوله تعالى : «فوجدا عبداً من عبادنا» الآية ، اسمه (الخضر) بفتح الخاء المعجمة ، مع كسر الضاد أو سكونها ، وبكسر الخاء مع سكون الضاد ، ففيه ثلاث لغات ، كما فى الصاوى ، ويتعين هنا الأول للوزن .
﴿فائدة﴾ : الخضر : لقب له ، واسمه بَلْيَا بفتح الباء وسكون اللام ، بعدها ياء تحتية ، آخره ألف مقصورة ، ومعناه بالعربية : أحمد بن ملكان[١] ، وكنيته أبو العباس . قال بعض العارفين : من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الإسلام ، ولقب بالخضر لأنه إذا جلس على الأرض اخضرّ ماتحته ، والجمهور على نبوته[٢] ، لا أنه رسول أو ولى كما قيل (ومن له الدم لديها) أى لدى سورة الكهف (قد هدر) بلا قصاص ولادية (أعنى) به (الغلام) عند قوله تعالى : « حتى إذا لقيا غلاماً فقتله » الآية (وهو) أى اسمه (حيسور) بالحاء المهملة ، وقيل بالجيم بعدها مثناة ، وقيل نون ، آخره راء ، و (الملك فى قوله) تعالى فى سورة الكهف أيضاً و (كان وراءهم ملك) يأخذ كل سفينة غصبا ، اسمه (هُدَدُ)[٣] بن بُدَد ، كلاهما بوزن عمر (والصاحب للرسول فى غار) عند قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا » الآية فى سورة التوبة (هو الصديق) الأكبر ، رضى الله تعالى عنه ، اسمه عبد الله (أعنى المقتفى) أثره صلى الله عليه وسلم . ﴿تنبيه﴾ : من أنكر صحبة أبى بكر للنبى

(قوله من عرف اسمه) نظم ذلك بعضهم فقال :

والخضر المعروف عند الناس ‏ ‏ ملكا بن بليان أبو العباس
من عرف الكنية ثمت السما ‏ ‏ كذا اللقب يموت حقاً مسلما

---

(١) بفتح الميم وإسكان اللام وهو ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
(٢) وهو القول المنصور ، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة ، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين .
(٣) وكان كافراً . وقيل اسمه جلندى بن كركر ملك غسان . وقيل مفواد بن الجلند بن سعيد الأزدى . وكان بجزيرة الأندلس .

إِطْفِيرُ الْعَزِيزُ أَوْ قِطْفِيرُ   وَمُبْهَمٌ وُرُودُهُ كَثِيرِ
وَكَادَ أَنْ يَسْتَوْعِبَ التَّحْبِيرُ   جَمِيعَهَا فَاقْصِدْهُ يَا نِحْرِيرُ
فَهَا كَهَا مِنِّي لَدَى قُصُورِي   وَلاَ تَكُنْ بِحَاسِدٍ مَغْرُورِ
إِلاَّ إِذَا بِخَلَلٍ ظَفِرْتَا   فَأَصْلِحِ الْفَسَادَ إِنْ قَدَرْتَا
وَوَجَبَتْ مِنْ بَعْدِ ذَا صَلاَتِي   عَلَى النَّبِي وَآلِهِ الْهُدَاةِ

ﷺ كفر ، لثبوت صحبته بنص القرآن . و (إطفير) هو اسم (العزيز) الذى ذكر عند قوله تعالى : « وقال الذى اشتراه من مصر » الآية فى سورة يوسف (أو قطفير)[1] بالقاف بدل الهمزة ، قولان . ثم قال الناظم (ومبهم) فى القرآن (وروده كثير) قال فى الإتقان : إن مرجعه النقل المَحض ، لامجال للرأى فيه . ﴿ تنبيه ﴾ ذكر فى الإتقان أنه لايبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه ، كقوله تعالى : « وآخرين منهم لاتعلمونهم الله يعلمهم » . اهـ .

(وكاد أن يستوعب التحبير جميعها) أى جميع المبهمات (فاقصده) أى التحبير ، وطالعهْ (يا نحرير) : تكملة . قال فى شرح النقاية : والمبهمات فى القرآن كثيرة جداً ، ولم يستوفها البلقينى ، ولا قارب ، وفيها تصنيف مستقل للسهيلى والبدر بن جماعة ، وقد استوعبتها فى التحبير ، فلم أدع منها شيئاً ، ورتبتها على فصول ، ولله الحمد (فها كها) أى نخذ هذه المنظومة المؤلفة فى فن أصول التفسير ، (منى) أيها الناظر فيها (لدى قصورى) فى العلم والمعرفة (ولا تكن بحاسد) لى (مغرور) بغرور الشيطان ، إياك بأن تنتقد على وتعترض (إلا إذا) ظفرت فيها (بخلل) فهو متعلق بفعل محذوف يفسره قوله (ظفرتا) والألف للإطلاق (فأصلح الفساد)[2] الحاصل بذلك الخلل (إن قدرتا) على الإصلاح . (ووجبت من بعد ذا) الكلام كلّه (صلاتى على النبى) محمد صلى الله عليه وسلم (و) على (آله الهداة) من بنى هاشم

(١) قال الألوسى عند قوله تعالى : « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » ، وقيل المراد به الملك ، وكان قطفير ملك مصر وإسكندرية .

(٢) بنحو التعليق ، لا بنحو الكشط .

وَصَحْبِـهِ مُعَمِّمًا أَتْبَاعَهْ عَلَى الْهُدَى إِلَى قِيَامِ السَّاعَهْ

وبنى عبد المطلب (و) على (صحبه) جميعاً حال كونى (معمما أتباعه) ﷺ (على الهدى) جيلا[٢] بعد جيل (إلى قيام الساعهْ) والقيامة . والله أعلم .

إلى هنا انتهى هذا التعليق ، ولله الحمد ، وله الفضل والمنة ، فضلا منه ومنة ، ومعظمه مقتطف من الإتقان ، وشرح النقاية ، كلاهما للسيوطى رحمه الله تعالى ، ووالدينا ومشائخنا وأحبابنا والمسلمين عامة .

اللهم فصل وسلم على من هو رحمة للعالمين ، كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، وعلى آله وأصحابه ، ومن على نهجهم تابعون . آمين .

---

(١) الجيل : هو القرن ، وأهل الزمان الواحد .

خاتمة مهمة فى فوائد قيمة

﴿الفائدة الأولى﴾ أقسام القرآن : أى أيمانه أفردها ابن القيم بالتصنيف فى مجلد سماه التبيان . والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده ، حيث جعل مثل والله يشهد إن المنافقين لكاذبون قسما وإن كان فيه إخبار بشهادة ، لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمى قسما . وقد قيل : ما معنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده . وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً . وأجاب أبو القاسم القشيرى بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين إما بالقسم وإما بالشهادة ، كما يشير إليه حديث البينة على المدعى واليمين على من أنكر ، فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا تبقى لهم حجة ، فقال شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ، وقال : قل إى وربى إنه لحق . وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق ، صرخ وقال من أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ؟ يعنى أن للقسم أغراضاً بلاغية بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع ، والباقى أقسم بمخلوقاته كالتين والزيتون ، والقسم بها إما على حذف مضاف أى ورب التين والزيتون أو أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على مايعرفون ، أو أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه والله تعالى ليس فوقه شىء ، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته من حيث إنها تدل على بارىء وصانع ، وهى من هذه الجهة عظيمة جليلة إلى آخر ماذكره .

﴿الفائدة الثانية﴾ جدل القرآن أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفى ، قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير وتنبيه من كليات المعلومات العقلية إلا وكتاب الله قد نطق بها ، ولكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين : أحدهما بسبب ماقاله ، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . الثانى : أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلى من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذى لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزاً ، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة ليفهم العامة من جليها مايقنعهم وتلزمهم به الحجة ، وتفهم الخواص من أنبيائها مايربو على ما أدركه فهمهم ، إلى آخر ماساقه فى هذا النوع مما قد لا يوجد فى غيره .

﴿الفائدة الثالثة﴾ فى مخاطبات القرآن : قال ابن الجوزى فى كتاب التفسير : الخطاب فى القرآن على خمسة عشر وجهاً . وقال على غيره أكثر من ثلاثين وجهاً أحدها خطاب العام

والمراد به العموم ، والثانى خطاب الخاص والمراد به الخصوص ، والثالث خطاب العام والمراد به الخصوص ، والرابع خطاب الخاص والمراد به العموم ، والخامس خطاب الجنس والسادس خطاب النوع . والسابع خطاب العين ، والثامن خطاب المدح ، وساق أربعة وثلاثين وجهاً ومثل لها وختم المبحث بفوائد هامة فراجعه ﴿الفائدة الرابعة﴾ فى مفردات القرآن أخرج السلفى عن الشعبى قال لقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركباً فى سفر فيهم ابن مسعود فأمر رجلا يناديهم من أين القوم ؟ قالوا أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق . فقال عمر : إن فيهم لعالماً ، فأمر رجلا يناديهم : أى القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله : الله لا إله إلا هو الحى القيوم . قال نادهم : أى القرآن أحكم ؟ فقال ابن مسعود : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، قال نادهم أى القرآن أجمع ؟ قال : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . قال نادهم : أى القرآن أحزن ؟ فقال : ومن يعمل سوءاً يجز به . فقال نادهم : أى القرآن أرجى؟ فقال : قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً . فقال : أفيكم ابن مسعود ؟ قالوا : نعم إلى آخر ما ذكر فى هذا الباب مما فيه العجب العجاب وسبحان الفتاح العليم ﴿الفائدة الخامسة﴾ فى غريب القرآن : أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو عبيدة وإبراهيم الزاهد ، ومن أشهرها كتاب العزيزى ، فقد أقام فى تأليفه وتحريره خمس عشرة سنة هو وشيخه ابن الانبارى ، ومن أحسنها المفردات الراغب ، فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعاً : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه ، وعن ابن عمر مرفوعاً : من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات . والمراد بإعرابه معرفة معانى ألفاظه لا الإعراب النحوى فإنه لا تجوز القراءة بدونه . وعلى الخائض فى ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض فيه بالظن . فهاهم الصحابة — وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم — توقفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا عنها شيئاً ، فقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى وفاكهة وأباً ، فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى . إن أنا قلت فى كتاب الله مالا أعلم ، وجميع هذه الغرائب قد تكفلت ببيانها كتب اللغة والتفسير ﴿الفائدة السادسة﴾ يحرم اتخاذ القرآن حرفة يسأل به عرض الحياة الدنيا ، فترى كثيراً ممن يحفظون القرآن يقرءونه عند أبواب المساجد وفى الطرقات أو على أبواب البيوت أو فى المقابر يستعطون الناس بالقرآن ، وهذه بدعة قبيحة يجب فيها بذل النصيحة وأمر ينشق له الصدر ويضيع منزلة القارىء ويهين كتاب الله إهانة يخشى على فاعلها الخطر . وفى الحديث الشريف كما فى الترمذى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه مر على

قارئ يقرأ ثم سأل . فاسترجع ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس . وقد روى الديلمى عن على كرم الله وجهه أنه قال : من اقتراب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة . وروى أبو نعيم والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة . وروى أبو نعيم أيضاً عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سيكون فى آخر الزمان ديدان القراء ، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله منهم . ويحرم أيضاً إخراج القراءة مخرج الغناء بحيث لا تفرق بين المغنى على العود والقارىء فتراه يحرك حاجبيه وأهداب عينيه ويخرج الصوت من الأنف ويتكلف فى القرآن تكلفاً حتى يخرجه عن ميزانه العدل إلى رتبة الغناء والهزل ، إنه لقول فصل وما هو بالهزل ، فالمطلوب من كل قارئ أن يقرأ القرآن كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بلحون العرب التى يعرفها علماء القرآن لا كما يقرأه المتشبهون بأهل الكتاب . روى الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجيء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم .

والقرآن له أحكام تجويدية مشروعة نص عليها القراء كما روى السلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومخالفها فاسق ، قال ابن الجزرى :

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

ويحرم أيضاً قراءة القرآن بحضرة من يشرب الدخان أو يستنشق تابغاً ، وفاعل ذلك ممقوت عند الله وعند المؤمنين . وبالجملة فيجب على القارىء أن يحافظ على منزلة القرآن ومكانته العظيمة ﴿الفائدة السابعة﴾ فى قصص القرآن . امتاز قصص القرآن بسمو غاياته وشريف مقاصده وعلو مراميه ، اشتمل على فصول فى الأخلاق مما يهذب النفوس ويجمل الطباع وينشر الحكمة والآداب وطرق فى التربية والتهذيب شتى . تساق أحياناً مساق الحوار وطوراً مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والإنذار ، كما حوى كثيراً من تاريخ الرسل مع أقوامهم والشعوب مع حكامهم وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم فى الأرض ، وأقوام ضلوا فساءت حالهم وخربت ديارهم ووقع عليهم العذاب والنكال ، يضرب بسيرهم المثل ويدعو الناس إلى العظة والتدبر ، كل هذا قصه الله فى قول بين وأسلوب حكيم ولفظ

رائع وافتنان عجيب ، ليدل الناس على الخلق الكريم ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح ، ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان وأقوم سبيل ، وليكون مثالهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد ، ولكنه على كريم مقاصده وتنوع مذاهبه وافتنان طرقه قد وجد من أبناء هذا العصر من يهجره إلى غيره ويتركه إلى سواه مما وضعه الناس من قصص فيها الحق والباطل وفيها الصحيح والزائف . هذا على الرغم من أن القرآن الكريم يعمر المدارس والمساجد والمنازل والمجالس ، ولا يجد منهم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ولعل هذا لم يصدر منهم عن سوء نية أو قصد العزوف عن الإفادة من كتاب الله القويم ، ولكن قد يقع كثيراً أن يخفى عليهم فى القصة معنى أو يغم عليهم لفظ أو يعوزهم التأويل فلا يجدون ضالتهم فيما بين أيديهم من كتب التفسير ، سهلة المنال ميسورة الجنى ، لأن بعض المفسرين جعلوا همهم بيان المذاهب النحوية والنكات البلاغية فى محكم الآيات ، وبعضهم عنى بالأحكام واستنباطها ، وآخرين وقفوا جهدهم على الشئون الكونية والمناحى الفلسفية والتدليل عليها ، إلى غير ذلك من النقد والبحث والشرح للقرآن . نعم إن هناك بعضاً من المفسرين نهجوا فى تأويل القصة تأويلا صالحاً ، وسلكوا مسلكاً مقبولا ، ولكن هذا لا يخرج عن نتف متفرقة وآراء مبعثرة لا تسد حاجة قارىء لا صبر له على تشعب الآراء ، ولا جلد عنده على مراجعة كتب القدماء ﴿الفائدة الثامنة﴾ فى حكم وصول ثواب القرآن إلى الميت . وننقل لك هنا كلمة موجزة لأستاذنا الفاضل المحقق الشيخ محمد العربى . قال متع الله به : إعلم أن قراءة القرآن فى حد ذاتها بقطع النظر عما يعرض لها جائزة وإن كانت بأجرة على القول الصحيح المدعم بالأدلة ، وهو مذهب جمهور المحققين بل أطبق عليه المتأخرون من أتباع الأئمة الأربعة . وسنذكر لك نصوصهم مفصلة ، وربما يقول قائل إن السلف لم يفعلها فنقول له أولا هذه الدعوى غير صحيحة لأنها كانت تفعل فى زمان الإمام أحمد بن حنبل ، ولا شك أنه توفى على رأس العقد الرابع من المائة الثالثة . وفى نفح الطيب فى فوائد المقرى الكبير أنه أنشد شيخه الأبلى قول ابن الرومى الشاعر المشهور :

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه ... وبكحله الأحياء والبصراء

فإذا مررت رأيت من عميانه ... أمماً على أمواته قراء

فاستفاد منهما كون القراءة على الأموات قديمة العهد . ثانياً لو سلمنا أنها لم تفعل فى زمان السلف لا يلزم منعها ، لأن عدم فعلهم لها لا يلزم منه المنع الخاص ، لأنه عدم دليل لا دليل كما لا يخفى على من درس فى الأصول ، وتوضيحه أنه ليس كل شىء من مسائل الفروع لم يفعله السلف يكون حراماً ، ومن ادعى ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له إليه . ثالثاً قد ثبت

فى الحديث الصحيح أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وثبت أيضاً تعذيب الأموات فى قبورهم ، وحديث وضعه عليه السلام الجريدتين على قبرين ، وأخبر أنه يخفف عنهما مادامتا رطبتين ، أخرجه الشيخان وأخرج الإمام مالك فى موطئه وغيره عنه عليه السلام أنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد يدعو له ، أو علم ينتفع به » . وأخرج الشيخان أيضاً عنه عليه السلام من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله تعالى . وبالجملة فكون الاموات يعذبون فى قبورهم ويتألمون من سوء أعمال أقربائهم الأحياء ، وينتفعون بما يسديه الأحياء إليهم ، شىء كثير ولا يأتى عليه الحصر من الأحاديث والآثار عن السلف ، ومن أراد أن تطمئن نفسه فليطالع تفسير الحافظ ابن كثير فى سورة الروم فى قوله تعالى : « إنك لاتسمع الموتى » . رابعاً جواز القراءة على الأموات نص عليه الشارع صلى الله عليه وسلم وأمر به . والدليل على ذلك ما أخرجه أبو داود والإمام أحمد فى مسنده والنسائى وابن حبان وصححه ، عنه عليه السلام أنه قال : « اقرأوا يس على موتاكم » . وقال الإمام أحمد فى المسند أيضاً ، حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان أن المشيخة كانوا يقولون إذا قرئت يعنى يس على ميت خفف عنه بها وأسنده صاحب مسند الفردوس .

وقال الطبرى فى الحديث إن المراد الميت الذى فارقته روحه ، وحمله على المحتضر قول بلا دليل ولا يلتفت لرأى الرجال بعد ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بها صاحبه من كان ، ولو فرضنا أن الحديث ضعيف فإنه يعمل به فى فضائل الأعمال ، وهذه المسألة منها وقد اتفق العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال . أما مذاهب الأئمة فدونك نصوصهم .

مذهب المالكية رحمهم الله تعالى

قال الإمام القاضى أبو الفضل عياض فى شرحه على مسلم فى حديث الجريدتين عند قوله يخفف عنهما مادامتا رطبتين : أخذ العلماء من هذا استحباب قراءة القرآن على الميت لأنه إذا خفف عنه بتسبيح الجريدتين وهما جماد ، فقراءة القرآن أولى نقله الأبى فى شرح مسلم ، وفى المعيار مانصه وقال فى الفرق الثانى والسبعين والمائة مذهب أحمد بن حنبل وأبى حنيفة أن القراءة يحصل ثوابها للميت إذا قرأ عند القبر حصل للميت أجر المستمع ، والذى يتجه أن يقال لا يقع فيه خلاف أنه يحصل لهم بركة القرآن لا ثوابه ، كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده ، والذى ينبغى للإنسان أن لا يهمل هذه المسألة ، فلعل الحق هو الوصول إلى الموتى ، فإن هذه أمور مغيبة عنا وليس فيها اختلاف فى حكم شرعى ، وإنما هو فى أمر واقع هل هو كذلك أم لا ؟ وكذلك التهليل الذى جرت عادة الناس يعملونه

اليوم ينبغى أن يعمل ويعتمد فى ذلك على فضل الله ، ويلتمس فضل الله بكل سبب ممكن ومن الله الإحسان اهـ . وقال ابن الحاج فى المدخل : من أراد وصول قراءته بلا خلاف فليجعل ذلك دعاء بأن يقول اللهم أوصل ثواب ما أقرأ إلى فلان ، ومثله قال الإمام أبو زكريا النووى الشافعى فى كتابه الأذكار ، ونقل أبو زيد الفاسى فى باب الحج عن الغبرينى فى جواب له مانصه : الميت ينتفع بقراءة القرآن ، هذا هو الصحيح والخلاف فيه مشهور والأجرة عليه جائزة والله أعلم . نقله قنون محشى عبد الباقى ، وفى الحطاب والخرشى أجازها ابن حبيب لخبر : اقرءوا يس على موتاكم وهذا مقابل لقول مالك بعدم الوصول ، ولعل ذلك لم يصح عن مالك ، سلمنا صحته فتحمل الكراهة على فعله .

وقد عزا الحافظ السيوطى وصول ثواب القراءة للأموات فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن للأئمة الثلاثة مالك وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل . وفى آخر نوازل ابن رشد فى السؤال عن قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » قال وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت أجره . وقال ابن هلال فى نوازله : الذى أفتى بها ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا بالأندلس أن الميت ينتفع بقراءة القرآن ويصل إليه نفعه ويحصل له أجره إذا وهب القارىء ثوابه له ، وبه جرى عمل المسلمين شرقاً وغرباً ، ووقفوا على ذلك أوقافاً . واستمر عليه الأمر منذ أزمنة سالفة اهـ .

مذهب الحنابلة

قال الإمام أبو محمد بن قدامة فى كتابه المغنى مانصه « فصل » ولا بأس بالقراءة عند القبر وقد روى عن أحمد أنه قال : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا آية الكرسى وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قل اللهم إن فضله لأهل المقابر . وقال الخلال حدثنى أبو على الحسن بن الهيثم البزار شيخنا الثقة المأمون قال رأيت أحمد بن حنبل يصلى خلف ضرير يقرأ على القبور . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات » وروى عنه عليه السلام أنه قال : « من زار والديه فقرأ يس غفر له » ثم قال « فصل » وأى قربة فعلها وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إن شاء الله تعالى . أما الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافاً إذا كانت الواجبات مما يدخله النيابة وقد قال الله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » وقال تعالى « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » . ودعا النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة حين مات وللميت الذى صلى عليه فى حديث عوف ابن مالك ، ولكل ميت صلى عليه . وسأل رجل النبى ﷺ فقال يارسول الله إن أمى ماتت

أفينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم . رواه أبو داود . وروى مالك عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن فريضة الله فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لايستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته ؟ قالت نعم قال فدين الله أحق أن يقضى . وقال للذى سأله إن أمى ماتت وعليها صوم رمضان أفأصوم عنها قال نعم . وهذه أحاديث صحاح وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادات بدنية ، وقد أوصل الله نفعها إلى الميت فكذلك ماسواها ، مع ما ذكرنا من الحديث فى ثواب من قرأ يس وتخفيف الله تعالى عن أهل المقابر بقراءته . وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص : لو كان أبوك مسلماً فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك ، وهذا عام فى حج التطوع وغيره لأنه عمل بر وطاعة فوصل نفعه وثوابه كالصدقة والصيام والحج الواجب . والدليل لنا ماذكرناه وأنه إجماع المسلمين ، فإنهم فى كل عصر ومصر يجتمعون ويقرأون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير ، ولأن الحديث صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه . والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه ويحجب عنه الثواب . اه كلام صاحب المغنى ومثله فى الشرح الكبير على المقنع ، وابن قدامة صاحب المغنى توفى سنة ستمائة وعشرين ، وكتابه هذا قد طبع بمطبعة المنار .

مذهب الشافعية

قال فى شرح الروض فى كتاب الإجارة : (فرع) الإجارة للقراءة على الغير مدة معلومة أو قدراً معلوماً جائزة ، للانتفاع بنزول الرحمة حيث يقرأ القرآن ، كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن ، ويكون الميت كالحى الحاضر ، سواء عقب القراءة بالدعاء أو جعل أجر قراءته له أم لا ، فتعود منفعة القراءة إلى الميت فى ذلك ، ولأن الدعاء يلحقه وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة ، ولأنه إذا جعل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بحصول الأجر فينتفع به ، فقول الشافعى إن القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك ، بل قال السبكى تبعاً لابن الرفعة بعد حمله كلامهم على ما إذا نوى القارىء أن يكون ثواب قراءته للميت بغير دعاء : على أن الذى دل عليه الخبر بالاستنباط أن القرآن إذا قصد به نفع الميت نفعه ، إذ قد ثبت أن القارىء لما قصد بقراءته نفع الملدوغ نفعته ، وأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : وما يدريك أنها رقية . وإذا نفعت الحى بالقصد كان نفع الميت بها أولى ، لأنه يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع عن الحى .

وفى شرح الرملى على المنهاج فى باب الوصايا أن الدعاء بوصول ثواب القراءة للميت مقبول قطعاً ، فإنه إذا كان مقبولا بما لاحق فيه للداعى فكيف بما له فيه حق وعمل فهو مقبول من باب أولى . وقال ابن الصلاح ينبغى الجزم بنفع قوله : اللهم أوصل ثواب ما قرأناه ، لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعى فبما له أولى . ويجرى هذا فى سائر الأعمال . وقال الشبراملسى على الرملى : إنه إذا نوى ثواب قراءته أودعا عقبها بحصول ثوابها للميت أو قرأ عند قبره حصل له ثواب القراءة وحصل للقارىء أيضاً الثواب . فإذا سقط ثواب القارىء لمسقط ،كأن غلب الباعث فينبغى أن لايسقط مثله بالنسبة إلى الميت فيما إذا كانت القراءة بأجرة . وينبغى أن تكفى نية القارىء الثواب الميت ولولم يدع . واختار السبكى وابن حجر والرملى وغيرهم جواز إهداء ثواب القراءة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قياساً على الصلاة عليه .

مذهب الحنفية

ذكر شراح الكتب فى مذهب الحنفية أن كل عمل صالح يصل ثوابه إلى الميت سواء كان قراءة أو غيرها ، ورجحه المتأخرون من فقهائهم منهم صاحب الفتاوى المهدية .

هذا خلاصة مذاهب الأئمة الأربعة نقلناها لكم ، فإن زعم أحد أنها حرام فقولوا له أين تحريمها فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله . واتلوا عليه : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب » وقولوا له أيضاً : إن زعمت أنك مجتهد فليس اجتهادك أولى بالصواب من قول هؤلاء الأئمة الذين حكينا عنهم الإباحة ، مع ما يعضدهم من أدلة السنة النبوية ، وإن كنت مقلداً سقط الكلام معك والسلام .

﴿ الفائدة التاسعة فى عناية العلماء بالقرآن الكريم ﴾ قامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعدد كلماته وآياته وسوره وأجزائه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات ، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهات والآيات المتماثلات ، من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه ، فسموا القراء ، واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ، وأوسعوا الكلام فى الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدى ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به ، حتى إن بعضهم أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كلمة كلمة ، واعتنى المفسرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ، ولفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفى منه وخاضوا فى ترجيح

أحد محتملات ذى المعنيين أو المعانى ، وأعمل كل فكره وقال بما اقتضاه نظاره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية ، مثل قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله تعالى ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به ، وسموا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت طائفة منهم معانى خطابه ، فرأت منها مايقتضى العموم ومنها مايقتضى الخصوص إلى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز . وتكلموا فى التخصيص والإضمار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهى والنسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء ، وسموا هذا الفن أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، فابتنوا أصوله وفروعه وبسطوا القول فى ذلك بسطاً حسناً ، وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً .

وتلمحت طائفة مافيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا مبدأ الدنيا وأول الأشياء حتى سموا ذلك بالتاريخ والقصص .

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التى ترقق قلوب الرجال ، وتكاد تدكدك شوامخ الجبال ، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار ، فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر ، فسموا بذلك الخطباء والوعاظ .

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ماورد فى قصة يوسف فى البقرات السمان وفى منامى صاحبي السجن وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ، وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب ، فإن عز عليهم إخراجها منه فمن السنة التى هى شارحة للكتاب ، فإن عسر فمن الحكم والأمثال ، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام فى مخاطبتهم وعرف عاداتهم الذى أشار إليه القرآن بقوله وأمر بالعرف .

وأخذ قوم مما فى آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك وسموه علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول ، واستخرجوا منها أحكام الوصايا .

ونظر قوم إلى مافيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة ، فى الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك ، واستخرجوا منه علم المواقيت .

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جلالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والمخالص والتلوين فى الخطاب ، والإطناب والإيجاز وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع .

ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معان ورقائق ، جعلوا لها أعلاماً اصطلحوا عليها من الفناء والبقاء ، والحضور والخوف والهيبة ، والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك .

هذه الفنون التى أخذتها الملة الإسلامية منه وقد احتوى على علوم أخر .

﴿ الفائدة العاشرة فى بيان ما فى القرآن من العلوم الكونية والفضائل العظيمة ﴾

اعلم رحمك الله تعالى أن القرآن منبع العلوم ومظهر الأسرار ومستودع الغرائب ، مثل : الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك .

أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وغير ذلك ، وإنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى آية واحدة وهى قوله تعالى : «وكان بين ذلك قواما» . وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاطه ويحدث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله : « شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » . ثم زاد على طب الأجساد بطب القلوب « وشفاء لما فى الصدور » .

وأما الهيئة : ففى تضاعيف سور ، من الآيات التى ذكر فيها من ملكوت السموات والأرض وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات .

وأما الهندسة ففى قوله تعالى : « انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغنى من اللهب » فإن فيه القاعدة الهندسية وهى أن الشكل المثلث لا ظل له .

وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئاً كثيراً ، ومناظرة سيدنا إبراهيم عليه السلام أصل فى ذلك عظيم .

وأما الجبر والمقابلة فقد قيل إن أوائل السور فيها ذكر مدد أعوام وأيام وتواريخ أمم سابقة ، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ هذه الدنيا وما مضى وما بقى مضروباً بعضها فى بعض .

وأما النجامة ففى قوله « أو أثارة من علم » فقد فسره ابن عباس بذلك .

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة إليها . فمن الصنائع : الخياطة فى قوله تعالى : «وطفقا يخصفان» والحدادة فى قوله تعالى : « آتونى زبر الحديد » وقوله « وألنا

له الحديد » والبناء فى آيات ، والنجارة : « أن اصنع الفلك » والغزل « نقضت غزلها » والنسج : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » والفلاحة . « أفرأيتم ماتحرثون » وفى آيات أخر ، والصيد فى آيات ، والغوص « كل بناء وغواص » و « تخرجون منه حلية » والصياغة « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا » والزجاجة « صرح ممرد من قوارير » و « المصباح فى زجاجة » والفخارة : « فأوقد لى ياهامان على الطين » والملاحة : « أما السفينة » والكتابة : « علم بالقلم » وفى آيات أخر . والخبز والعجن « أحمل فوق رأسى خبزاً » والطبخ « فجاء بعجل حنيذ » والغسل والقصارة « وثيابك فطهر » و « قال الحواريون » وهم القصارون . والجزارة « إلا ماذكيتم » والبيع والشراء فى آيات كثيرة ، والصبغ « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » و « بيض وحمر » والحجارة « تنحتون من الجبال بيوتاً » والكيالة والوزن فى آيات كثيرة والرمى « ومارميت إذ رميت » و « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات مايحقق معنى قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » انتهى كلام المرسى ملخصاً مع زيادات .

قال السيوطى فى الإكليل : وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء . أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن مايدل عليها ، وفيه علم عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض ، وما فى الأفق الأعلى وماتحت الثرى ، وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة ، وعيون أخبار الأمم السابقة ، كقصة آدم مع إبليس فى إخراجه من الجنة وفى الولد الذى سماه عبد الحرث . ورفع إدريس وغرق قوم نوح . وقصة عاد الأولى والثانية . وقوم تبع ويونس وأصحاب الرس وثمود والناقة وقوم لوط وقوم شعيب الأولين والآخرين فإنه أرسل مرتين ، وقصة موسى فى ولادته وإلقائه فى اليم وقتله القبطى ومسيره إلى مدين وتزوجه ابنة شعيب . وكلامه له تعالى بجانب الطور ومجيئه إلى فرعون وخروجه وإغراق عدوه . وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصاعقة . وقصة القتيل وذبح البقرة . وقصته فى قتل الجبارين . وقصته مع الخضر ، والقوم الذين ساروا فى سرب من الأرض إلى الصين . وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته . وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته . وقصة القوم الذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم . وقصة إبراهيم فى مجادلة قومه ومناظرة نمروذ . وقصة وضعه ابنه إسماعيل مع أمه بمكة وبنائه البيت . وقصة الذبيح . وقصة يوسف وما أبسطها وأحسنها قصصاً . وقصة مريم وولادتها عيسى وإرساله ورفعه . وقصة زكريا وابنه يحيى . وقصة أيوب وذى الكفل .

وقصة ذى القرنين ومسيره إلى مطلع الشمس ومغربها وبناء السد ، وقصة أهل الكهف ، وقصة أهل الرقيم ، وقصة بختنصر ، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة ، وقصة أهل الجنة وقصة مؤمن آل يس . وقصة أصحاب الفيل وقصة الجبار الذى أراد أن يصعد إلى السماء . انتهى .

وبقيت قصص لم يشر إليها السيوطى . منها قصة قتل قابيل أخاه هابيل وقصة دفن هابيل بدلالة الغراب ، وقصة وصية يعقوب بنيه إلى غير ذلك . قال وفيه من شأن النبى صلى الله عليه وسلم : دعوة إبراهيم وبشارة عيسى وبعثته وهجرته . ومن غزواته غزوة بدر فى سورة الأنفال . وأحد فى آل عمران ، وبدر الصغرى فيها ، والخندق فى الأحزاب ، والنضير فى الحشر ، والحديبية فى الفتح ، وتبوك فى براءة ، وحجة الوداع فى المائدة ، ونكاحه زينب بنت جحش ، وتحريم سريته وتظاهر أزواجه عليه ، وقصة الإفك ، وقصة الإسراء ، وإنشقاق القمر ، وسحر اليهود . وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد عودها إلى السماء ، وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة ، وعذاب القبر والسؤال فيه ، ومقر الأرواح ، وأشراط الساعة الكبرى العشرة ، وهى : نزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن وطلوع الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة ، والخسف ، وأحوال البعث من نفخ للفزع وللصعق وللقيام والحشر والنشر وأهوال الموقف وشدة حر الشمس وظل العرش والصراط والميزان والحوض والحساب لقوم ونجاة لآخرين ، ومنه شهادة الأعضاء وإيتاء الكتب بالأيمان والشمائل وخلف الظهر ، والشفاعة أى بالإذن ، والجنة وأبوابها ومافيها من الأنهار والأشجار والثمار والحلى والأوانى والدرجات ورؤية الله تعالى ، والنار وما فيها من الأودية ، وأنواع العذاب والزقوم والحميم ، إلى غير ذلك مما لو بسط لجاء فى مجلدات .

وفى القرآن جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد فى الحديث ، وفيه من أسمائه مطلقاً ألف اسم ، وفيه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم جملة أى سبعون اسما ، ذكرها السيوطى فى آخر الإكليل ، وفيه شعب الإيمان البضع والسبعون . وفيه شرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر ، وفيه أنواع الكبائر وكثير من الصغائر ، وفيه تصديق كل حديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الحسن البصرى : أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب . فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة . أخرجه البيهقى .

قلت ولذلك كانت قراءتها فى كل ركعة من الصلاة وإن كان مأموماً واجبة عند أهل المعرفة بالحق، وكانت السبع المثانى والقرآن. وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضلها ما خلا ما صرح بوضعها أهل النقد فى علم الحديث. وقد فسرها جماعة من أهل العلم مفردة بالتأليف وبسطوا القول فيها وأجملوا. واستنبط الفخر الرازى الإمام منها عشرة آلاف مسألة. كما صرح بذلك فى أول تفسيره الكبير، وكل ذلك يدل على عظم مرتبة القرآن العزيز ورفعة شأن الفرقان الكريم.

قال الشافعى: جميع ماتقول الأئمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن. قلت ولذلك كان الحديث والقرآن أصل الشرع لا ثالث لهما. وقول الأصوليين إن أدلة الشرع وأصوله أربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس تسامح ظاهر. كيف وهما كفيلان لحكم كل ما حدث فى العالم ويحدث فيه إلى يوم القيامة، دلت على ذلك آيات من الكتاب العزيز وآثار من السنة المطهرة. وإلى ذلك ذهب أهل الظاهر، وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، الحديث. قال بعض السلف: قال النبى صلى الله عليه وسلم: ما من شىء إلا وهو فى القرآن أو فيه أصله، قرب أو بعد، فهمه من فهم، وعمى عنه من عمى. وكذا كل ما حكم أو قضى به اهـ.

فإذا كانت السنة شرحاً للكتاب فماذا يقال فى فضل الكتاب نفسه؟ وكفى له شرفاً أنه كلام ربنا الخلاق المنعم الرزاق أنزله حكما عدلا جامعاً للعلوم والفضائل كلها والفنون بأسرها والفواضل والمحاسن والمكارم والمحامد والمناقب والمراتب بقلها وكثرها، لا يساويه كتاب ولا يوازيه خطاب، وهذه جملة القول فيه.

وقد أكثر الناس التصنيف فى أنواع علوم القرآن وتفاسيرها، وألف الشيخ الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى جملة من أنواعه، كأسباب النزول والمعرب والمبهمات ومواطن الورود وغير ذلك، وما منها كتاب إلا وقد فاق الكتب المؤلفة فى نوعه ببديع اختصاره وحسن تحريره وكثرة جمعه. وقد أفرد الناس فى أحكامه كتباً كالقاضى إسماعيل والبكر بن العلاء وأبى بكر الرازى والكيا الهراسى وأبى بكر بن العربى وابن الفرس والموزعى وغيرهم، وكل منهم أفاد وأجاد وأبدع وأوعى. وللسيوطى فى ذلك كتاب «الإكليل فى استنباط التنزيل» أورد فيه كل ما استنبط منه واستدل به عليه من مسألة فقهية أو أصولية أو اعتقادية، فاشدد بذلك الكتاب يديك وعض عليه بناجذيك. وبالجملة فعلوم الكتاب لاتحصى وتفاسيره لاتستقصى وفنونه لا تتناهى. وبركاته لاتقف عند حد. وأنواره لا ترسم برسم ولا تحد بحد. وإذا تقرر ذلك عرفت أن العلوم التى ذكرناها فى هذا الكتاب

كلها موجودة فى ذلك الكتاب ، دلالة أو إشارة منطوقا أو مفهوماً مفسراً أو مجملا ، ولا يعرفها إلى من رسخت قدمه فى الكمال ، وسبح فهمه فى بحار العلم بالتفصيل والإجمال . فسبحان الفتاح العليم . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

يقول مقيد هذه الفوائد الفقير إلى عفو ربه الغنى . علوى ابن المرحوم السيد عباس المالكى الحسنى خريج مدرسة الفلاح بمكة : هذا ما تفضل الله به وأنعم . ومن به وأكرم . فى هذه الحاشية التى صدرت فى زمن كثرة الاشغال واشتغال البال . وما ذلك إلا بفضل المولى الكريم وإحسانه العظيم . فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . وإنى لأرجو من كل من وقف على هذا التقييد الموجز ، أن يغض النظر عما فيه من هفوات وعثرات ، فإن الزلل شأن الإنسان ، والكمال للملك الرحمن . وختاماً أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل فى ميزان القبول . وأن ينفع به الإخوان والطلاب كما نفع بأصله إنه أعظم مسئول .

اللهم نجنا من أهوال يوم القيامة واغفر لى ولأشياخى وأحبابى ، ولا تجعل لأحد منهم فى عنق ظلامة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بفضل الله تعالى وتوفيقه تم طبع كتاب

« فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التيسير شرح منظومة التفسير »

راجع الأصول وأشرف على التصحيح

فضيلة الأستاذ محمد عبد الله الديوى من علماء الأزهر الشريف

فهرس

كتاب فيض الخبير وخلاصة التقرير
على منهج التيسير

تم الفهرس